كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عبّاس

الدكتور إبراهيم السّعافين الأستاذ بكر عبّاس

المجلّد الرّابع عشر

دار صادر

بيروت

الطبعة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429هـ - 2008م



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[254] ـ أخبار الحُصين بن الحُمام ونسبه[1]

[نسبه]

هو الحُصَين بن الحُمام بن رَبيعة بن مُساب بن حَرام[2] بن وائلة بن سهْم بن مُرّة بن عوف بن سعد بن ذُبيان بن بَغيض بن الرَّيْث بن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار .

[مكانته في قومه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : كان الحصين بن الحمام سيِّد بني سَهم بن مُرّة . وكان خُصَيْلةُ بن مُرّة وصِرْمةُ بن مرّة وسهم بن مرّة أمّهم جميعاً حَرْقَفةُ بنت مَعْنِ بن عَوف بن بَليّ بن عمرو بن الحافِ بن قُضاعة ، فكانوا يداً واحدة على مَنْ سواهم ، وكان حصين ذا رأيهم وقائدَهم ورائدَهم . قال أبو حاتم ، قال أبو عبيدة ، قال أبو عمرو : كان الحصين بن الحمام سيد بني سهم بن مرّة وكان يقال له : مانع الضَّيم .

[وفود ابنه على معاوية]

وحدّثني جماعة من أهل العِلم أنّ ابنه أتى بابَ معاوية بن أبي سفيان فقال لآذِنِه : استأذِنْ لي على أمير المؤمنين وقل : ابن مانع الضيم ، فاستأذَنَ له ؛ فقال له معاوية : وَيْحَك ؛ لا يكون هذا إلاّ ابن عُرْوة بن الوَرْد العَبْسيّ ، أو الحصين بن الحُمام المُرِّيّ ، أدخِلْه . فلمّا دخل إليه قال له : ابنُ مَن أنت ؟ قال : أنا ابن مانع الضيم الحصين بن الحمام ؛ فقال : صدقتَ ، ورفع مجلسه وقضى حوائجه .

[الحرب بين بني سهم بن مرّة وبني صرمة بن مرّة]

أخبرني ابن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : كان ناس من بطنٍ من قُضاعة يقال لهم : بنو سَلامان بن سعد بن زيد بن الحافِ بن قضاعة . وبنو سَلامان بن سعد إخوة عُذْرة بن سعد ، وكانوا حلفاء لبني صِرْمة بن مُرّة ونزولاً فيهم . وكان الحُرْقة وهم بنو حُمَيْس بن عامر بن جُهَينة حلفاء لبني سهم بن مرّة ، وكانوا قوماً يرمون بالنَّبل رمياً سديداً ، فسُمُّوا الحرقة لشدّة قتالهم . وكانوا نزولاً في حلفائهم بني سهم بن مُرّة . وكان في بني صِرْمة يهوديٌّ من أهل تَيْماء يقال له جُهَينة بن أبي حَمَل . وكان في بني سهم يهوديّ من أهل وادي القُرى يقال له غُصَين بن

---

1 ترجمة الحصين بن الحمام المري في كتب الصحابة والشعر والشعراء : 542 والمؤتلف : 91 والسمط 177 والخزانة 3 : 326–327 و ماسة المرزوقي : رقم 41 والمفضلية رقم 12 .

2 ل : حزام .

حَيّ[1] ، وكانا تاجرين في الخمر . وكان بنو جَوْشَن ، أهلُ بيت من عبد الله بن غَطَفان ، جيراناً لبني صِرمة ، وكان يُتشاءم بهم ففقدوا منهم رجلاً يقال له خُصَيْلة كان يقطع الطريق وحده . وكانت أخته وإخوته يسألون الناس عنه ، ويَنْشُدونه في كلّ مجلس وموسِم . فجلس ذات يوم أخ لذلك المفقود الجَوْشنيّ في بيت غُصَين بن حَيٍّ[1] جار بني سهم يبتاع خمراً ، فبينما هو يشتري إذ مَرّت أخت المفقود تسأل عن أخيها خُصَيلة ، فقال غُصَين : [من الوافر]

تُسائل عن أخيها كلَّ ركبٍ وعند جُهَينة الخبرُ اليقينُ[2]

فأرسلها مثلاً ، يعني بجهينة نفسه . فحفِظ الجوشنيّ هذا البيت ، ثم أتاه من الغد فقال له : نَشَدْتُك اللهَ ودينَك هل تعلم لأخي عِلْماً ؟ فقال له : لا وديني لا أعلم . فلمّا مضى أخو المفقود تمثّل : [من الطويل]

لَعَمْرُك ما ضَلَّتْ ضلالَ ابن جَوْشن حَصاةٌ بليلٍ أُلْقِيَتْ وَسْطَ جَنْدَلِ

أراد أنّ تلك الحصاة يجوز أن توجد ، وأنّ هذا لا يوجد أبداً ، فلمّا سمع الجوشنيّ ذلك تركه ، حتى إذا أمسى أتاه فقتله . وقال الجوشنيّ : [من الطويل]

طَعَنتُ وقد كاد الظلامُ يُجِنُّني غُصَيْنَ بن حَيٍّ في جِوار بني سهمِ

فأُتِيَ حصين بن الحُمام فقيل له : إنّ جارك غُصَيْناً اليهوديّ قد قتله ابن جوشن جار بني صِرْمة . فقال حصين : فاقتلوا اليهوديّ الذي في جوار بني صرمة ، فأَتَوْا جهينة بن أبي حَمَل فقتلوه . فشدّ بنو صرمة على ثلاثة من حُمَيس بن عامر جيرانِ بني سهم فقتلوهم . فقال حصين : اقتلوا من جيرانهم بني سَلامان ثلاثة نَفَرٍ ، ففعلوا . فاستَعَر الشرُّ بينهم . قال : وكانت بنو صرمة أكثر من بني سهم رَهْطِ الحصين بكثير . فقال لهم الحصين : يا بني صرمة ، قتلتم جارنا اليهوديّ فقتلنا به جاركم اليهوديّ ، فقتلتم من جيراننا من قُضاعة ثلاثة نَفَرٍ وقتلنا من جيرانكم بني سَلامان ثلاثة نَفَر ، وبيننا وبينكم رَحِم ماسّة قريبة ، فمُرُوا جيرانكم من بني سلامان فيرتحلون عنكم ، ونأمر جيرانَنا من قُضاعة فيرتحلون عنّا جميعاً ، ثم هم أعلم . فأبى ذلك بنو صرْمة ، وقالوا : قد قتلتم جارَنا ابن جوشن ، فلا نفعل حتى نقتل مكانه رجلاً من جيرانكم ؛ فإنّك تعلم أنّكم أقلُّ منّا عدداً وأذلّ ، وإنّما بنا تُعَزّون وتُمْنعون . فناشدهم اللهَ والرّحمَ فأَبَوْا . وأقبلت الخُضْرُ من مُحارب ، وكانوا في بني ثعلبة بن سعد ، فقالوا : نشهد نَهْبَ بني سهم إذا

---

1 ل : حيي .

2 المثل : عند جهينة الخبر اليقين : في مجمع الميدانيّ 2 : 3 وجمهرة العسكريّ 2 : 44 وفصل المقال 295–296 ومستقصى الزمخشري 2 : 169 .

انتُهبوا فنُصيب منهم . وخَذَلَتْ غَطَفان كُلُّها حصيناً ، وكرِهوا ما كان من مَنْعِه جيرانَه من قضاعة . وصافَّهم حصينٌ الحربَ وقاتلهم ومعه جيرانه ، وأمرهم ألاّ يَزيدوهم على النَّبْل ، وهزمهم الحصين ، وكفَّ يدَه بعد ما أكثر فيهم القتل . وأبى ذلك البطنُ من قضاعة أن يَكُفُّوا عن القوم حتى أثْخنوا فيهم . وكان سِنان بن أبي حارثة خذَّل الناسَ عنه لعداوته قضاعةَ ، وأحبَّ سنان أن يَهُبّ[1] الحيّان من قضاعة ، وكان عُيَينة بن حِصن وزبّان بن سَيّار بن عمرو بن جابر ممّن خَذَّل عنه أيضاً . فأجلبَتْ بنو ذبيان على بني سهم مع بني صرمة ، وأجلبَتْ مُحارب بن خَصَفة معهم . فقال الحصين بن الحُمام في ذلك من أبيات : [من الطويل]

أَلا تقبَلــون النِّصْفَ منّـا وأَنْتُمُ	بنـو عمّنا ؟ لا بَلَّ هامَكُم القَطْرُ[2]
سنأبى كما تأبَـوْن حتـى تُلينكـم	صفائحُ بُصْرى والأسِنّةُ والأُصْرُ[3]
أيُؤكَلُ مولانـا ومـولى ابنِ عمّنا	مُقيمٌ ومنصورٌ كما نُصِـرت جَسْرُ
فتلك التي لم يعلـمِ الناسُ أنّنـي	خَنَعـتُ لهـا حتـى يُغيِّبَني القبرُ
فليتكُم قـد حـال دون لِقائكم	سِنُونَ ثَمانٍ بعدهــا حِجَجٌ عَشْرُ
أَجَـدِّيَ لا ألقاكُمُ الدهـرَ مَـرّةً	على مَوْطِنٍ إلاّ خدودُكُمُ صُعْرُ[4]
إذا ما دُعُوا للبغي قاموا وأشرقَتْ	وجوهُهمُ ، والرُّشْدُ وِرْدٌ له نَفْرُ[5]
فواعَجَبا حتّـى خُصَيلـةُ أصبحتْ	مَواليَ عِـزٍّ لا تَحِلُّ لهـا الخمرُ !

قوله : موالي عِزٍّ ، يهزأ بهم . ولا تحلّ لهم الخمر ، أراد فحرَّموا الخمر على أنفسهم كما يفعل العزيز ، وليسوا هناك : [من الطويل]

أَلَمّـا كَشَفنا لأَمَةَ الذُّلِّ عنكُـمُ	تجرّدتَ لا بِـرٌّ جميلٌ ولا شكرُ[6]
فإنْ يَـكُ ظَنّي صادقاً تَجْزِ منكُمُ	جَوازِي الإلـهِ والخيانـةُ والغدرُ

قال : فأقاموا على الحرب والنزول على حكمهم ، وغاظتهم بنو ذبيان ومحارب بن خَصَفة . وكان رئيس محارب حُمَيْضة بن حَرْمَلة . ونكَصت عن حصين قبيلتان من بني سهم وخانتاه ،

---

1 ل : يهلك .

2 النّصف : الأنصاف .

3 الأصر : الكسر والحبس .

4 صعر : مائلة عن الناس تهاوناً واستعلاء .

5 نفر : جماعة .

6 جميل في ل : خصيل .

وهما عَدْوان وعبد عمرو ابنا سهم ، فسار حصين ، وليس معه من بني سهم إلاّ بنو وائلة بن سهم وحلفاؤهم وهم الحُرْقة ، وكان فيهم العدد ، فالتَقَوْا بدارة موضوع ، فظفر بهم الحصين وهزمهم وقتل منهم فأكثر . وقال الحصين بن الحُمام في ذلك[1] : [من الطويل]

جَـزى الله أفنـاءَ العشيرةِ كلَّها بِـدارةِ موضوعٍ عُقوقـاً ومأْثَما

بنـي عمِّنا الأدنَيْنَ منهـم ورَهْطنا فَـزارةَ إذ رامت بنا الحربَ مُعْظَما

ولمّـا رأيـت الودّ ليس بنافعي وإن كان يوماً ذا كَواكِبَ مُظلما

صبَرنا وكان الصبرُ منّـا سَجِيَّـةً بأسيافنا يَقْطَعْنَ كَفـاً ومِعْصَما

نُفَلِّـق هامـاً مـن رجـالٍ أَعِزَّةٍ علينـا وهـم كانوا أعَقَّ وأظلَما[2]

نُطاردهـم نستنقِذُ الجُـرْدَ بالقَنا ويستنقذون السَّمْهَـرِيَّ المُقـوَّما[3]

نستنقذ الجرد ، أي نقتل الفارس فنأخذ فرسه . ويستنقذون السمهريَّ وهو القنا الصلب ، أي نطعنهم فتجرُّهم الرماح . [من الطويل]

لَدُنْ غُدْوةٍ حتى أتى الليلُ ما ترى من الخيـل إلاّ خارجيّاً مُسَوَّما[4]

وأَجْرَد كالسِّرْحان يَضرِبُـه النَّدى ومحبوكةً كالسِّيدِ شَقّاءَ صِلْدما[5]

يَطَأْن مـن القَتْلى ومن قِصَدِ القنا خَبـاراً فما يجرِيـن إلاّ تَقَحُّما[6]

عليهنّ فتيـانٌ كساهـم مُحَرِّقٌ وكان إذا يكسو أجـاد وأكرما[7]

صفائحَ بُصْـرى أخلَصَتْها قُيُونُها ومُطَّرِداً مـن نَسج داودَ مُبْهَما[8]

جزى الله عنّا عبدَ عمـرٍو ملامةً وعَدْوانَ سَهْمٍ مـا أَذَلَّ وألأما[9]

---

1 هذه الأبيات من المفضلية رقم 12 (شرح ابن الأنباري) .
2 نفلق في المفضليات : يفلقن .
3 يعني أنّهم كانوا يقتلون الفارس فيستنقذون فرسه ويطعنونهم بالرماح فتبقى غارزة فيهم .
4 الخارجي المسوم : الفائق لأقرانه والموسوم بسمة يعرف بها .
5 المحبوك : الفرس الشديد الخلق القوي . وشقاء : تذهب يميناً وشمالاً في جريها . والصلدم : الشديد الحافر . والسرحان والسيد : الذئب .
6 الخبار : الأرض اللينة الرخوة ، وفي ل : شريحاً . وتقحم الأمر : رمى بنفسه فيه ، وفي المفضليات «تجشماً» .
7 محرق : لقب الحارث بن عمرو ملك الغساسنة سمّي به لأنّه أحرق العرب في ديارهم ، وهو أيضاً لقب عمرو بن هند لأنه أُحرق مائة من بني تميم .
8 مبهم : لا ثلم فيه .
9 المفضليات : أدق .

فلستُ بمبتاعِ الحياةِ بسُبَّةٍ ولا مُرْتقٍ من خشية الموت سُلَّما

[رثاؤه نعيم بن الحارث]

وقال أبو عبيدة : وقتل في تلك الحرب نُعَيم بن الحارث بن عُباد بن حبيب بن وائلة بن سهل ، قتلته بنو صِرْمة يوم دارة موضوع ، وكان وادّاً للحصين فقال يرثيه : [من الوافر]

قَتَلْنا خمسةً ورَمَوْا نُعيماً وكان القتلُ للفتيان زَيْنا

لعمرُ الباكيات على نعيم لقد جلَّتْ رَزِيَّتُه علينا[1]

فلا تَبْعَدْ نُعَيمُ فكلُّ حَيٍّ سيَلْقى من صروف الدَّهرِ حَيْنا

[لومه بني حميس حين فارقوا قومه]

قال أبو عبيدة : ثم إنّ بني حميس كرِهوا مجاورة بن سهم ففارقوهم ومضَوْا ، فلحِق بهم الحصين بن الحُمام فردّهم ولامهم على كفرهم نعمته وقتالِه عشيرتَه عنهم ، وقال في ذلك : [من الطويل]

إنَّ امرءاً بعدي تَبدَّلَ نصرَكم بنصر بني ذُبْيان حَقّاً لخاسرُ

أولئك قومٌ لا يُهانُ ثَوِيُّهُمْ إذا صَرَّحَتْ كَحْلٌ وهَبَّ الصَّنابرُ[2]

وقال لهم أيضاً : [من الوافر]

ألا أبلِغْ لديك أبا حُمَيْسٍ وعاقبةُ الملامةِ للمُليمِ

فهل لكُمُ إلى مَوْلًى نَصُورٍ وخَطْبُكُم من الله العظيمِ

فإنّ ديارَكم بجَنُوب بُسٍّ إلى ثَقْفٍ إلى ذات العُظومِ

ـ بُسّ : بناء بنته غَطَفان شبّهوه بالكعبة ، وكانوا يَحُجّونه ، ويعظّمونه ويسمّونه حَرَماً ، فغزاهم زُهَيْر بن جَناب الكلبيّ فهدمه : [من الوافر]

غَذَتكم في غَداةِ الناس حُجّاً غِذاءَ الجائعِ الجَدِعِ اللئيمِ[3]

فسِيرُوا في البلاد ووَدِّعونا بقَحْطِ الغيثِ والكَلِإ الوَخِيمِ

قال أبو عبيدة : قال أبو عمرو : زعموا أنّ المثلَّم بن رَباح قتل رجلاً يقال له حُباشة في جِوار الحارث بن ظالم المُرّي ، فلحق المثلَّم بالحصين بن الحمام ، فأجاره . فبلغ ذلك الحارث بن ظالم ، فطلب الحصينَ بدم حُباشة ، فسأل في قومه وسأل في بني حميس جيرانِه فقالوا : إنّا لا نَعقِل[4]

1 جلّت في ل : عزّت .

2 كحل : السنة المجدبة . الصنابر : الرياح الباردة .

3 الجدع : السيء الغذاء .

4 نعقل : نؤدي الدية .

بالإبل ، ولكن إن شئت أعطيناك الغنم . فقال في ذلك وفي كفرهم نعمته : [من الطويل]

خليـلـيّ لا تستعجـلا أن تَزَوَّدا وأن تجمعا شَمْلي وتنتظـرا غدا

فمـا لَبَثٌ يومـاً بسائقِ مَغْنَم ولا سرعـةٌ يومـاً بسابِقةٍ غدا

وإن تُنْظِراني اليـومَ أقضِ لُبانةً وتستوجبا مَنّـاً عـليَّ وتُحْمَدا

لعمرُك إنّي يوم أغدو بصِرْمتي تناهـى حُمَيْسٌ بادئـين وعُوَّدا

وقد ظهرتْ منهـم بوائقُ جَمَّةٌ وأَفْرَعَ مولاهـم بنـا ثم أَصْعَدا[1]

وما كان ذنبـي فيهمُ غيرَ أنَّني بسطْتُ يـداً فيهم وأتبعْتُها يدا

وأنّي أُحامي مِـن وراء حَرِيمهم إذا مـا المُنـادي بالمُغِيرة نَدّدا

إذا الفَوْجُ لا يحميـه إلاّ مُحافِظٌ كريمُ المُحَيّا ماجِـدٌ غيرُ أجردا

فإن صَرَّحَت كَحْلٌ وهَبَّت عَرِيَّةٌ من الرِّيح لم تترك لِذِي العَرْضِ مَرْفَدا[2]

صَبَرتُ على وَطْءِ الموالي وخَطْبِهم إذا ضَنَّ ذو القربى عليهم وأَجْمَدا[3]

[بين الحصين والبرج ابن الجلاس]

أخبرني ابن دريد قال : حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : كان البُرْج بن الجُلاس الطائيّ خليلاً للحصين بن الحمام ونديماً له على الشراب ، وفيه يقول البرج بن الجُلاس : [من الوافر]

ونَدْمـانٍ يَزيـد الكأْسَ طِيباً سَقَيتُ وقـد تغوَّرَتِ النجومُ

رفعتُ برأسه فكشفْتُ عنـه بمُعْرَقَةٍ ملامـةَ مَـن يلـومُ[4]

ونشْرَب ما شرِبْنا ثم نصحو وليس بجانبَيْ خَـدّي كُلـومُ

ونجعل عِبْأهـا لبنـي جُعَيْلٍ وليس إذا انتَشَوْا فيهـم حليمُ

كانت للبرج أُخت يقال لها العُفاطة ، وكان البرج يشرب مع الحصين ذات يوم فسكر وانصرف إلى أُخته فافتضّها ، وندِم على ما صنع لمّا أفاق ، وقال لقومه : أيُّ رجل أنا فيكم ؟ قالوا : فارسُنا وأفضلنا وسيِّدنا . قال : فإنّه إن علِم بما صنعتُ أحد من العرب أو أخبرتم به أحداً ركبتُ رأسي فلم تَرَوني أبداً ، فلم يسمع بذلك أحد منهم . ثم إنّ أَمَةً لبعض طيىء

1 البوائق : الدواهي . وأفرع : نزل .

2 العرية : الريح الباردة . العرض : السعة .

3 أجمد : بخل .

4 أعرق الشراب : جعل فيه قليلاً من الماء .

وقعت إلى الحصين بن الحُمام ، فرأت عنده البرجَ الطائيّ يوماً وهما يشربان . فلمّا خرج من عنده قالت للحصين : إنّ نديمك هذا سكِر عندك ففعل بأخته كَيْتَ وكيت ، وأوشك أن يفعل ذلك بك كلّما أتاك فسكِر عندك . فزجرها الحصين وسَبّها ، فأمسكَتْ . ثم إنّ البرج بعد ذلك أغار على جيران الحصين بن الحُمام من الحرْقة فأخذ أموالهم ، وأتى الصَّريخ الحصين بن الحمام ، فتبع القوم ، فأدركهم ، فقال للبرج : ما صَبَّك على جيراني يا برج ؟ فقال له : وما أنت وهم هؤلاء من أهل اليمن وهم منّا . وأنشأ يقول : [من الكامل]

أنَّى لك الحُرُقاتُ فيما بيننا ! ... عَنَنٌ بعيدٌ منك يا ابنَ حُمامِ[1]
أقبلتَ تُزْجِي ناقةً متباطئاً ... عُلْطاً تزجِّيها بغيرِ خِطامِ

تزجي : تسوق . علطاً : لا خطام عليها ولا زمام ، أي أتيت هكذا من العجلة . فأجابه الحصين بن الحمام : [من الكامل]

بُرجٌ يُؤَثِّمني ويَكفُر نعمتي ... صَمِّي لِما قال الكفيلُ صَمامِ[2]
مَهْلاً أبا زيدٍ فإنّك إنْ تَشأْ ... أُورِدْك عُرْضَ مَناهِلٍ أسْدامِ[3]
أُورِدْك أَقْلِبَةً إذا حافلْتَها ... خَوْضَ القَعودِ خَبيثةَ الأخصامِ[4]
أقبلتُ من أرض الحجاز بذَمَّةٍ ... عُطُلاً أُسوِّقها بغيرِ خِطامِ[5]
في إثْرِ إخوانٍ لنا من طيىء ... ليسوا بأكفاءٍ ولا بكرامِ
لا تحسبَنَّ أخا العفاطة أنّني ... رَجُلٌ بخُبْرِك ليس بالعَلاّمِ
فاستنزلوك وقد بَلَلْتَ نِطاقَها ... عن بنتِ أُمِّك والذيولُ دوامي

ثم ناصب الحصينُ بن الحُمام البرج الحربَ ، فقتل من أصحاب البرج عدّة وهزم سائرهم ، واستنقذ ما في أيديهم ، وأسر البرج ، ثم عرف له حقّ نِدامه وعشرته إيّاه فمنَّ عليه . وجَزَّ ناصيته وخلّى سبيله . فلمّا عاد البرج إلى قومه وقد سبّه الحصين بما فعل بأُخته لامهم وقال : أشَعْتم ما فعلتُ بأُختي وفضحتموني ، ثم ركب رأسه وخرج من بين أظهُرهم فلحِق ببلاد الروم ، فلم يعرف له خبر إلى الآن .

---

1 أنى لك الحرقات : من أين لك قرابتهم .

2 المثل : صمي صمام في مجمع الميداني 1 : 320 ومستقصى الزمخشري 2 : 143 وفصل المقال : 474 ، 478 وجمهرة العسكري 1 : 576 ، 578 . ويضرب للداهية والحرب .

3 مياه أُسدام : متغيرة .

4 أقلبة : جمع قليب وهي البئر . خبيثة الأخصام : خبيثة المشرب .

5 ذَمة : ناقة مذمومة لهزالها .

وقال ابن الكلبيّ : بل شرب الخمر صِرفاً حتى قتلته .

[يغير على بني عقيل وبني كعب]

أخبرني ابن دريد قال : حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : جمع الحصين بن الحمام جمعاً من بني عَدِيٍّ ثم أغار على بني عُقَيل وبني كعب فأثخن فيهم واستاق نَعَماً كثيراً ونساء ، فأصاب أسماء بنت عمرو سيِّد بني كعب فأطلقها ومَنّ عليها ، وقال في ذلك : [من الوافر]

فِدًى لبني عديٍّ رَكْضُ ساقي ... وما جَمَّعتُ من نَعَمٍ مُراحِ
تَركْنا من نساء بني عُقَيْلٍ ... أيامى تبتغي عَقْدَ النّكاحِ
أَرُعْيانَ الشَّوِيِّ وجدتمونا ... أمَ آصحابَ الكريهة والنِّطاحِ[1]
لقد علمتْ هَوازنُ أنَّ خيلي ... غَداةَ النَّعْفِ صادقةُ الصَّباحِ[2]
عليها كلُّ أَرْوَعَ هِبْرِزِيٍّ ... شديدٍ حَدُّه شاكي السِّلاحِ[3]
فكَرَّ عليهمُ حتَّى التقينا ... بمصقولٍ عوارضُها صِباحِ[4]
فأُبْنا بالنِّهاب وبالسَّبايا ... وبالبِيضِ الخرائدِ واللِّقاحِ
وأعتقنا ابنةَ العَمْريِّ عمرٍو ... وقد خُضْنا عليها بالقِداحِ

[أدرك الإسلام]

أخبرنا ابن دريد قال : حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة أنّ الحصين بن الحمام أدرك الإسلام . قال : ويدلّ على ذلك قوله : [من المتقارب]

وقافيةٍ غيرِ إنسيَّةٍ ... قَرَضْتُ من الشِّعرِ أمثالَها
شَرُودٍ تَلَمَّعُ بالخافقَيْنِ ... إذا أُنْشِدَتْ قيل مَن قالها
وحَيرانَ لا يهتدي بالنهار ... من الظَّلْع يَتْبَعُ ضُلاَّلَها
وداعٍ دعا دعوةَ المستغيثِ ... وكنتُ كمَن كان لَبَّى لها
إذا الموتُ كان شَجاً بالحُلُوق ... وبادَرتِ النفسُ أشغالَها
صبَرتُ ولم أَكُ رِعدِيدَةً ... ولَلْصَّبْرُ في الرَّوع أنجى لَها
ويومٍ تَسَعَّرُ فيه الحروبُ ... لَبِستُ إلى الرَّوْعِ سِرْبالَها

1 الشوي : جمع شاة .
2 الصباح : الغارة عند الصباح .
3 هبرزي : شجاع .
4 إشارة إلى النساء .

مُضعَّفَةَ السَّرْدِ عاديَّةً وعَضْبَ المَضارِبِ مِفْصالَها
ومُطَّرِداً من رُدَيْنِيَّةٍ أذودُ عن الورْدِ أبطالَها
فلم يبق من ذاك إلاّ التُّقَى ونفسٌ تُعالج آجالَها
أُمورٌ من الله فوق السماء مقاديرُ تنزلُ أنزالَها
أعوذ بربِّي من المُخْزِيا تِ يوم ترى النفسُ أعمالَها
وخَفّ الموازينُ بالكافرين وزُلزِلتِ الأرضُ زِلزالَها
ونادى مُنادٍ بأهل القبور فهبّوا لتُبْرِزَ أثقالَها
وسُعِّرَت النارُ فيها العذابُ وكان السلاسلُ أغلالَها

[رثاه أخوه عند وفاته]

حدّثنا ابن دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : مات حُصَيْن بن الحُمام في بعض أسفاره ، فسُمع صائح في الليل يصيح لا يُعرف في بلاد بني مُرّة : [من الطويل]

ألا هَلَكَ الحُلْو الحَلالُ الحُلاحِلُ ومَن عَقْدُه حزمٌ وعَزْمٌ ونائلُ

الحلو : الجميل . والحلال : الذي ليس عليه في ماله عيب . والحلاحل : الشريف العاقل .

ومَن خَطبُه فَصْلٌ إذا القوم أُفحِموا يُصيب مَرادِي قوله مَن يُحاوِلُ

المَرادي : جمع مرداة ، وهي صخرة تُردى بها الصخور ، أي تكسر ، قال : فلمّا سمع أخوه مُعَيَّة بن الحُمام ذلك قال : هَلَك والله الحصين ، ثم قال يرثيه : [من الوافر]

إذا لاقيتُ جمعاً أو فِئاماً فإنّي لا أرى كأبي يَزِيدا[1]
أشدَّ مهابةً وأعزَّ ركناً وأصلبَ ساعةَ الضَّرَّاء عُودا
صَفِيِّي وابنُ أُمِّي والمُواسي إذا ما النفسُ شارفتِ الوريدا
كأنَّ مُصَدَّراً يحبو ورائي إلى أشباله يبغِي الأسودا

المُصَدَّر : العظيم الصدر ، شبّه أخاه بالأسد .

صوت

[من البسيط]

لا أَرَّق الله عَيْنَيْ مَن أرِقْتُ له ولا مَلا مِثلَ قلبي قلبَه تَرَحا
يَسُرُّني سوءُ حالي في مسرَّته فكلَّما ازددت سُقْماً زادني فرحا

الشعر لمحمد بن يسير ، والغناء لأحمد بن صَدَقة ، رَمَلٌ بالوسطى .

1 الفئام : الجماعة من الناس .

[255] ـ أخبار محمد بن يسير ونسبه[1]

[نسبه]

محمد بن يسير الرِّياشيّ ، يقال إنّه مولًى لبني رياش الذين منهم العباس بن الفرج الرِّياشيّ الأخباريّ الأديب ، ويقال إنّه منهم صُلْبية[2] . وبنو رِياش يذكرون أنّهم من خَثْعَم . ولهم بالبصرةِ خِطّة وهم معروفون بها . وكان محمد بن يسير هذا شاعراً ظريفاً من شعراء المحدّثين . متقلّل ، لم يفارق البَصرة ، ولا وفد إلى خليفة ولا شريف مُنتَجِعاً ، ولا تجاوز بلده ، وصُحْبته طبقتُه ، وكان ماجِناً هَجّاءً خبيثاً .

[دعوة والي البصرة له للاصطباح]

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني عليٌّ بن القاسم بن عليّ بن سليمان طارمة قال : بعث إليّ محمد بن أيُّوب بن سليمان بن جعفر بن سليمان ، وهو يتولّى البصرة حينئذٍ ، في ليلةٍ صبيحتُها يومَ سبتٍ ، فدخلت إليه وقد بقي من الليل ثلثه أو أكثر . فقلت لـه : أنِمتَ وانتبهتَ أم لم تَنَم بعدُ ؟ فقال : قد قضيتُ حاجتي من النوم ، وأريد أن أصطبح وأبتدىء الساعةَ بالشرب ، وأصِلَ ليلتي بيومي محتجباً عن الناس ، وعندي محمد بن رَباح ، وقد وجّهتُ إلى إبراهيم بن رِياش ، وحضرتَ أنت ، فمَن ترى أن يكون خامسَنا ؟ قلت : محمد بن يسير . فقال : والله ما عَدَوتَ ما في نفسي . فقال لي ابن رباح : اكْتُبْ إلى محمد بن يسير بيتين تدعوه فيهما وتصف له طِيبَ هذا الوقت ، وكان يوم غَيم ، والسماء تمطر مطراً غير شديد ولا متتابع ؛ فكتب إليه ابن رَباح : [من الخفيف]

صوت

يــومُ سَبتٍ وشَنْبَــذٍ ورَذاذٍ ... فعلامَ الجُلُوسُ يـا ابن يسيرٍ ؟

قم بنا نأخــذ المُدامةَ من كَـ ... ـفٌ غَـزالٍ مُضَمَّخٍ بالعَبيرِ

في هذين البيتين لعبّاس أخي بحرٍ ثقيل أوّل بالبِنصر ، وبعث إليه بالرُّقعة ، فإذا الغلمان قد جاءوا بالجواب . فقال لهم : بعثتكم لتجيئوني برجل فجئتموني برقعة ! فقالوا : لم نَلْقَه ، وإنّما كتب جوابَها في منزله ، ولم تأمرنا بالهجوم عليه فنهجُم . فقرأها فإذا فيها : [من الطويل]

1 ترجمة محمد بن يسير في الشعر والشعراء 756–757 وطبقات ابن المعتزّ : 280 والورقة : 112 ويتصحف إلى «بشير» . انظر الحماسة والأمالي .

2 ل : صلبية .

أجيءُ على شَرْطٍ فإن كنتَ فاعلاً ... وإلاّ فإنّي راجعٌ لا أُناظِرُ
لِيُسْرَجْ لِيَ البِرْذَوْنُ في حالِ دُلْجتي ... وأنت بدُلْجاتي مع الصبح خابِرُ
لأقضيَ حاجاتي إليه وأنثني ... إليك ، وحَجّامٌ إذا جئتُ حاضرُ
فيأخذ من شَعري ويُصلِحُ لِحْيتي ... ومن بعدُ حَمّامٌ وطِيبٌ وجامِرُ[1]
ودَسْتِيجَةٌ من طيِّب الرّاح ضخمةٌ ... يُرَوِّدنيها طائعاً لا يُعاسِرُ[2]

فقال محمد بن أيّوب : ما تقول ؟ فقلت : إنّك لا تقوى على مطاولته ، ولكن اضْمَنْ له ما طلب . فكتب إليه : قد أُعِدَّ لك ، وحَياتِك ، كلُّ ما طلبت فلا تُبْطِىء ؛ فإذا به قد طلع علينا . فأمر محمد بن أيّوب بإحضار المائدة . فلمّا أُحضرت أمَر بمحمد بن يسير فشُدَّ بحبل إلى أُسطوانة من أساطين المجلس ، وجلسنا نأكل بحذائه ، فقال لنا : أيُّ شيء يخلّصني ؟ قلنا : تُجيب نفسك عمّا كتبت به أقبح جواب . فقال : كُفّوا عن الأكلِ إذاً ولا تستبقوني به فتَشْغَلوا خاطري ، ففعلنا ذلك وتوقفنا ، فأنشأ يقول : [من الطويل]

أيا عَجَباً مِنْ ذا اليسيري إنّه ... له نَخوةٌ في نفسه وتَكابُرُ
يُشارِط لّما زار حتّى كأنّه ... مُغَنٍّ مُجيدٌ أو غلام مُؤاجَرُ
فلولا ذِمامٌ كان بيني وبينه ... للَطَّمَ بَشّارٌ قَفاه وياسِرُ

فقال محمد : حسبُك ، لم نُرِدْ هذا كلّه ، ثم حلّه وجلس يأكل معنا ، وتممنا يومنا .

[هجاؤه شاة جاره منيع]

أخبرني عمّي قال حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني عليّ بن محمد بن سليمان النَّوْفَلِيّ قال : كان محمد بن يسير من شعراء أهل البصرة وأدبائهم ، وهو من خَثْعَم وكان من بخلاء الناس ، وكان له في داره بستانٌ قدره أربعة طوابيق قَلَعها من داره ، فغرَس فيه أصلَ رُمّان وفَسِيلةً لطيفة ، وزَرَعَ حَوالَيه بَقْلاً ، فأفلتت شاةٌ لجارٍ له يقال له : مَنِيع ، فأكلت البقل ومَضَغت الخُوص ، ودخلتْ إلى بيته فلم تجد فيه إلاّ القراطيسَ فيها شِعرهُ وأشياءُ من سَماعاته ، فأكلَتْها وخرجَتْ ، فعدا إلى الجيران في المسجد يشكو ما جرى عليه ، وعاد فزرع البستان ، وقال يهجو شاة منيع : [من الرمل]

لِيَ بستانٌ أَنيقٌ زاهرٌ ... ناضِرُ الخُضْرة رَيّان تَرِفْ[3]

1 الجامر : الذي يبخر بالطيب .
2 دستيجة : إناء ، فارسي معرّب .
3 ترف : مرتوٍ بالماء .

رَاسخُ الأعْراقِ رَيَّانُ الثَّرى غَـدِقٌ تُرْبَتُـه ليست تجفّ[1]
لِمجـارِي المـاء فيـه سُنَنٌ كيفما صَرَّفتَه فيـه انصرفْ
مُشرِق الأنوار ميّـاد النَّدى مُنْثَـنٍ في كلِّ ريح مُنعَطِـفْ[2]
تملِـكُ الريحُ عليـه أمرَه فـإذا لم يُؤْنِسِ الريحَ وقفْ
يكتسي في الشرق ثوبَيْ يُمْنَةٍ ومـع الليل عليهـا يَلتَحِفْ[3]
ينطوِي الليـلُ عليـه فإذا واجَهَ الشرقَ تجلَّى وانكَشَفْ
صابِرٌ ليس يُبـالي كَثرةً جُـزَّ بالمِنْجَلِ أو منـه نُتِفْ
كلّما أُلحِفَ منـه جانـبٌ لم يُلَبِّثْ منـه تعجيلُ الخَلَفْ[4]
لا تـرى للكفِّ فيـه أثَـراً فيه بل يَنْمِي على مسِّ الأكُفّ
فترى الأطبـاقَ لا تُمْهِلـه صـادراتٍ وارداتٍ تختلِفْ
فيـه للخـارفِ مـن جيرانه كلَّما احتـاج إليـه مُخْتَرَفْ[5]
أُقْحُـوانٌ وبَهـارٌ مُونِـقٌ وسوى ذلك من كلِّ الطُّرَفْ
وهو زَهْـرٌ للنَّدامـى أصُلاً بِرِضا قاطِفِهم ممّـا قَطَفْ
وهـو في الأيدي يُحَيُّون به وعلى الآنافِ طَوْراً يُستَشَفّ
أعْفِهِ يـا ربِّ مِـن واحدةٍ ثـم لا أُحْفِـلُ أنـواعَ التَّلَفْ
اكْفِـهِ شاةَ مَنيعٍ وَخْدَهـا يوم لا يُصْبِحُ في البيت عَلَفْ
اكْفِـهِ ذاتَ سُعـالٍ شَهْلَةً مُتِّعتْ في شرِّ عيش بالخَرَفْ[6]
اكْفِهِ يا رَبِّ وَقْصاءَ الطُّلى ألْحِمِ الكِتْفين منهـا بالكَتِفْ[7]
وكَلُـوحٌ أبـداً مُفْتَـرَّةٌ لك عن هُتْمٍ كَلِيلاتٍ رُجُفْ[8]

1 غدقة : ندية مبتلة .
2 الأنوار : جمع نَور وهو الزهر .
3 يمنة : ثوب يمني موشى .
4 ألحف : استؤصل .
5 الخارف : هنا قاطف الأزهار .
6 الشهلة : العجوز .
7 وقصاء الطلى : قصيرة العنق .
8 الكالح : الذي تقلصت شفتاه من أسنانه . والهتم الرجف : الأسنان المكسرة المخلخلة .

وَنَئُـوسُ الأنفِ لا يَرْقـا ولا ... أبـداً تُبْصـرُه إلاّ يَكِفْ[1]
لَـم تَـزَلْ أظلافُهـا عافِيَةً ... لم يُظَلِّفْ أهلُهـا منها ظِلَفْ[2]
فتـرى في كلِّ رِجْـلٍ ويـدٍ ... من بقاياهنَّ فوق الأرض خُفّ
تَنسِفُ الأرضَ إذا مرّت بـه ... فلهـا إعْصارُ تُـرْبٍ مُنتسِفْ
تُرْهِجُ الطُّـرْقَ على مُجْتازِها ... بِتَدانِي المشي والخَطْوِ القَطِفْ[3]
في يَدَيها طَـرَقٌ ، مِشْيَتُها ... حَلْقةُ القوس ، وفي الرجل حَنَفْ[4]
فإذا مـا سَعَلَتْ واحْدَوْدَبَتْ ... جاوبَ البَعْرُ عليها فخُصِفْ[5]
وأُحِصَّ الشعرُ منهـا ، جِلدُها ... شَنَّةٌ في جوف غارٍ مُنْخسِفْ[6]
ذات قَرْنٍ وهي جَمَّاءُ ، ألا ... إنّ ذا الوصفَ كوصفٍ مُخْتلِفْ
وإذا تدنـو إلى مُسْتَعْسِبٍ ... عافَها نَتْناً إذا مـا هُو كَرَفْ[7]
لا ترى تَيْساً عليهـا مُقْدماً ... رُمِيَتْ من كلِّ تَيْسٍ بالصَّلَفْ
شُوهة الخِلْقـة ، مـا أبصرَها ... مِن جميع النـاس إلاّ وحَلَفْ
مـا رأى شاةً ولا يعلمُهـا ... خُلِقَتْ خِلْقَتَها فيمـا سَلَفْ
عَجَبـاً منهـا ومـن تأليفها ... عجباً مِن خَلْقها كيف ائتلَفْ !
لـو يُنـادُون عليهـا عَجَباً ... كَسَبوا منهـا فُلُوساً ورُغُفْ
ليتَها قـد أفلتـتْ في جَفْنـةٍ ... مِن عجينٍ أو دقيـق مُجْتَرَفْ
فتلقَّـتْ شَفْـرةً مِـن أهله ... قَـدَرَ الإصبع شيئاً أو أشَفّ
أحكَمَتْ كَفّاً حكيمٍ صُنْعَها ... فأتت مجدولـةً فيها رَهَفْ
أُدْمِجَتْ من كلِّ وجه غيرَ ما ... ألَّلَ الأقْيانُ مـن حَدِّ الطَّرَفْ[8]

1 نئوس الأنف : سيالته .
2 عافية : طويلة . لم يظلف : لم يقلّم .
3 ترهج الطرق : تثير فيها الغبار .
4 طرق : ضعف واعوجاج . مشيتها حلقة القوس : معوجة غير مستقيمة . الحنف : اعوجاج في الرجل إلى الداخل .
5 خصف : التصق بها .
6 أحصى الشعر : انجرد وتناثر .
7 المستعبسب : الفحل الهائج المغتلم . ويكرف : يرفع رأسه إلى السماء عندما يشم طروقته .
8 ألّل الشيء : حدّد طرفه . والأقيان : جمع قين وهو الحداد .

قابِضُ الرَّونـــقِ فيهـــا ماتِعٌ يَخطَفُ الأبصارَ منها يُستَشَفّ
لَمَحْتِهـــا فاسْتَخفَّتْ نحوَهـــا [عَجَلاً] ثم أحالت تنتسِفْ
فتناهَتْ بـــين أضعاف المِعَى وتَبوَّتْ بـــين أثناء الشَّغَفْ[1]
أو رَمَتْها قَرْحَـةٌ زادت لهـــا ذَوبانـــاً كلَّ يـــومٍ ونَحَفْ
كلّ يوم فيـــه يدنـــو يومُها أو تُرى واردةً حَوضَ الدَّنَفْ
بينما ذاك بهـــا إذ أصبحَتْ كَحَميتٍ مُفْعَمٍ أو مثلَ جُفْ[2]
شاغِراً عُرْقوبُهـــا قد أُعقِبَتْ بِطْنَةً من بعـــد إدمان الهَيَفْ[3]
وغَـــدا الصِّبيةُ مـــن جيرانها ليجرُّوها إلى مـــأوى الجيَفْ
فتراهـــا بينهـــم مسحوبةً تَجرُفُ التُّرْب بجَنْبٍ منحرِفْ
فإذا صاروا إلى المأوى بهـــا أعمَلُوا الآجرَّ فيهـــا والخَزَفْ
ثـــم قالـــوا : ذا جَزاءٌ للتي تأكلُ البستانَ منّـــا والصُّحُفْ
لا تلوموني ، فلـــو أبصرتُ ذا كلَّـــه فيهـــا إذن لم أنتصفْ

[ردّه على عتاب امرأته]

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدّثنا محمد بن يزيد قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن يسير ، وحدّثني سوار بن أبي شُراعة قال حدّثني عبد الله بن محمد بن يسير قال : هَوِيَ أبي قَيْنةً من قِيان أبي هاشم بالبصرة ، فكتبتْ إليه أمّي تعاتبه ، فكتب إليها : [من البسيط]

لا تَذْكُري لَوْعةً إثْري ولا جَزَعا ولا تُقاسِنَّ بعـــدي الهـمَّ والهَلَعا
بَلِ ائتسي تجدي إن ائتسيتِ أُساً بمثل ما قد فُجِعْتِ اليوم قد فُجِعا
ما تصنَعين بعَينٍ عنك قد طمَحَتْ إلى سواكِ وقلبٍ عنكِ قـد نَزَعا
إن قُلْتِ قد كنتُ في خَفْضٍ وتكرِمَةٍ فقد صدَقتِ ، ولكنْ ذاكِ قد نُزِعا
وايُّ شيءٍ مـن الدُّنيا سمعت بـه إلاّ إذا صار في غاياتـــه انقطعا
ومَن يُطيقُ خَليعـاً عنـــد صَبْوته أم مَـن يقـوم لِمستورٍ إذا خَلُعا

1 تناهت : بلغت . أضعاف المعي : أثناؤها . والشغف : غلاف القلب .
2 الحميت : الزق . وجف : الشن البالي .
3 شاغراً عرقوبها : أي مرفوعاً . البطنة : عظم البطن . والهيف : ضمور البطن .

[هجاء أبي النجم المغني]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثنا عبد الله بن يسير أنّ أباه دُعِي إلى وليمة وحضرها مغنٍّ يقال له أبو النَّجم ، فعبِثَ بأبي وباغضه وأساء أدبه ، فقال يهجوه : [من الطويل]

نَشَتْ بأبي النَّجم المغنِّي سحابةٌ ... عليه من الأيدي شآبيبُها القَفْدُ[1]

نَشا نَوءُها بالنَّحْس حتى تصرَّمتْ ... وغابت فلم يَطلُع لها كَوكبٌ سَعْدُ

سَقَتْه فجادتْ فارتَوى من سِجالِها ... ذُرا رأسه والوجهُ والجِيدُ والخدُّ[2]

فلا زال يَسْقِيه بها كلَّ مجلس ... بهِ فِتيةٌ أمثالَها الهَزْلُ والجِدُّ

أراد به يسقيانه .

[ردّه على جارية عاتبت صديقه داود]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال وحدَّثني عبد الله بن محمد بن يسير قال : كان لأبي صديق يقال له داود من أسمج الناس وجهاً وأقلّهم أدباً ، إلاّ أنّه كان وافر المتاع ، فكان القِيان يواصلنه ويكثُرن عنده ، ويُهدين إليه الفواكه والنبيذ والطيب ، فيدعو بأبي فيعاشره . فهَوِيته قينةٌ من قِيان البصرة ، كانت من أحسن الناس وجهاً ، فبعثت إلى داود برقعة طويلة جدّاً تعاتبه فيها وتستجفيه وتستزيره . فسأل أبي أن يُجيبها عنه ، فقال أبي : اكْتُبْ يا بُنَيَّ قبل أن أُجيب عنها : [من الخفيف]

وابلائي مِن طول هذا الكتاب ... أُسْعِدُوني عليه يا أُصحابي

أُسْعِدُوني على قِراةِ كتابٍ ... طولُهُ مثل طولِ يوم الحسابِ

أنا فيه من البَلاءِ مُلَقًّى ... ولغيري فيه الهوى والتَّصابي

وله الودُّ والهوى ، وعلينا ... فيه للكاتبين رَدُّ الجوابِ

ثم ممّن يا سيِّدي ؟ وإلى مَن ؟ ... مِن هَضِيم الحَشا لَعُوبٍ كَعابِ

وإلى مَنْ إنْ قلتُ فيه بِعَيْب ... لم أُحِطْ في مقالتي بالصوابِ

لا يُساوي على التأمُّل والتفـ ... ـتيش يوماً في الناس كفَّ ترابِ

[رثاؤه داود]

فقال عبد الله : وكان أبي إذا انصرف من مجلس فيه داود هذا أخذه معه ، فيمشي قُدَّامه .

---

1 نشت : عاودته مرّة بعد أخرى . القفد : الصَّفْع بباطن الكف .

2 سجال : جمع سجل وهو الدلو العظيمة .

فإن كان في الطريق طين أو بئر أو أذًى لَقِي داود شرَّه وحَذِره أبي . فمات داود . وانصرف أبي ذات ليلة وهو سكران ، فعثَر بدُكَّان[1] وتلوَّث بطين ودخل في رجله عظم ولقي عنتاً ، فقال يرثي داود : [من البسيط]

أقول والأرضُ قـد غَشَّى وجَلَّلَها ... ثوبُ الدُّجى فَهْو فوق الأرض ممدودُ
وسَدَّ كلَّ فُـروج الجـوِّ مُنْطَبِقاً ... وكلُّ فَرْجٍ بـه في الجوِّ مسدودُ
وفي الوَداع وفي الإبداء لي عَنَتٌ ... دون المسير وبابُ الدارِ مشدودُ
مَن لي بداودَ في ذي الحال يُرْشِدني ؟ ... مَن لي بداود ؟ لَهْفي ! أين داودُ ؟
لَهْفي عـلى رِجْلـه ألاّ أقدِّمَها ... قُـدَّامَ رِجـلي فتَلْقاهـا الجَلاميدُ
إذ لا أزال إذا أقبلـتُ ينكُبُنِـي ... حَرْفٌ وجُرْفٌ ودُكَّانٌ وأُخدودُ
فإن تكن شوكـةٌ كانت تحُلّ به ... أو نَكتةٌ في سواد الليـلِ أو عُودُ[2]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان الهاشميّ قال : هجمتْ شاة منيع البَقَّال على دار ابن يسير وهو غائب ، وكانت له قراطيس فيها أشعار وآداب مجموعة ، فأكلتها كلّها ، فقال في ذلك : [من الخفيف]

قُـلْ لبُغاة الآداب ما صَنَعَتْ ... منها إليكـم فـلا تُضيعُوها
فإن دعتكـم إلى القراطيـ ... ـس والانقاس سرّاً فلا تطيعوها
وضمِّنوها صُحْفَ الدَّفاترِ بالـ ... ـحِبر وحُسْنَ الخُطوطِ أوعُوها
فإن عجزتم ولم يكـن عَلَفٌ ... تُسِيغُـه عنـدكم فبِيعُوها

[عربدة يوسف بن جعفر عليه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني ابن شِبْل البُرْجُمِيّ قال : كان محمد بن يسير يعاشر يوسف بن جعفر بن سليمان ، وكان يوسف أشدَّ خلق الله عربدةً ، وكان يخاف لسان ابن يسير فلا يُعربد عليه . ثم جرى بينهما ذات يوم كلام على النبيذ ولِحاءٌ ، فعربد يوسف عليه وشَجَّه ، فقال ابن يسير يهجوه : [من الكامل]

لا تجلسَنْ مع يوسفٍ في مجلسٍ ... أبداً ولم تَحمِلْ دَمَ الأَخوَيْنِ[3]

---

1 دكان : مصطبة .

2 نكتة : ألقاه على رأسه .

3 دم الأخوين : نبات ذو صبغ أحمر ، العندم .

رَيْحانُه بــدمِ الشبابِ مُلَطَّخٌ وتحيَّــةُ النَّدْمانِ لَطْــمُ العَينِ

[الغلام الذي نبتت لحيته]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني الحسين بن يحيى المنجّم قال حدَّثني أبو عليّ بن الخُراسانيّ قال : كان لمحمّد بن يسير البصريّ بابانِ يدخل من أحدهما وهو الأكبر ، ويدخل إليه إخوانه من الباب الآخر وهو الأصغر ، ومَنْ يَسْتَشْرِط[1] من المُرْدِ . فجاءَ يوماً غلامٌ قد خرجتْ لحيته ، كانت عادته أن يدخل من الباب الأصغر ، فمنع من ذلك فجعل يُخاصم لدالّته ، وبلغ ابنَ يسير فكتب إليه : [من مجزوء الرمل]

قُلْ لِمَــنْ رامَ بجَهْلٍ مَدْخــلَ الظَّبــي الغريرِ
بعــد أن عَلَّق في خَــ ــدّيه مِخـلاةَ الشَّعيرِ
لَيَتَــه يدخــل إنْ جا ء مــن البــابِ الكبيرِ

[شعره في رجل يصيب بالعين]

وأخبرني عمّي قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان قال : كنّا في مجلسٍ ومعنا محمد بن يسير وعمرو القِصافيّ ، وعندنا مغنّية حسنة الوجه شَهْلة[2] تغنّي غناءً حسناً ، فكنّا معها في أحسن يوم ، وكان القِصافيّ يَعين[3] في كلّ شيء يستحسنه ويحبّه ، فما برِحْنا من المجلس حتى عانها ، فانصرفتْ محمومةً شاكيةَ العين . فقال ابن يسير : [من الخفيف]

إنّ عمــراً جَنى بعينيه ذنبــاً قَلَّ منّــي فيــه عليه الدُّعاءُ
عانَ عَيْنــا ، فعينُــه للتي عــا ن فِدًى ، وقَــلَّ منــه الفِداءُ
شرُّ عينٍ تَعِيـنُ أحسَنَ عــينٍ تَحمِلُ الأرضُ أو تُظِلُّ السماءُ

[شعره في جار منعه حماراً]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثنا القاسم بن الحسن قال : استعار ابن يسير من بعض الهاشميين من جيرانه حماراً كان له ليمضي عليه في حاجةٍ أرادها فأبى عليه ، فمضى إليها ماشياً ، وكتب إلى عمرو القِصافيّ ، وكان جاراً للهاشميّ وصديقاً ، يشكوه إليه ويُخبره بخبره : [من البسيط]

1 استشرط : فسد بعد صلاح .
2 شهلة : نصَف عاقلة .
3 يعين : يصيب بالعين .

إنْ كنتُ لا عَيْرَ لِي يوماً يُبلِّغني ... حاجِي وأَقضِي عليه حقَّ إخواني

وضَنَّ أهـلُ العَوارِي حِين أسألُهم ... من أَهلِ ودِّي وخُلْصاني وجيراني

فإنَّ رِجْلَيَّ عندِي ، لا عَدِمْتُهما ، ... رِجْلا أخِي ثِقةٍ مُـذْ كان جَوْلانِي

تُبَلِّغانِيَ حاجاتــي وإن بَعُـدَتْ ... وتُدْنِيانِـــيَ مِمّـــا ليس بالدّاني

كأنَّ خَلْفِي إذا مــا جَدَّ جِدُّهما ... إعصارَ عاصفــةٍ مِمّــا تُثِيرانِ

رِجلايَ لَــم تألَما نَكْباً كأنّهما ... قَطّــاً وقَـدّاً وإدماجــاً مَداكانِ[1]

كأن مــا بهما أخطــو إذا ارتميا ... في سِكّةٍ مـــن أيِ رالٍ سماكانِ[2]

إن يُبْعَثــا في دَهاسٍ تَبْعَثــا رَهَجاً ... أو في حُزُونٍ ذَكا فيهــا شِهابانِ[3]

فالحمدُ لله يــا عمرُو الذي بهما ... عن العواري ومـــنٌ الناسِ أغناني

[جلة التمر والشكوى إلى والي البصرة]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا محمد بن داود بن الجرّاح قال حدَّثني محمد بن سعد الكُرانيّ قال : كنّا في حَلْقة التَّوَّزِيّ ، فلمّا تقوّضتْ أنشدنا محمد بن يسير لنفسه قولَه : [من البسيط]

جُهْـدُ المُقِــلِّ إذا أعطاه مصطبراً ... ومُكثِرٌ مـن غِنًى سِيّانِ في الجودِ

لا يَعْدَمُ السائلــون الخيرَ أفْعَلُـهُ ... إمّا نَــوالي وإمّا حُسْنَ مردودِ

فقلنا له : ما هذا التكارُم ! وقمنا إلى بيته فأكلنا من جُلّة[4] تَمرٍ كانت عنده أكثَرَها وحمَلْنا بقيّتَها . فكتب إلى والي البصرة عُمَر بن حَفْص : [من المديد]

يــا أبــا حَفْص بِحُرْمتنا ... غبتَ عنّـــا حين نُنْتَهكُ

خُــذْ لنا ثــأراً بجُلّتنا ... فبِــكَ الأوتــارُ تُدرَكُ

لهفَ كفّــي حين تَطْرَحُها ... بين أيـدي القوم تَبْتَرِكُ[5]

زارنا زَوْرٌ فــلا سَلِموا ... وأُصِيبـوا أيّـــةً سَلَكوا[6]

1 المداك : مدق الطيب .

2 الرأل : ولد النعام .

3 الدهاس : المكان السهل . والرهج : الغبار . والحزون : جمع حزن ، وهو ما غلظ من الأرض .

4 الجلة : وعاء من خوص .

5 يقال ابتركت السحابة ، إذا اشتدّ مطرها .

6 الزور : الزائرون .

أَكَلُـوا حتَّـى إذا شبِعوا أُخذوا الفضلَ الذي تَرَكوا

قال : فبعث إلينا فأحضرَنا فأغرَمَنا مائة درهم ، وأُخذ من كلٍّ واحدٍ منّا جُلَّة تمرٍ ، ودفع ذلك إليه .

[بينه وبين أحمد بن يوسف]

أُخبرني الأُخفش قال حدَّثنا أُبو العَيْناء قال : كان بين محمّد بن يسير وأحمد بن يوسف الكاتب شرٌّ ، فزحمه أحمد يوماً بحماره تعرّضاً لشرِّه وعَبَثاً به ، فأخذ ابنِ يسير بأُذن الحِمار وقال له : قُلْ لهذا الحِمار الراكب فوقك لا يُؤذي الناس ، فضحك أحمد ونزل ، فعانقه وصالحه .

[يستهدي المدينيّ حماماً]

أُخبرني عمِّي قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني محمّد بن عليٍّ الشاميّ قال : طلب محمّد بن يسير من ابن أَبي عمرو المدينـيّ فِراخاً من الحمام الهُدَّاء[1] ، فوعده أن يأخذها له من المُثَنَّى بن زُهَيْر ، ثم نَوَّر عليه (أي أعطاه فراخاً غير منسوبة دَلَّسها عليه وأُخذ المنسوبة لنفسه) . فقال محمد بن يسير : [من الكامل]

يــا ربِّ رَبَّ الرائحـينَ عشيَّةً بالقومِ بـين مِنًـى وبـين ثَبيرِ
والواقفين على الجبـالِ عشيّـةً والشمسُ جانحـةٌ إلى التغويرِ[2]
حتى إذا طَفَـلَ العَشِيُّ ووجَّهَتْ شمسُ النَّهـارِ وآذَنَـتْ بغُؤورِ[3]
رحلوا إلى خَيْفٍ نَواحِـلَ ضَمَّها طُـولُ السِّفارِ وبُعْـدُ كلِّ مَسِيرِ[4]
ابْعَـثْ على طير المَدِينـيِّ الـذي قــال المُحـال وجـاءني بِغُرُورِ
ابعث على عَجَـلٍ إليها بعدما يأخُـذْنَ زينَتَهـنَّ في التحسيرِ[5]
في كلِّ ما وَصَفُوا المراحِلَ وابتَدَوْا في المُبْتَدِيـن بهـنّ والتكسيرِ
ومَضَيْنَ عـن دُور الخُرَيْبَةِ زُلْفَةً دونَ القصورِ وحَجْـرَةِ الماخُورِ[6]

1 الهداء : ضرب من الحمام يعرف بالزاجل .
2 التغوير : الغروب .
3 طفلت الشمس : مالت إلى الغروب . غئور : غياب .
4 خيف : خيف منى . ورحل البعير : وضع عليه الرحل .
5 التحسير : سقوط ريش الطائر .
6 الخريبة : موضع بالبصرة .

مـع كلِّ ريحٍ تَغتـــدِي بهُبوبِها ... في الجـوِّ بـين شَواهِنٍ وصُقورِ

من كلِّ أكلَفَ بــاتَ يَدْجُنُ ليلُهُ ... فغدا بغُـدْوةِ ساغِـــبٍ ممطورِ

ضَرِمٍ يقلِّـب طَرْفَـــه مُتأنِّساً ... شيئاً فكُـنّ لـه مـن التقديرِ[1]

يأتــي لهـنّ ميامِنـاً ومَياسِراً ... صَكّاً بكـلِّ مُذلَّــقٍ مَمْكُورِ[2]

مِن طائـــرٍ مُتَحيِّرٍ عـن قصدِهِ ... أو ساقِـطٍ خَلِجِ الجَناحِ كَسِيرِ

لم ينجُ منـه شَريدُهنّ فإن نجا ... شيءٌ فصار بِجانبـــاتِ الدُّورِ

لُمشَمِّرين عـــن السواعِدِ حُسَّرٍ ... عنها بكـلِّ رَشِيقـةِ التَّوتيرِ[3]

سُدُدِ الأكُفِّ إلى المَقاتِلِ صُيَّبٍ ... سَمْتَ الحُتوفِ بجُؤْجُؤٍ ونُحورِ[4]

ليس الذي تُخطـي يـداه رَمِيَّةً ... منهـم بمعـــدودٍ ولا معذورِ

يَتَبوَّعُــون وتمتطـي أيدِيهـمُ ... في كلِّ مُعْطِيَة الجِـذابِ نَتُورِ[5]

عُطُفَ السِّياتِ دوائراً في عِطْفِها ... تُعْزى صِناعتُهـــا إلى عُصفورِ[6]

يَنْفُشْن عـــن جَذْبِ الأكُفِّ ثواقباً ... مُتَشابِهـــاتِ القَـــدِّ والتَّدويرِ[7]

تجري بهـــا مُهَجُ النفوس وإنّها ... لَنواصِلٌ سُلْتٌ مـــن التَّحبيرِ[8]

مــا إن تُقَصِّرُ عن مَدى مُتَباعِدٍ ... في الجوِّ يَحْسُرُ طَرْفَ كلِّ بصيرِ

حتّى تــراه مُرَمَّـــلاً بدِمائِـهِ ... فكأنَّـــه مُتَضَمِّـــخٌ بِعَبيرِ

فَيَظَـــلُّ يومُهُـم بعيشٍ ناصبٍ ... نُصُبَ المَراجِـلِ مُعْجَلي التنويرِ

ويَئُـوب ناجِيهنّ بـين مُضَرَّجٍ ... بـدَمٍ ومخلـوبٍ إلى مَنْسُورِ[9]

---

1 الضرم : الذي اشتدّ جوعه . والمتأنس : البازيّ الذي يرفع رأسه وينظر .

2 صكّه صكّاً : ضربه ضرباً شديداً . ومذلق : محدّد .

3 لمشمّرين : أي أنّ هذه الصقور والشواهين لصيادين مشمرين . الرشيق من الغلمان والجواري : الخفيف الحسن القدّ .

4 السمت : الطريق والقصد . الجؤجؤ : الصدر .

5 يتبّوع : يمد باعه . ومعطية الجذاب : قوس لينة الجذب . والنتور : الشديدة الجذب . مُعطية الجذاب نَتُورٍ في ل : طائفة الجدار بتور .

6 سية القوس : ما عطف من طرفيها . وعصفور القواس : إليه تضاف القسي العصفورية .

7 ثواقب : أي تثقب الهدف وتخترقه .

8 نواصل : سقطت نصالها . سلت من التحبير : أجيد بريها ولم يبق فيها نتوء .

9 مخلوب : مجروح بمخلب . ومنسور : منتوف .

عارِي الجَناح من القَوادِمِ ، والقَرا كاسٍ ، عليـه مائـرُ التَّامُورِ[1]
فيَئُـودُه مُتَبَهْنِسٌ في مشيـهِ خَطِفُ المؤخَّرِ مُشْبَعُ التَّصديرِ[2]
ذو حُلْكة مثـلِ الدُّجى أو غُبْثَةٍ شَغِبٌ شديدُ الجِـدِّ والتشميرِ[3]
فيمرُّ منهـا في البَراري والقُـرى مـن كلِّ أَعْصَلَ كالسِّنانِ هَصُورِ[4]
في حيَنٍ تُؤذيهـا المَبايتُ مَوْهِناً أو بعـد ذلـك آخِـرَ التسحيرِ
يختصّ كلَّ سليـلِ سابقٍ غايـةٍ مَحْضِ النِّجـار مُجـرَّبٍ مخبُورِ
عَجِّلْ عليـه بما دعوتُ له به أَرِه بـذاك عقوبـةَ التّنويرِ
حتى يقولَ جميعُ مَنْ هو شامِتٌ هـذي إجابـةُ دعـوة ابنِ يسيرِ
فَلأُلْفِيَنَّك عنـد حالَـيْ حَسْرَةٍ وتـأسُّفٍ وتَلَهُّـفٍ وزَفيـرِ
ولَتُلْفَيَـنَّ إذا رَمَتْـك بسهمهـا أيدي المصائب منك غيرَ صبورِ

[قصر النوشجاني]

أُخبرني عمِّي قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان قال : خرجنا مع بعض ولد النُّوشجانيّ إلى قصرٍ له في بستانهم بالجَعْفَريّة ، ومعنا محمّد بن يسير ، وكان ذلك القصر من القصور الموصوفة بالحسن ، فإذا هو قد خَرِب واختلّ ، فقال فيه محمد بن يسير : [من الوافر]

أَلا يـا قصرُ قَصرَ النُّوشَجاني أرى بك بعد أَهْلِكَ ما شجاني
فلَوْ أَعفـى البـلاءُ ديارَ قـومٍ لفضلٍ منهـمُ ولعُظْـمِ شانِ
لَما كانت تُرى بِـك بَيِّناتٍ تلـوح عليك آثـارُ الزَّمانِ

[يرثي نفسه]

أُخبرني عمِّي قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثنا محمّد بن أَبي حرب قـال أَنشدنا يوماً محمّد ابن يسير في مجلس أَبي محمد الزاهـد صاحب الفُضَيْل بن عِياض لنفسه قال : [من السريع]

وَيْلٌ لِمَـنْ لَم يرحمِ اللّهُ ومَـن تكـونُ النارُ مَثواهُ

---

1 القرا : الظهر . التامور : الدم . ومار الدم : إذا جرى .
2 متبهنس في ل : متعضن . يدعو على الحمام الباقي أن يقع ين مخالب السنانير الشبيهة بالأسود .
3 الغبثة : لون إلى الغبرة . وشغب : متهيج بالشر .
4 أعصل : ناب شديد معوجّ .

واغفَلَتا في كلّ يومٍ مضى ... يُذْكِـرُني المـوتَ وأنساهُ
مَن طال في الدُّنيا به عمْرُه ... وعاش فالمـوتُ قُصاراهُ
كأنّه قـد قيل في مجلسٍ ... قـد كنـتُ آتِيهِ وأغْشاهُ
محمّـدٌ صارَ إلى ربِّـه ... يَرْحَمُنـا الله وإيَّـاهُ

قال : فأبكى والله جميع مَن حضر .

[داود بن أحمد بن أبي دواد يدلّ عليه أهله]

أخبرني الحسن بن عليٍّ وعمّي قالا حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني أبو الشِّبْل قال : كان محمّد بن يسير صديقاً لداود بن أحمد بن أبي دُواد كثيرَ الغِشْيان لـه ففقده أهلُه أيّاماً وطلبوه فلم يجدوه ، وكان مع أصحابٍ له قد خرجوا يتنزَّهون فجاءوا إلى داود بن أحمد يسألونه عنه ، فقال لهم : اطلبوه في منزل «حُسْن» المغنِّية فإن وجدتموه وإلاّ فهو في حبس أبي شُجاع صاحب شُرْطة «خُمار» التركيّ . فلمّا كان بعد أيّامٍ جاءه ابن يسير فقال له : إيهٍ أيّها القاضي ، كيف دَلَلتَ عليَّ أهلي ؟ قال : كما بَلَغك ، وقد قلتُ في ذلك أبياتاً . قال : أَوَ فعلتَ ذلك أيضاً ؟ زِدْني من بِرّك ، هات ، أَيْش قلتَ ؟ فأنشده : [من الوافر]

ومُرسِلةٍ تُوجِّـهُ كلَّ يـومٍ ... إليَّ ومـا دعـا للصبحِ داعِي
تُسائلني وقـد فقَـدوه حتَّى ... أَرادوا بعــده قَسْمَ المَتـاعِ
إذا لم تَلْقَـه في بيت «حُسْنٍ» ... مقيمـاً للشَّرابِ وللسَّماعِ
ولم يُـرَ في طريق بني سَدُوسٍ ... يَخُطُّ الأَرضَ منـه بالكُراعِ[1]
يَدُقُّ حُزُونَهـا بالوجه طَوْراً ... وطَـوْراً باليديـن وبالذِّراعِ
فقد أعيـاك مَطْلَبُـه وأمسى ... (فلا تَغْلَط) حَبِيسَ أبي شُجاعِ

قال : فجعل ابن يسير يضحك ويقول : أيّها القاضي لو غيرُك يقول لي هذا لعرفَ خبرَه . ثم لم يبرح ابن يسير حتى أعطاه داود مائتي درهم وخلَع عليه خِلْعةً من ثيابه .

[شعره في الحكم]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني عليُّ بن القاسم طارمةُ قال : كنت مع المعتصم لّما غزا الروم ، فجاء بعض سَراياه بخبر عمِّه[2] ، فركِب من فَوْرِه وسار أَجَدَّ سيرٍ وأنا أُسايره ، فسمع مُنْشداً يتمثّل في عسكره : [من البسيط]

1 الكراع : ما دون الركبة إلى الكعب .
2 ل : غمّه .

إنّ الأمور إذا انْسَدَّتْ مَسالِكُها فالصبرُ يَفْتَح منها كلَّ ما ارتَتَجا[1]
لا تيأسَنَّ وإنْ طالتْ مُطالبَةٌ إذا استعنتَ بصبر أن ترى فَرَجا

فسُرَّ بذلك وطابت نفسه ، ثم التفت إليّ وقال لي : يا عليُّ أتَروي هذا الشعر ؟ قلت نعم . قال : من يقوله ؟ قلت : محمد بن يسير . فتفاءل باسمه ونسبه ، وقال : أمر محمود وسير سريع يَعقُب هذا الأمرَ . ثم قال : أنْشِدْني الأبيات ، فأنشدتُه قوله : [من البسيط]

ماذا يكلّفُكَ الرَّوْحاتِ والدُّلَجا البَرَّ طوراً وطوراً تركَبُ اللُّجَجا
كَمْ مِن فتًى قَصُرَتْ في الرِّزْقِ خُطْوَتُهُ ألفيتَه بِسهام الرزق قد فَلَجا[2]
لا تَيْأسَنَّ وإنْ طالتْ مُطالبَةٌ إذا استعنَت بصبر أن ترى فَرَجا
إنّ الأمور إذا انْسَدَّت مَسالِكُها فالصبرُ يفتح منها كلَّ ما ارتَتَجا
أَخْلِقْ بذي الصبرِ أن يَحْظى بحاجته ومُدْمِنِ القَرْعِ للأبوابِ أن يَلِجا
فاطْلُبْ لرجلك قبل الخَطْوِ مَوْضِعَها لَمَنْ عَلا زَلَقاً عن غِرَّة زَلَجا
ولا يَغُرَّنْك صَفْوٌ أنت شارِبُه فربّما كان بالتكدير مُمتَزِجا
لا يُنتَجُ النّاسُ إلاّ من لِقاحِهِمُ يبدو لِقاحُ الفتى يوماً إذا نُتِجا

[خشي أن يفرد بالصفح]

أخبرني عيسى بن الحسين والحسن بن عليٍّ وعمِّي قالوا : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبو الشِّبْل قال : كنّا عند قُثَم بن جعفر بن سليمان ذاتَ يومٍ ومعنا محمد بن يسير ونحن على شرابٍ ، فأمر أن نُبخَّر ونُطَيَّب ، فأقبلتْ وَصيفةٌ له حسنةُ الوجه ، فجعلتْ تبخِّرنا وتُغلِّفنا بغاليةٍ كانت معه . فلمّا غلَّفت ابنَ يسير وبخَّرته التفتَ إليّ ، وكان إلى جنبي ، فأنشدني : [من البسيط]

يا باسطاً كفَّه نَحْوِي يُطيِّبني كفَّاكَ أُطيبُ يا حِبِّي من الطِّيبِ
كفَّاكَ يجري مكانَ الطيبِ طِيبهما فلا تَزِدْني عليها عند تطييبي
يا لائمي في هواها أنتَ لم ترها فأنت مُغْرًى بتأنيبي وتعذيبي
انْظُرْ إلى وجهها ، هل مِثلُ صورتها في الناس وجهٌ مُجَلّى غيرُ محجوب ؟

1 ارتتج : استغلق .
2 فلج : فاز .

فقلت له : اسكت ويلَك ! لا ، تُصْفَعُ والله وتُخْرَجُ . فقال : والله لو وثقتُ بأن نُصْفَع جميعاً لأنشدتُه الأبيات ، ولكنّي أخشى أن أُفرَدَ بالصَّفْع دونك .

[وصف أهل الجدل]

أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدَّثنا الكُرانيُّ قال : حدَّثنا الرِّياشيّ قال : كان محمد بن يسير جالساً في حَلْقتنا في مسجد البَصْرة ، وإلى جانبنا حَلْقةُ قومٍ من أهل الجَدَل يتصايحون في المقالات والحجج فيها ، فقال ابن يسير : اسمعوا ما قلت في هؤلاء ، فأنشدَنا قوله : [من السريع]

يا سائلي عن مقالة الشِّيَعِ ... وعن صنوف الأهواء والبِدَعِ
دَعْ عنك ذِكْرَ الأهواء ناحيةً ... فليس مِمَّن شَهِدتُ ذو وَرَعِ
كلٌّ أُناسٍ بَدِيُّهم حَسَنٌ ... ثم يصيرون بعدُ للسُّمَعِ
أكثرُ ما فيه أن يقالَ لهم : ... لم يَكُ في قوله بمُنْقَطِعِ

[يستغني عن التدوين]

أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني محمد بن عليٍّ الشاميُّ قال : كان محمد بن يسير يصف نفسه بالذكاء والحفظ والاستغناء عن تدوين شيء يسمعه ؛ من ذلك قوله : [من الطويل]

إذا ما غدا الطُّلاَّبُ للعلم ما لهم ... من الحظّ إلاّ ما يُدَوَّن في الكُتْبِ
غَدَوْتُ بتشمير وجِدٍّ عليهمُ ... فَمِحْبَرتي أُذْني ودَفْتَرُها قلبي

[من حِكَمِه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني إبراهيم بن المدبَّر قال : كان إبراهيم بن رِياح إذا حَزَبه الأمر يقطعه بمثل قول محمد بن يسير : [من مجزوء الكامل]

تُخْطِي النفوسُ مع العِيا ... ن وقد تُصيب مع المَظِنَّهْ
كم من مَضِيقٍ في الفضا ... ومَخْرَجٍ بين الأسِنَّهْ

[النعل الخلق]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني الحسن بن أبي السَّريّ قال : مرَّ ابن يسير بأبي عثمان المازنيّ فجلس إليه ساعة ، فرأى مَنْ في مجلسه يتعجّبون من نعل كانت في رِجله خَلَقٍ وَسِخةٍ مقطَّعة ، فأخذ ورقةً وكتب فيها : [من الخفيف]

كم أرى ذا تعجُّبٍ من نِعالي ... ورضائي منها بلُبْسِ البَوالي

كلّ جَرْداء قد تكنَّفها الخصفُ ... مــن اقطارِهــا بسود النِّقالِ
لا تُدانَى ، وليس تشبِه في الخِلْـ ... ـقةِ إن أُبرِزَتْ ، نِعالَ المَوالي
مَن يُغالِ مــن الرجال بنَعْلٍ ... فسِوايَ إذاً بهــنّ يُغـالي
لــو حَذاهــنّ للجَمالِ فإنّي ... في سواهــنّ زينتي وجَمالي
في إخائي وفي وفائــي ورأيي ... ولسانــي ومَنطِقــي وفَعـالي
ما وقاني الحَفــا وبلّغني الحا ... جــةَ منهــا فإنّنــي لا أُبالي

[بكاؤه على ألواح آبنُوس سرقت منه]

أخبرني عمّي قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني عبد الله بن محمد بن يسير قال : دعا قُثَم بن جعفر بن سليمان أبي فشرب عنده ، فلمّا سَكِر سَرق منه ألواح آبنُوس كانت تكون في كمّه ، فقال في ذلك : [من الخفيف]

عَيْــنُ بَكّــي بعَبْرةٍ تَسْفــاحِ ... وأقيمــي مآتِــمَ الأنْــواحِ[1]
فــإذا مــا بكــى أنيس لأنْسٍ ... قــد تــولى فابكي على الألواحِ
أَوْحشَتْ حُجْزَتي ورُدْنايَ منها ... في بُكُوري وعنــد كلِّ رَواحِ[2]
واذكُرِيها إذا ذَكَرْتِ بما قــد ... كان فيهــا مــن مَرْفِقٍ وصلاحِ
آبنُوسٌ دَهمــاءُ حالِكــةُ اللّــوْ ... ن لُبــابٌ مــن اللِّطاف المِلاحِ
ذاتُ نفــع خفيفةُ القَــدْرِ والمَحْـ ... ـمِلِ حُلْكُوكَــةُ الذُّرا والنواحي
وسريــعٌ جُفُوفُهــا إنْ محاهــا ... عند مُمْلٍ مُستعجِلُ القوم ماحي
هي كانــت على عُلومــيَ والآ ... دابِ والفقــهِ عُدَّتــي وسِلاحِي
كنت أغدو بهــا على طلب العلـ ... ـمِ إذا مــا غَدوتُ كلَّ صباحِ
هي كانت غِــذاءَ زَوْري إذا زا ... رَ ، ورِيَّ النديمِ يومَ اصطباحي

يعني أنّه يعمل فيها الشعر ويطلب لزوّاره المأكول والمشروب .

آبَ عُسرِي وغاب يُسْرِي وجُودي ... حين غابتْ وغاب عنّي سَماحي

[يهجو أحمد بن يوسف]

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا عبد الله بن أحمد قال : كان

---

1 ويروى : الألواح .
2 الحجزة : معقد الإزار .

محمّد بن يسير يُعادي أحمد بن يوسف ، فبلغه أنّه يتعشَّق جاريةً سوداء مغنّية ، فقال ابن يسير يهجوه : [من السريع]

أقــولُ لّمــا رأيتُــه كَلِفاً ... بكــلِّ سوداءَ نَـزْرةٍ قَذِرَهْ[1]

أهلٌ لعمري لِما كَلِفْتَ بــه ... عند الخنازيرِ تَنْفُــق العَذِرَهْ

أخبرني وكيع قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا أبو العواذل قال : عُوتِبَ محمد بن يسير على حضور المجالس بغير ورق ولا مَحْبَرةٍ ، وأنّه لا يكتب ما يسمعه ، فقال : [من السريع]

مــا دخــلَ الحَمَّامَ من عِلْمِي ... فَذاكَ مــا فــازَ بــه سَهْمِي

والعِلْمُ لا ينفعُنِــي جَمْعُــه ... إذا جَرى الوهــمُ على فهمي

[ألواح الآبنوس مرّة أخرى]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن يزيد قال : كان محمد بن يسير يُعاشر ولدَ جعفر بن سُلَيمان ، فأخذ منه قُثَمُ بن جعفرٍ ألواحَ آبنوس كان يكتب فيها بالليل[2] ؛ فقال ابن يسير في ذلك : [من المديد]

أبقتِ الألــواحُ إذْ أُخِذَتْ ... حُرْقــةً في القلــبِ تَضْطَرِمُ

زانَهـــا فَصّانِ مــن صَدَفٍ ... واحْمــــرارُ السَّيْــرِ والقلــمُ

وتولَّـــى أخذَهـــا قُثَــمٌ ... لا تولَّـــى نفعَهـــا قُثَــمُ

[بينه وبين هاشمي]

أخبرني الأخفش قال : حدّثنا محمد بن يزيد قال : كان محمد بن يسير يُعاشر بعض الهاشميين ، ثم جفاه الهاشميّ لِمَلالٍ كان فيه فكتب إليه ابن يسير قوله : [من الكامل]

قد كنتُ مُنْقَبِضاً وأنتَ بَسَطْتَني ... حتى انبسطتُ إليك ثم قَبَضْتَني

أَذْكَرْتَني خلُـقَ النِّفاق وكان لي ... خلُقاً فقـد أحسنتَ إذ أذْكَرْتَني

لو دامَ ودّك وانبسطتُ إلى امرىءٍ ... في الودّ بعدك كنتَ أنت غَرَرْتَني

فهلُمَّ نَجْتَذِب التَّذاكُــرَ بيننـــا ... ونعـــود بعـدُ كأنّنـــا لم نَفْطَنِ

[شعره بعد السكر]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريُّ قال : حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال : حدَّثنا مسعود بن يسير قال : شَرِب محمد بن يسير نبيذاً مع قومٍ فأسكروه ، حتى خرَج من عندهم وهو

1 النزرة : القليلة الولد أو اللبن .

2 ل : بالميل .

لا يعقِل فأخذ رِداءه وعثَر في طريقه وأصاب وجهَه آثار ؛ فلمّا أفاق أنشأ يقول : [من السريع]

شاربتُ قوماً لم أُطِقْ شُرْبَهمْ ... يَغْـرَقُ في بَحْرِهـمُ بَحْري
لَمّـا تَجارَيْنـا إلى غايـةٍ ... قصَّر عـن صَبْرِهـم صبري
خرجتُ مـن عندهمُ مُثْخَناً ... تَدْفَعُنـي الجُـدْرُ إلى الجُدْرِ
مُقَبَّحَ المَشي كَسيرَ الخُطـا ... تَقْصُر عنـد الجِدِّ عن سَيْري
فلستُ أَنسى ما تجشَّمت مِنْ ... كَدْحٍ ومـن جُرْحٍ ومن أَثْرِ
وشَقِّ ثـوبٍ وتَـوى آخَرٍ ... وسَقْطـةٍ بـانَ بها ظُفْري[1]

حدّثني عمِّي وجحظة عن أحمد بن الطبيب قال : حدَّثنا بعضُ أصحابنا عن مسعود بن يسير ، ثم ساق الخبر مثلَه سواء .

[مع جعيفران الموسوس في بستان]

أُخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرزُبان قال : حدَّثني أبو العَيْناء قال : اجتمع جُعَيْفِرانُ المَوَسْوِس ومحمد بن يسير في بُستان ، فنظر إلى محمد بن يسير وقد انفرد ناحيةً للغائط ، ثم قام عن شيء عظيم خرج منه ، فقال جعيفران : [من المجتث]

قـد قلتُ لابنِ يَسيرٍ ... لمّا رَمـى من عِجانِهْ
في الأرض تَلَّ سَمادٍ ... عَـلا عـلى كُثْبـانهْ
طُوبى لصاحب أرضٍ ... خَرِئْـتَ في بُستانهْ

قال : فجعل ابن يسير يشتُم جعيفران ويقول : أيَّ شيء أردتَ منّي يا مجنونُ يا ابن الزانية حتى صيَّرتني شُهرةً بشعرك !!

[يستسقي والي البصرة نبيذاً]

أخبرني جحظة قال : حدَّثني سوار بن أبي شُراعة قال : حدَّثني عبد الله بن محمد بن يسير قال : كان أبي مشغوفاً بالنبيذ مشتهراً بالشُّرْب ، وما بات قطُّ إلاّ وهو سكران ، وما نَبَذَ قَطُّ نبيذاً ، وإنّما كان يَشربه عند إخوانه ويستسقيه منهم ، فأصبحنا بالبصرة يوماً على مطرٍ هادٍّ[2] ، ولم تُمْكِنْه معه الحركة إلى قريبٍ من إخوانه ولا بعيد وكاد يُجَنُّ لّما فقد النبيذَ . فكتب إلى والي[3] البَصْرةِ وكان هاشميّاً ، وهو محمد بن أيُّوب بن جعفر بن سليمان قال : [من البسيط]

---

1 توى : هلك .
2 المطر الهاد : الذي له صوت .
3 ل : أمير .

كَمْ في عِلاجِ نَبيذِ التمرِ لي تَعَبٌ ... الطبخُ والدَّلْكُ والمِعصارُ والعَكَرُ
وإنْ عَدَلْتُ إلى المطبوخ مُعْتَمِداً ... رأيْتَني منه عند الناسِ أشتهِرُ
نَقْلُ الدِّنانِ إلى الجيران يَفْضَحُني ... والقِدْرُ تتركني في القوم أعتذرُ
فصِرْتُ في البيت أستسقي وأطلبه ... من الصَّدِيقِ ورُسْلِي فيه تَبْتَدِرُ
فمنهُم باذِلٌ سَمْحٌ بحاجتنا ... ومنهمُ كاذبٌ بالزُّور يَعْتَذِرُ
فَسقِّني رِيَّ أيّامٍ لتَمنَعني ... عمَّنْ سِواكَ وتُغْنيني فقد خَسِروا
إن كان زِقٌّ فَزِقٌّ أو فوافِرَةٌ ... من الدَّساتِيج لا يُزْرِي بها الصِّغَرُ
وإنْ تَكُنْ حاجتي ليستْ بحاضرةٍ ... وليس في البَيْتِ من آثارها أَثَرُ
فاسْتَسْقِ غيرَك أو فاذْكُرْ له خَبَري ... إنِ اعْتَراك حَياءٌ منه أو حَصَرُ
ما كان من ذلكم فليأتني عَجِلاً ... فإنَّني واقفٌ بالبابِ أنتظِرُ
لا لي نبيذٌ ولا حُرٌّ فيدعوَني ... وقد حَمانيَ من تَطْفيليَ المَطَرُ

قال : فضحك لمّا قرأها ، وبعث إليه بزقٍّ نبيذٍ ومائتي درهم ، وكتب إليه : اشرب النبيذ وأنفق الدراهم إلى أن يُمْسِك المطر ويتّسع لك التطفيل ، ومتى أعوزك مكان فاجْعَلْنِي فَيْئةً[1] لك ، والسلام .

صوت

[من المنسرح]

أنت حَدِيثي في النومِ واليَقَظَهْ ... أتْعَبْتُ مّما أُهْذِي بك الحفَظَهْ
كم واعظٍ فيك لي وواعظةٍ ... لو كنتُ ممّن تنهاه عنك عِظَهْ

الشعر لديك الجنِّ الحِمْصِيّ . والغناء لِعَريب ، هَزَج ، ذكر ذلك ذُكاء وَجْهُ الرُّزّة وقُمْرِيٌّ جميعاً .

1 فيئة : مرجع .

[256] ـ أخبار ديك الجنّ ونسبه[1]

[نسبه]

دِيكُ الجِنّ[2] لَقَبٌ غَلَب عليه ، واسمه عبد السلام بن رَغْبان بن عبد السلام بن حَبِيب بن عبد الله بن رَغْبان بن يزيد بن تميم . وكان جَدّه تميم ممّن أنعم الله ، عزّ وجلّ ، عليه بالإسلام منْ أهل مُؤْتَةَ على يَديْ حَبِيبِ بن مَسْلَمَة الفِهْريّ ، وكان شديد التشعُّب[3] والعصبيّة على العرب ، يقول : ما للعرب علينا فضل ، جمعتنا وإيّاهم ولادةُ إبراهيم ﷺ ، وأسلمنا كما أسلموا ، ومَنْ قَتَل منهم رجلاً منّا قُتِل به ، ولم نَجِد الله عزّ وجلّ فضّلهم علينا ، إذ جَمَعَنا الدِّين .

[شعره]

وهو شاعرٌ مُجِيدٌ يذهب مذهبَ أبي تمّام والشاميِّين في شعره . من شعراء الدَّوْلة العبّاسيّة . وكان من ساكني حِمْص ، ولم يبرح نواحيَ الشام ، ولا وَفَد إلى العِراق ولا إلى غيره مُنتجعاً بشعره ولا مُتَصَدِّياً لأحد . وكان يتشيّع تشيُّعاً حسناً ، وله مَراثٍ كثيرةٌ في الحسين بن عليٍّ ، عليهما السلام ، منها قوله[4] : [من المنسرح]

يــا عـــينُ لا لِلقَضا ولا الكُتُبِ بُكا الرَّزايا سِوى بُكا الطَّرَبِ[5]

وهي مشهورة عند الخاص والعام ، ويناح بها . وله عدّة أشعار في هذا المعنى . وكانت له جاريةٌ يهواها ، فاتّهمها بغلامٍ له فَقَتَلها ، واستنفد شعره بعد ذلك في مَراثيها .

[يهجو ابن عمه]

قال أبو الفرج : ونسختُ خبره في ذلك من كتاب محمد بن طاهر ، أخبره بما فيه ابن أخ لديكِ الجنّ يقال له أبو وَهْب الحِمصي ، قال : كان عمِّي خليعاً ماجناً معتكفاً على القَصْف واللهو ، مِتْلافاً لِما وَرِثَ عن آبائه ، واكتسبَ بشعره من أحمد وجعفر ابنَيْ عليٍّ الهاشميَّين ، وكان له ابنُ عمّ يُكنى أبا الطَّيِّب يَعِظُه وينهاه عمّا يفعله ، ويحول بينه وبين ما يؤثِره ويركبه من لذّاته وربّما هجم عليه وعنده قومٌ من السفهاء والمُجّان وأهلِ الخَلاعة ، فيستخفّ بهم

---

1 لديك الجن ترجمة في وفيات الأعيان 3 : 184–187 والدميري 1 : 488 وثمار القلوب : 27 ، 470 وله أخبار في مصارع العشاق وتزيين الأسواق ، وانظر مقدّمة ديوانه تحقيق د . أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري (بيروت) .

2 ديك الجن دويبة توجد في البساتين .

3 التشعب : من الشعوبية وهي الطعن في العرب .

4 ديوانه : 31 .

5 للقضا في الديوان : للغضا .

وبه . فلمّا كَثُر ذلك على عبد السلام قال فيه[1] : [من المنسرح]

مَولاتُنـا يـا غـلامُ مُبْتكِـرَهْ فباكِـرِ الكأسَ لي بـلا نَظِرَهْ[2]
غَدَتْ على اللهو والمُجونِ ، على أن الفتـاةَ الحَيِيَّـةُ الخَفِـرَهْ
لِحُبِّها ، لا عَدِمْتُهـا ، حُـرَقٌ مطويَّـةٌ في الحَشا ومُنْتَشِرَهْ[3]
مـا ذُقْـتُ منهـا سوى مُقَبَّلِها وضَمِّ تلك الفُـروعِ مَنْحَدِرَهْ
وانْتهرَتْني فَمِـتُّ مـن فَـرَقٍ يـا حُسْنَها في الرِّضا ومُنتَهِرَهْ !
ثـم انثنتْ سَوْرَةُ الخُمـار بنا خِـلال تلك الغَدائِـرِ الخَمِرَهْ[4]
وليلـةٍ أشرفـتْ بِكَلْكَلِهـا عَلَـيَّ كالطَّيْلَسان مُعْتَجِـرَهْ[5]
فَتَقْتُ دَيْجُورَهـا إلى قَمَـرٍ أثوابُـهُ بالعَفـافِ مُسْتَتِرَهْ
عُـجْ عَبَراتِ المُدامِ نحوِيَ مِن عَشْرٍ وعِشْرِيـن واثنَتَيْ عَشَرَهْ[6]
قـد ذُكِـرَ الناسُ عن قِيامِهِمُ ذِكْرى بعَقْلي ما أصبحَتْ نَكِرَهْ[7]
مَعْرِفتـي بالصوابِ مَعْرِفَـةٌ غَـرَّاءُ إمَّـا عَرَفْتُـمُ النَّكِرَهْ
يا عجباً مـن أَبي الخبيثِ ومِنْ سُرُوجِـه في البَقائـرِ الدَّثِرَهْ[8]
يَحْمِـلُ رأساً تنبو المَعـاوِلُ عن صَفْحتِـه والجلامِـدُ الوَعِرَهْ
لَوِ البِغالُ الكُمْـتُ ارتقتْ سَنَداً فِيـهِ لَمَـدَّتْ قَوائِمـاً خَدِرَهْ[9]
ولا المَجانِيـقُ فِيـهِ مُغْنِيـةٌ أَلفٌ تَسامـى وأَلفُ مُنْكَدِرَهْ[10]

---

1 ديوانه : 78-84 .
2 نظرة : التأخير في الأمر .
3 صدر البيت في الديوان : «لحبها لاعج وبي حرق» .
4 الخمرة : التي تواري .
5 معتجرة : ملتفة بالكساء .
6 عبرات المدام : ما يصب منها في الكأس .
7 نكره في ل : ظفره .
8 البقائر الدثرة : الأبراد الوسخة .
9 الكمت : جمع كميت ، وهو ما كان لونه بين السواد والحمرة ، وفي الديوان : الصلب . السند : ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح .
10 منكدرة : منصبة .

أنظر إلى موضع المِقَصِّ من الـ ـــهامَةِ تلك الصَّفيحةُ العَجِرَهْ[1]
فَلَوْ أخذتمْ لهـا المَطارِقَ حَـ ـرّانِيَّـةً صَنْعَـةَ اليَـدِ الخَبِرَهْ
إذاً لراحـتْ أَكُـفُّ جِلَّتِهِـمْ كَليلـةً والأَداةُ مُنْـكَسِرَهْ
كَـمْ طَرَباتٍ أَفْسَدْتَهُنَّ وكَـمْ صَفْـوةِ عَيْشٍ غادرتَهـا كَدِرَهْ
وكَمْ إذا مـا رأَوْكَ يا مَلَكَ الـ ـمَوْتِ لهم مِـنْ أَنامِلٍ خَصِرَهْ[2]
وكَمْ لهـم دَعْـوة عليكَ وكَمْ قَذْفَـةِ أُمٍّ شَنْعـاءَ مُشْتَهِرَهْ
كريمـةٍ لؤمُـك استخَفَّ بها وناله بالمَثالِـبِ الأَشِرَهْ
قِفُـوا على رَحْلِـه تَـرَوْا عَجَباً في الجَهْلِ يَحكِي طَرائِفَ البَصِرَهْ
يـا كُلَّ مَنْـيٍ وكلَّ طالعـةِ نَحْسٍ ويـا كُلَّ ساعةٍ عَسِرَهْ[3]
سبحانَ مَنْ يُمْسِكُ السماءَ على الـ ـأرض وفيهـا أَخلاقُـك القَذِرَهْ[4]

[قصته مع ورد وأشعاره فيها]

قال : وكان عبد السلام قد اشتهر بجاريةٍ نَصرانيّةٍ من أهل حِمص هَوِيها وتمادى به الأمر حتى غلبتْ عليه وذهبتْ به . فلمّا اشتهر بها دعاها إلى الإسلام ليتزوّج بها ، فأجابته لعلمها برغبته فيها ، وأسلمتْ على يده ، فتزوَّجها ، وكان اسمها وَرْداً ؛ ففي ذلك يقول[5] : [من الكامل]

انظـر إلى شمسِ القُصورِ وبَدْرِها وإلى خُزاماهـا وبَهْجـةِ زَهْـرِها
لم تَبْـلُ عينُك أبيضاً في أَسوَدٍ جَمَع الجمالَ كوَجْهِها في شَعْرِها
وَرْدِيَّةُ الوَجَنـاتِ يَخْتَبِر اسمَها مِن رِيقِها مَنْ لا يُحيط بخُبْرِها[6]
وتمايلتْ فضَحِكتُ مِـن أَردافِها عَجَبـاً ولكنّي بَكَيْـتُ لخَصْرِها
تَسْقيكَ كأسَ مُدامـةٍ مِـن كَفِّها وَرْدِيَّـةٍ ومُدامـة مِـن ثَغْرِها

قال : وكان قد أعسر واختلّت حالُه ، فرَحَل إلى سَلَمْيَةَ قاصداً الأحمد بن عليٍّ الهاشميّ ، فأقام عنده مدّة طويلة ، وحَمَل ابن عمِّه بُغْضَه إيّاه بعد مودّته له وإشفاقِه عليه بسبب هجائه

1 الصفيحة العجرة : الحجر العريض الصلب .
2 خصرة : باردة . وتبرد الأطراف عند الموت .
3 مني في ل : بغي .
4 أخلاقك في ل : طباعك .
5 ديوانه : 168–169 .
6 ريقها في ل : نعتها .

لـه على أنْ أذاع على تلك المرأة التي تزوَّجها عبدُ السلام أنّها تهوى غلاماً له ، وقرّر ذلك عند جماعة من أهل بيته وجيرانه وإخوانه ، وشاع ذلك الخبرُ حتى أتى عبد السلام ، فكتب إلى أحمد بن عليٍّ شعراً يستأذنه[1] في الرجوع إلى حِمص ويُعلِمه ما بلّغه من خبر المرأة من قصيدة أوّلها[2] : [من الخفيف]

إنَّ رَيْبَ الزمان طـال انتكاثُه كَـمْ رَمَتْني بحـادثٍ أحداثُهْ

يقول فيها :

ظَبْيُ إنسٍ قلبـي مَقِيلُ ضُحاهُ وفُـؤادي بَرِيـرُهُ وكَباثُهْ[3]

وفيها يقول :

خِيفَةً أن يخونَ عَهْدِي وأن يُضْـ ـحِي لغيري حُجُولُـه ورِعاثُهْ[4]

وفيها مديح لأحمد بعد هذا ؛ وهي طويلة . فأذن له فعاد إلى حمص ؛ وقدّر ابن عمِّه وقت قدومه ، فأرصد له قوماً يُعْلِمونه بمُوافاته بابَ حِمص . فلمّا وافاه خرج إليه مستقبلاً ومعنِّفاً على تمسُّكه بهذه المرأة مع ما قد شاع من ذكرها بالفساد ، وأشار عليه بطلاقها ، وأعلمه أنّها قد أحدثتْ في مَغِيبه حادثةً لا يجملُ به معها المُقامُ عليها ، ودسَّ الرجل الذي رماها به ، وقال له : إذا قدِم عبدُ السلام ودخل منزله فقِفْ على بابه كأنّك لم تعلَم بقدومه ، ونادِ باسمِ وَرْد ؛ فإذا قالت : مَنْ أنت ؟ فقل : أنا فلان . فلمّا نزل عبد السلام منزلَه وألقى ثيابه ، سألها عن الخبر وأغلظ عليها ، فأجابته جوابَ مَن لم يعرف من القصّة[5] شيئاً . فبينما هو في ذلك إذ قَرَع الرجلُ البابَ فقالت : مَنْ هذا فقال : أنا فلان . فقال لها عبد السلام : يا زانية ، زعمت أنّك لا تعرفين من هذا الأمر شيئاً ! ثم اخترط سيفه فضربها به حتى قَتَلها ، وقال في ذلك[6] : [من الخفيف]

ليتَني لم أَكُـنْ لِعَطْفِك نِلْتُ وإلى ذلـك الوِصالِ وصلتُ
فالذي مِنِّـيَ اشتملت عليـه ألِعارٍ ما قَـدْ عليـهِ اشتملتُ
قال ذو الجهل قد حَلُمْتَ ولا أعْـ ـلَـمُ أنِّي حَلُمْتُ حتى جَهِلتُ

---

1 يستأذنه في ل : يسأله .
2 ديوانه : 85-86 .
3 البربر : الأوّل من ثمر الأراك . والكباث : النضيج منه .
4 رعاث : جمع رعثة وهي القرط .
5 القصّة في ل : الأمر .
6 ديوانه : 87-88 .

لائـمٌ لي بجهلـه ولمـــاذا أنا وَحْدِي أحببتُ ثـم قتلتُ !
سوف آسى طول الحياة وأبكيـ ـكِ على ما فعلتِ لا مـا فعلتُ

وقال فيها أيضاً[1] : [من مجزوء الخفيف]

لَـكِ نفسٌ مُواتِيـهْ والمَنايـا مُعادِيَـهْ[2]
أيّها القلب لا تَعُـدْ لِهَـوى البِيـضِ ثانيهْ
ليس بَـرْقٌ يكون أخـ ـلَب مـن بَرْقِ غانيهْ
خُنْتِ سِرِّي ولم أَخُنْـ ـكِ فمُوتِـي عَلانِيَهْ[3]

قال : وبلغ السلطانَ الخبرُ فطلبه ، فخرج إلى دمشق فأقام بها أيّاماً . وكتب أحمد بن عليّ الهاشميّ إلى أمير دمشق[4] أن يُؤمّنه ، وتحمَّل عليه بإخوانه حتى يستوهبوا جنايته . فقَدِم حِمص وبلغه الخبرُ على حقيقته وصِحّتِه ، واستيقنه فندِم ، ومكث شهراً[5] لا يستفيق من البكاء ولا يَطْعَم من الطعام إلاّ ما يُقيم رَمَقه من بلغة يسيرة . وقال في نَدَمه على قتلها[6] : [من الكامل]

يـا طلعــةً طَلَع الحِمـامُ عَلَيْها وجَنـى لهـا ثَمَرَ الرَّدى بِيَدَيْها
رَوَّيْتُ مـن دَمِها الثَّرى ولَطالَما رَوَّى الهـوى شَفَتَـيَّ من شَفَتَيْها
قد بات سَيْفي في مَجال وِشاحِها ومَدامِعـي تجـري على خَدَّيْها
فوَحَقِّ نَعْلَيْها وما وطىء الحَصى شيءٌ أَعَـزُّ عَلَـيَّ مـن نَعْلَيْها
مـا كان قَتْلِيها لأنِّيَ لم أَكُـنْ أبكِـي إذا سَقَط الذُّبـابُ عليها[7]
لكـنْ ضَنَنْتُ على العيون بحُسْنها وأَنِفْتُ مـن نَظَـر الحسودِ إليها

وهذه الأبيات تروى لغيرِ دِيك الجِنّ .

أخبرني بها محمد بن زكريا الصحّاف قال : حدّثنا عبد الله بن أُبي سعد قال : حدَّثني محمد بن منصور قال : كان فتًى مـن غَطَفان يقال له السُّلَيْك بن مُجَمّع ، وكان من الفُرْسان ،

---

1 ديوانه : 89 .
2 مُعاديه في الديوان : خنت سري مواتية .
3 سرّي ولم أخنك في ل : خنت سراً من لم يخنك .
4 ل : حمص .
5 ل : شهوراً .
6 ديوانه : 90–91 وفيه روايات كثيرة للأبيات في المصادر العديدة التي أوردتها .
7 الذباب في الديوان : الغبار .

وكان مطلوباً في سائر القبائل بدماء قوم قتلهم ، وكان يهوى ابنة عمٍّ له ، وكان خطبها مُدّةً فمنعها[1] أبوها ثم زوّجه إيّاها خوفاً منه ، فدخل بها في دار أبيها ثم نقلها بعد أُسبوع إلى عشيرته ، فلقيه من بني فَزارَة ثلاثون فارساً كلُّهم يطلبُه بذَحْلٍ[2] ، فحلَّقوا عليه ، وقاتلهم وقتل منهم عدداً ، وأثخن بالجِراح آخرين ، وأُثخِن هو حتى أيقن بالموت . فعاد إليها فقال : ما أسمح بك نفساً لهؤلاء ، وإنّي أُحِبّ أن أُقَدِّمك قبلي . قالت : افعل ، ولو لم تفعله أنت لفعلته أنا بعدَك . فعاد فضربها بسيفه حتى قتلها ، وأنشأ يقول :

يـا طلعةً طَلَـعَ الحِمامُ عَليها

وذكر الأبيات المنسوبة إلى ديك الجنّ ، ثم نزل[3] إليها فتمرَّغ في دمِها وتخضَّب به ، ثم تقدَّم فقاتل حتى قُتِل ، وبلغ قومه خبرُه ، فحملوه وابنة عمِّه فدفنوهما . قال : وحفِظتْ فَزارة عنه هذه الأبيات فنقلوها . قال : وبلغني أنّ قومَه أدركوه وبه رمق ، فسمِعوه يردّد هذه الأبيات ، فنقلوها وحفظوها عنه ، وبقي عندهم يوماً ثم مات .

وقال ديك الجنّ في هذه المقتولة[4] : [من الكامل]

أشفقتُ أن يَـرِدَ الزَّمـانُ بغَدْرِهِ ... أو أُبْتَـلى بعـد الوِصالِ بهَجْرِهِ
قَمَـرٌ أنا استخرجْتُه مـن دَجْنِهِ ... لِبَلِيَّتـي وجَلَوتُـه مـن خـدْرِهِ
فقتلتُـه ولـه عـليّ كرامـةٌ ... مِلْءَ الحشا ولـه الفؤادُ بِأَسْرِهِ
عَهْـدِي بـه مَيْتاً كأَحسنِ نائمٍ ... والحُزْن يَسْفَحُ عَبْرتـي في نَحْرِهِ
لـو كان يَدْرِي المَيتُ ماذا بعدَه ... بالحيّ حلَّ بكـى لـه في قَبْرِهِ[5]
غُصَصٌ تكادُ تَفِيظُ منهـا نَفْسُهُ ... وتكاد تُخْرِج قَلْبَـه مِنْ صَدْرِهِ[6]

وقال فيها أيضاً : [من الوافر]

أساكِـنَ حُفْـرةٍ وقَـرارِ لَحْـدِ ... مُفـارِقَ خُلَّـةٍ مِـن بعـد عهدِ

---

1 ل : يخطبها مدة فيمنعها .
2 ذحل : ثأر .
3 ل : عمد .
4 ديوانه : 92–93 .
5 حلَّ بكى له في ل : منه رثى له .
6 تفيظ نفسه : تخرج روحه .

أجِبْنِي إن قَـدَرْتَ على جوابِـي ... بحـقِّ الوُدِّ كيـف ظَلِلْتَ بَعْدِي
وأين حَلَلْـتَ بعـدَ حلول قلبي ... وأحشائي وأضلاعـي وكِبْدِي ؟
أمَـا واللهِ لـو عاينـتَ وَجْدِي ... إذا استعبرتُ في الظُّلُمات وحدِي
وجَـدَّ تَنَفُّسِي وعـلا زَفِيـري ... وفاضتْ عَبْرَتي في صَحْنِ خَدِّي
إذاً لعلِمْتَ أنِّـي عـن قريبٍ ... ستُحْفَرُ حُفْرَتِـي ويُشَقُّ لَحْدِي
ويَعْذُلنـي السفيـهُ على بُكائـي ... كأنّي مبتلًى بالحـزن وحدِي
يقـول قتلتَهـا سَفَهـاً وجهلاً ... وتَبكيهـا بكـاءً ليس يُجدِي
كصيَّاد الطُّيورِ لـه انتحـابٌ ... عليهـا وَهْـوَ يذبحُهـا بحدٍّ

وقال فيها أيضاً[1] : [من البسيط]

ما لامرىء بِيَدِ الدَّهْرِ الخئونِ يَدُ ... ولا على جَلَـدِ الدُّنْيا لـه جَلَدُ
طُوبى لأحبـابِ أقـوامٍ أصابَهُمُ ... من قَبْلِ أن عَشِقوا موتٌ لقد سَعِدوا
وحَقِّهِـم إنَّـه حـقٌّ أضِنُّ بـه ... لأُنفِـدَنَّ لهم دمعـي كما نَفِدوا
يـا دهـرُ إنَّك مَسْقِيٌّ بكأسِهِمُ ... ووارِدٌ ذلك الحوضَ الذي وَرَدُوا
الخَلْـق ماضُونَ والأيّامُ تَتْبَعُهُمْ ... نَفْنى جميعاً ويبقى الواحدُ الصَّمَدُ[2]

وقال فيها[3] : [من المتقارب]

أمـا آن للطَّيْـفِ أن ياتِيـا ... وأن يَطْـرُقَ الوَطَـنَ الدَّانِيا
وإنِّي لأحْسَبُ ريـبَ الزَّمـا ... نِ يتركُنـي جَسَداً بـاليا
سأشكـر ذلِـكَ لا ناسِيـا ... جميـلَ الصَّفـاءِ ولا قالِيا
وقـد كنتُ أنشُره ضاحِكاً ... فقـد صِرْتُ أنشره بـاكِيا

وقال فيها أيضاً[4] : [من الخفيف]

قُلْ لِمَنْ كان وجهُه كضياء الشَّـ ... ـمْسِ في حُسْنِـهِ وبَـدْرٍ مُنِيرِ
كنت زَيْنَ الأحياء إذ كنتَ فيهمْ ... ثم قَدْ صِرْتَ زَيْـنَ أهلِ القُبورِ

1 ديوانه : 96–97 .
2 نفنى جميعاً ويبقى في الديوان : نفنى ويبقى الاله . . .
3 ديوانه : 98 .
4 ديوانه : 99 .

بأبـي أنـت في الحيـاة وفي المَوْ ... تِ وتحتَ الثرى ويوم النُّشورِ

خُنْتَني في المَغِيب والخَـوْنُ نُكْرٌ ... وذميـمٌ في سالفـاتِ الدُّهورِ

فشفاني سَيْفِـي وأَسرَعَ في حَـ ... ـزِّ التَّراقي قَطْعاً وحَـزٌ النُّحورِ

[شعره في غلامه بكر]

قال أبو الفرج : ونسخت من هذا الكتاب قال : كان ديكُ الجنّ يهوى غلاماً من أهل حِمص يقال له بكر ، وفيه يقول وقد جلسا يوماً يتحدّثان إلى أن غاب القمر ، فقال له بكر : أريد أن أمضي قد غاب القمر فقال له[1] : [من الطويل]

دَعِ البَدْرَ فَلْيَغْرُبْ فأنتَ لنا بَدْرُ ... إذا ما تَجَلَّى منْ مَحاسِنِكَ الفجرُ

إذا مـا انقضى سِحْرُ الذين ببابلٍ ... فطرْفُكَ لي سِحرٌ ورِيقُك لي خمرُ

ولو قيل لي قُمْ فادْعُ أحسنَ مَن ترى ... لصِحتُ بأعلى الصوت يا بَكْرُ يا بَكْرُ

قال : وكان هذا الغلام يُعْرَف ببكر بن دهْمرْد . قال : وكان شديد التمنُّع والتصوُّن ، فاحتال قومٌ من أهلِ حِمْصَ فأخرجوه إلى مُتنزَّهٍ لهم يعرف بميماس ، فأسكروه وفَسَقوا به جميعاً ، وبلغ ديكَ الجنّ الخبرُ فقال فيه[2] : [من السريع]

قـلْ لِهضيم الكَشْحِ مَيَّاسِ ... انْتَقَضَ العهـدُ مـن النَّاسِ

يـا طاقـة الآسِ التي لم تمِدْ ... إلاَّ أذَلَّـتْ قُضُـبَ الآسِ

وَثِقْـتَ بالكـأسِ وشُرَّابها ... وحَتْـفُ أمثالِـك في الكاسِ

وحـال مِيماسُ ويـا بعدمـا ... بـين مغيثيـك وميماسِ[3]

تَقْطِيعُ أنْفاسِك في أسرهـم ... ومَلْكِهِـمْ قَطَّـعَ أنفاسي

لا بـأسَ مـولايَ ، على أنّـها ... نِهايـةُ المكـروهِ والبـاسِ

هـي اللَّيالِـي ولهـا دولةٌ ... ووحشة مـن بعـد إيناسِ

بَيْنـا أنافتْ وعَلَـتْ بالفتى ... إذْ قيـل حَطَّتْـه على الرَّاسِ

فالـهُ ودَعْ عنـكَ أحاديثَهم ... سَيُصْبِـحُ الذَّاكِـرُ كالنَّاسي

وقال فيه أيضاً[4] : [من الكامل]

1 ديوانه : 100 .

2 ديوانه : 101–102 .

3 حال ميماس في الديوان : ودير ميماس .

4 ديوانه : 103–104 .

يا بكرُ ما فعلتْ بِك الأرطالُ ... يــا دارُ مــا فعلتْ بِكَ الأيّامُ
في الدّارِ بَعْـدُ بَقِيَّـةٌ نستامُها ... إذ ليس فيـك بَقِيَّـةٌ تُستامُ[1]
عَرِمَ الزّمانُ على الذين عهدتهم ... وعليـكَ أيضاً للزّمـانِ عُرامُ[2]
شَغَلَ الزّمـــانَ كَراكَ في ديوانه ... فتَفَرَّغـــتْ لِدَواتِـــكَ الأقلامُ[3]

وقال فيه أيضاً[4] : [من البسيط]

قُولا لِبَكر بن دهْمرْدٍ إذا اعتكرتْ ... عَساكِرُ اللَّيْلِ بــين الطَّاسِ والجامِ
ألَـم أَقُـلْ لك إنَّ البغـي مَهْلَكةٌ ... والبغيُ والعُجْبُ إفسادٌ لأقوامِ[5]
قــد كنتَ تَفْرَقُ مِـن سَهْمٍ تعاينه ... فصِـرْتَ غيرَ ذميمٍ رُقْعــةَ الرَّامِي
وكنت تَفْزَعُ من لَمْسٍ ومن قُبَلٍ ... فقــد ذَلَلْــتَ لإسراجٍ وإلجــامِ
إن تَدْمَ فَخْذاكَ من رَكْضٍ فَرُبَّتَما ... أُمْسِي وقلبي عليك المُوجَعُ الدَّامِي

أخبرني أبو المعتصم عاصم بن محمد الشاعر بأنطاكِيَةَ ، وبها أَنْشدني[6] قصيدة البُحْتُرِيّ : [من الوافر]

مَلامَـك إنَّه عهـدٌ قريــبُ ... ورُزْءٌ ما انقضتْ منه النُّدوبُ[7]

[تعزية جعفر بن علي]

وأنشدني لديك الجنّ يُعزّي جعفر بن عليٍّ الهاشميّ[8] : [من السريع]

نَغْفُــلُ والأيّــامُ لا تَغْفُـــلُ ... ولا لَنـا مـن زَمَـنٍ مَـوْئِلُ
والدَّهْـرُ لا يَسْلَمُ من صَرْفِهِ ... أعصمُ في القُنَّــةِ مُسْتَوْعِلُ[9]

---

1 السوم : عرض السلعة للبيع . واستامه إيّاها : غالى فيها .
2 عرم : اشتدّ .
3 الزمان في ل : الظلام .
4 ديوانه : 105–106 .
5 البغي في ل : الكبر .
6 ل : وقد أنشدته .
7 انقضت في ل وديوان البحتري 2 : 95 (طبعة صادر) : عفت .
8 ديوانه : 65–71 .
9 الأعصم من الوعول : الذي في ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر . القنة : أعلى الجبل . واستوعل الوعل : إذا ذهب إلى قنة الجبل .

يَتَّخِـذُ الشِّعْرى شِعاراً لَـه كأنَّمـا الأُفْـقُ لَـه مَنْزِلُ

كأنّـه بـين شَناظِيرِهـا بارقـةٌ تكْمُـنُ أو تَمْثُلُ[1]

ولا حَبـابٌ صَلَتـانُ السُّرى أرقمُ لا يعرِف مـا يَجْهَلُ[2]

نَضْناضُ فَيْفـاءَ يـرى أنّه بالرَّمْـلِ غـانٍ وهُوَ المُرْمِلُ[3]

بالمزمـنِ الأبـرق إمّـا عفَـا يسترُ فِيـه القـرمُ المـرقلُ

يَطْلُـبُ مـن فاجِئـةٍ مَعْقِلاً وَهْـوَ لمـا يطلُـب لا يَعْقِلُ

والدَّهـرُ لا يَسلَمُ من صَرْفِهِ مُسَرْبَـلٌ بالسَّرْدِ مستبسِلُ

ولا عَقَنْباةُ السُّلامـى لهـا في كُلِّ أُفْقٍ عَلَـقٌ مُهْمَلُ[4]

فَتْخاءُ في الجَـوِّ خُدارِيّـةٌ كالغَيْـمِ والغَيْمُ لهـا مُثْقِلُ[5]

آمَنُ مَنْ كان لِصَرْفِ الرَّدى أنزلَهـا مِـن جَوِّهـا مُنْزِلُ

والدَّهْـرُ لا يَحْجُبُـه مانِـعٌ يحجُبُـه العامِـلُ والمُنْصُلُ[6]

يُصْغِي جَدِيـداهُ إلى حُكْمِهِ ويَفْعَـل الدَّهـرُ بِمـا يَفْعَلُ

كأنَّه مِـنْ فَـرْطِ عِـزٍّ بـه أشْوَسُ إذ أقبـلَ أو أقْبَلُ

الأقبل : الذي في عينه قَبَلٌ ، وهو دون الحَوَلِ .

في حَسَبٍ أُوْفـى ، له جَحْفَلٌ يَقْدُمُـه مِـن رَأْيـه جحفلُ[7]

بينا عـلى ذلك إذ عَرَّشتْ في عَرْشِهِ داهِيـةٌ ضِئْبلُ[8]

إنْ يَكُ في العِزِّ لـه مِشْقَصٌ ماضٍ فقـدْ تـاحَ لـه مَقْتَلُ

جـادَ على قَبْرِك مِـنْ مَيِّتٍ بالرَّوْحِ ربٌّ لـكَ لا يَبْخَلُ[9]

---

1 شناظير الجبل : أطرافه وحروفه .

2 الحباب : الحية . الصلتان : النشيط الحديد الفؤاد . والأرقم : أخبث الحيات .

3 حية نضناض : لا تستقرّ في مكان . والفيفاء : المفازة . والمرمل : مَن نفد زاده .

4 العقنباة : العقاب ذات المخالب الحداد . السلامى : عظام الأصابع . وفي معجم البلدان اسم موضع .

5 الفتخاء من العقبان : اللينة الجناح . وخدارية : سوداء .

6 مانع في ل : شامخ .

7 في حسب أوفى له في ل : في حيث أوفى فله . . .

8 عرشت : بنت عريشاً . والضئبل : الداهية .

9 الروح : الرحمة .

وحَنَّت المُـزْنُ على قبـرِهِ بِعـارِضٍ نَجْوَتُـه مَحْفِلُ[1]
غيثٌ تَـرى الأَرضَ على وَبْلِهِ تضحَـكُ إلاّ أنَّه يَهْمُلُ[2]
يَصِـلُّ والأرضُ تُصَلِّي لـه مِـن صَلَواتٍ مَعَـه تَسْأَلُ[3]
أنتَ أبـا العَبّـاسِ عَبّاسُها إذا استطار الحَـدَثُ المُعْضِلُ
وأنـتَ يَنْبُـوعُ أفانينِهـا إذا هُـمُ في سَنَـةٍ أمحلـوا
وأنتَ عَـلاَّمُ غُيـوبِ النَّثـا يومـاً إذا نَسْأَلُ أو نُسْأَلُ
نحـن نُعَزِّيـكَ ومنك الهُدى مُسْتَخرَجٌ والنُّـورُ مُسْتَقْبَلُ
نقـول بالعقـلِ وأنـتَ الذي نـأوي إليـه وبِـهِ نَعْقِلُ
نحـن فِـداءٌ لـك مِـنْ أُمَّةٍ والأَرضُ والآخِـرُ والأَوّلُ
إذا غفـا عنـكَ وأَوْدى بهـا ذا الدَّهرُ فَهْوَ المُحْسِنُ المُجْمِلُ

[رثاؤه جعفر بن علي الهاشميّ]

قـال أبـو المعتصـم : ثـم مـات جعفـر بـن علـيٍّ الهاشمـيّ ، فرثـاه دِيـكُ الجِـنّ فقـال[4] : [من الطويل]

على هـذه كانتْ تـدور النوائبُ وفي كلِّ جمع للذهابِ مَذاهبُ
نزلْنـا على حُكْـمِ الزَّمانِ وأَمْرِهِ وهل يَقبَلُ النِّصْفَ الأَلَدُّ المُشاغِبُ ؟
وتَضْحَكُ سِنُّ المرءِ والقلبُ مُوجَعٌ ويرضى الفَتى عن دَهْره وهو عاتِبُ
أَلا أيُّها الرُّكبانُ والرَّدُّ واجبٌ قِفُوا حَدِّثُونا مـا تقولُ النَّوادِبُ[5]
إلى أيِّ فِتْيانِ النَّدى قَصَدَ الرَّدى وأَيَّهُـمُ نابتْ حَمـاهُ النَّوائبُ ؟
فَيـا لأَبي العَبَّاسِ كَمْ رُدّ راغِبٌ لِفَقْدِكَ ملهوفاً وكَمْ جُبَّ غارِبُ[6]
وَيـا لأَبـي العَبَّاسِ إنّ مَناكِبـاً تَنُـوء بِمـا حَمَّلْتَهـا لَنَواكِبُ

1 العارض : السحاب الذي يعترض في أفق السماء . والنجوة : ما ارتفع من الأرض فلم يعله السيل . المحفل : مجتمع الماء .
2 على في ل : إلى . تضحك الأرض : يتفتح فيها الزهر .
3 يصل في ل : يسيل . تسأل في ل : يسبل .
4 ديوانه : 72–77 .
5 حدِّثونا في ل : أخبرونا .
6 جب غارب : قطع كاهل .

فيا قبرَه جُدْ كلَّ قبرٍ بجَوْدِهِ ... ففيك سماءٌ ثَرَّةٌ وسَحائبُ
فإنّك لو تَدْرِي بما فِيك مِن عُلاً ... عَلَوْتَ وباتَتْ في ذَراكَ الكَواكِبُ
أخاً كنتُ أبكِيهِ دماً وهو نائمٌ ... حِذاراً وتَعْمى مُقْلتي وهو غائبُ
فماتَ ولا صَبْرِي على الأَجرِ واقفٌ ... ولا أَنا في عُمْرٍ إلى اللهِ راغِبُ
أأسعى لأَحظى فيك بالأَجْرِ إنَّهُ ... لَسَعْيٌ إذن مِنِّي لدى اللهِ خائبُ
وما الإثْمُ إلاّ الصَّبْرُ عنكَ وإنَّما ... عواقبُ حَمْدٍ أن تُذَمَّ العواقبُ
يقولون : مِقْدارٌ على المرء واجبٌ ... فقلتُ : وإعوالٌ على المرء واجبُ
هو القلبُ لَمّا حُمَّ يومُ ابنِ أُمِّه ... وَهى جانِبٌ منه وأُسْقِمَ جانِبُ
تَرَشَّفْتُ أيّامِي وهُنَّ كوالِحٌ ... عليك ، وغالبتُ الرَّدى وهو غالِبُ
ودافعتُ في صدر الزَّمانِ ونَحْرِهِ ... وأيُّ يَدٍ لي والزَّمانُ مُحارِبُ ؟
وقلت لَه : خَلِّ الجَوادَ لِقَوْمِهِ ... وهأنذا فازْدد فإنَّا عَصائبُ
فواللهِ إخلاصاً من القول صادقاً ... وإلاّ فحُبِّي آلَ أَحمدَ كاذِبُ
لَوَ انَّ يَدِي كانت شِفاءَكَ أو دَمِي ... دَمَ القَلْبِ حتّى يَقْضِبَ القلبَ قاضبُ[1]
لَسلَّمتُ تسليمَ الرِّضا وتَخِذْتُها ... يداً للرَّدى ما حَجَّ للهِ راكِبُ
فتًى كان مثلَ السيفِ مِن حيثُ جِئْتَه ... لِنائبةٍ نابَتْكَ فَهْوَ مُضارِبُ
فتًى هَمُّه حَمْدٌ على الدَّهرِ رابحٌ ... وإن غابَ عنه مالُه فهو عازِبُ[2]
شمائلُ إن يَشْهَدْ فهُنَّ مَشاهِدٌ ... عِظامٌ وإن يَرْحَلْ فهُنَّ كتائبُ
بكاكَ أخٌ لم تَحْوِه بِقَرابةٍ ... بَلى إنَّ إخوانَ الصَّفاء أَقارِبُ
وأظلمتِ الدُّنْيا التي كنتَ جارَها ... كأَنَّك للدُّنيا أَخٌ ومُناسِبُ
يُبَرِّدُ نيرانَ المصائبِ أنّني ... أَرى زمناً لم تَبقَ فيه مَصائِبُ

[أهل حمص يعزلون إمام مسجدهم]

قال أبو الفرج : ونسخت من كتاب محمد بن طاهر عن أبي طاهر : إنّ خطيب أَهل حِمْص كان يصلّي على النبيّ ﷺ على المِنبر ثلاث مرّات في خطبته ، وكان أَهل حمص كلُّهم من اليمن ، لم يكن فيهم من مُضَر إلاّ ثلاثةُ أبيات ، فتعصَّبوا على الإمام وعزلوه ؛

---

1 قضب : قطع .
2 غاب في ل : ناب .

فقال دِيك الجِنّ[1] : [من الكامل]

سَمِعُوا الصَّلاةَ على النَّبِيِّ تَوالى فَتَفَرَّقُوا شِيَعاً وقالوا : لا لا
ثم استمرَّ على الصلاةِ إمامُهم فتحزَّبوا ورَمى الرِّجالُ رِجالا
يا آلَ حِمْصَ تَوَقَّعُوا مِنْ عارِها خِزياً يَحِلُّ عليكُمُ ووَبالا[2]
شاهتْ وجوهُكُمُ وجوهاً طالَما رَغِمَتْ مَعاطِسُها وساءتْ حالا

صوت

[من الطويل]

أيا ابنةَ عبدِ اللهِ وابنةَ مالِكٍ ويا ابْنَةَ ذي البُرْدَينِ والفَرَسِ الوَرْدِ
إذا ما صنعتِ الزادَ فالتمِسي له أَكِيلاً فإنِّي لستُ آكِلَهُ وَحْدِي

عَروضه من الطويل . الشعر لقيس بن عاصم المِنْقَرِيِّ ، والغناء لعَلُّويَه ، ثقيلٌ أوّل بالوسطى .

1 ديوانه : 110–111 .
2 يا آل في ل : يا أهل .

[257] ـ أخبار قيس بن عاصم ونسبه[1]

[نسبه]

هو قيس بن عاصم بن سِنان بن خالد بن مِنقَر بن عُبَيد بن مُقاعس . واسم مقاعِس الحارثُ بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن زَيْد مَناةَ بن تميم . ويُكْنى أبا عليٍّ . وأُمُّه أُمّ أصْعَر بنتُ خَليفَة بن جَرْوَل بن مِنقَر .

وهو شاعرٌ فارسٌ شُجاعٌ حليمٌ كثير الغارات ، مُظفَّرٌ في غَزَواته . أدرك الجاهليّة والإسلام فساد فيهما . وهو أحدُ مَنْ وَأَد بناتِه في الجاهليّة ، وأسلم وحسُن إسلامه ، وأتى النبيّ ﷺ ، وصَحبه في حياته ، وعُمِّر بعده زماناً ، ورَوى عنه عِدّة أحاديث .

[وأد بناته]

أخبرني عمِّي الحسن بن محمّد قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال حدَّثني عليّ بن الصَّبَّاح عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال : وفَدَ قَيْسُ بن عاصمٍ على رسول الله ﷺ ، فسأله بعضُ الأنصار عمّا يُتَحدَّثُ به عنه من الموءودات التي وَأدهنّ من بناته ، فأخبر أنّه ما وُلدتْ له بنتٌ قَطُّ إلاّ وأدَها . ثم أقبل على رسول الله ﷺ يحدّثه فقال له : كنت أخاف سوء الأُحدوثة والفضيحة في البنات ، فما وُلدت لي بنتٌ قطُّ إلاّ وَأَدْتُها ، وما رَحِمتُ منهنّ موءودةً قطّ إلاّ بُنَيَّةً كانت لي ولدتْها أُمُّها وأنا في سَفَر ، فدفعتْها أُمُّها إلى أخوالها فكانت فيهم ؛ وقَدِمتُ فسألت عن الحَمْل ، فأخبرتني المرأة أنّها ولدتْ ولداً مَيِّتاً . ومضت على ذلك سِنون حتى كَبِرت الصبيّة ويَفَعَتْ ، فزارت أُمَّها ذاتَ يوم ، فدخلتُ فرأيتُها وقد ضَفرتْ شعرها وجعلتْ في قُرونها شيئاً من خَلُوق ونظمتْ عليها وَدَعاً ، وألبستْها قِلادة جَزْعٍ[2] ، وجعلتْ في عُنُقها مخْنَقةَ[3] بلح : فقلتُ ، من هذه الصبيّة فقد أعجبني جمالُها وكَيْسُها ؟ فبكتْ ثم قالت : هذه ابنتك ، كنتُ خبّرتك أنّي ولدتُ ولداً ميّتاً ، وجعلتُها عند أخوالها حتى بلغتْ هذا المبلغ . فأمسكتُ عنها حتى اشتغلَتْ أمّها عنها ، ثم أخرجتها يوماً فحَفَرتُ لها حَفِيرةً فجعلتُها فيها وهي تقول :

1 لقيس بن عاصم ترجمة في الإصابة 7188 وحماسة المرزوقي : 1584 والنقائض : 1023 وسمط اللآلي 487 والمحبر 238 ، 248 وانظر أعلام الزركلي ومواضيع متفرقة من التذكرة الحمدونية ، والمثل «أغدر من قيس بن عاصم» في مجمع الميدانيّ 2 : 429 .

2 الجزع : الخرز اليماني .

3 المخنقة : القلادة .

يا أبتِ ما تصنع بي ؟! وجعلتُ أقذِف عليها التُّرابَ وهي تقول : يا أبتِ أمُغَطِّيَّ أنتَ بالتُّراب ؟! أتارِكي أنت وحدي ومنصرفٌ عنّي ؟! وجعلتُ أقذِف عليها التراب ذلك حتى واريتُها وانقطع صوتها ، فما رَحِمتُ أحداً ممن واريتُه غيرَها . فدمعتْ عَيْنا النبيّ ﷺ ثم قال : «إنّ هذه لَقَسْوةٌ ، وإنّ مَنْ لا يَرْحَم لا يُرْحَم» أو كما قال ﷺ .

أخبرني محمد بن خَلَفِ بن المَرْزُبان قال حدَّثنا أحمد بن الهَيْثَم بن فِراس قال : حدَّثني عمِّي أبو فِراس محمد بن فِراس عن عمر بن أبي بَكّار عن شيخ من بني تميم عن أبي هُرَيْرَة : أنّ قَيْسَ بن عاصمٍ دخل على رسول الله ﷺ وفي حِجْره بعضُ بَناته يَشَمُّها ، فقال له : ما هذه السَّخْلة تَشَمُّها ؟ فقال : هذه ابنتي . فقال : والله لقد وُلِدَ لي ثمانون ووأَدْتُ ثماني بُنَيَّات ما شَمِمْتُ منهنّ أُنْثى ولا ذَكَراً قَطُّ . فقال رسول الله ﷺ : «فَهَلْ إلاّ أن يَنْزِعَ الله الرحمةَ من قَلْبك» !

قال أحمد بن الهيثم قال عمِّي فحدّثني عبد الله بن الأَهْتَم : أنّ سَبَبَ وأْدِ قيسٍ بَناتِه أنّ المُشَمْرَجَ اليَشْكُريَّ أغار على بني سَعْدٍ بن زيد مناة في بني يشكر فسَبى منهم نساءً واستاق أموالاً ، وكان في النساء امرأةٌ ، خالُها قيس بن عاصم ، وهي رَمِيمُ بنتُ أَحْمَر بن جَنْدَلٍ السَّعْدِيِّ ، وأُمُّها أخت قيس . فرحل قيسٌ إليهم يسألُهم أن يَهَبُوها له أو يَفْدُوها ، فوجد عمرو بن المُشَمْرَج قد اصطفاها لنفسه . فسأله فيها ، فقال : قد جعلتُ أمْرها إليها فإن اختارتك فخذها . فخُيِّرتْ ، فاختارت عمرو بن المُشَمْرَج . فانصرف قيس فوأَد كلَّ بنت له ، وجعل ذلك سُنَّةً في كلِّ بنتٍ تُولَد له ، واقتدت به العرب في ذلك ؛ فكان كلُّ سيِّد يُولَد له بنتٌ يَئِدُها خوفاً من الفضيحة .

[يطلب من يؤاكله]

أخبرني محمد بن الحسن بن درَيْد قال حدَّثني عمِّي عن العبّاس بن هِشام عن أبيه عن جَدِّه قال : تزوّج قيس بن عاصِمِ المِنْقريّ مَنْفوسةَ بنتَ زيد الفَوارِسِ الضَّبِّي ، وأتته في الليلة الثانية من بِنائه بها بطعام ، فقال : فأين أَكِيلي ؟ فلم تعلم ما يريد ؛ فأنشأ يقول[1] :

أيا ابْنــةَ عبــدِ الله وابنــةَ مالِــكٍ ... ويا ابنةَ ذي البُرْدَيْنِ والفَرَسِ الوَرْدِ

إذا مــا صَنَعتِ الزادَ فالتمِسي له ... أَكِيلاً فإنِّي لستُ آكلَــهُ وَحْدِي

---

1 الأبيات الأربعة الأولى في الحماسة بشرح المرزوقيّ (رقم 733) دون نسبة : «وقال آخر» ، وذكر المحقق في الحاشية أنّها لحاتم الطائيّ كما ذكر التبريزي . وفي التذكرة الحمدونية 2 : 280 لقيس بن عاصم مع بعض اختلاف .

أخاً طارِقـاً أو جـارَ بيتٍ فإنَّني ... أخافُ مَلاماتِ الأحاديثِ مِن بَعْدِي
وإنِّي لعبدُ الضَّيْفِ مـن غيرِ ذِلَّـةٍ ... وما بِـيَ إلاّ تلك من شِيَم العَبْدِ

قال : فأرسلَتْ جاريةً لها مليحة فطلبت له أكيلاً ، وأنشأت تقول له : [من الطويل]

أبى المَرْءُ قيسٌ أن يذوقَ طَعامَهُ ... بغيـرِ أكيـلٍ إنَّـه لَكَريـمُ
فبُورِكْتَ حَيّاً يا أخا الجُودِ والنَّدى ... وبُورِكْتَ مَيْتاً قـد حَوَتْك رُجومُ

[مدحه العباس بن مرداس]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعِيّ قال حدَّثنا دَماذ عن أبي عُبَيدة قال : جاورَ رجلٌ من بني القَيْنِ من قُضاعَةَ قيسَ بن عاصم ، فأحسن جِوارَه ولم يَرَ منه إلاّ خيراً حتى فارقه ، ثم نزل على جُوَيْن الطائيّ أبي عامر بن جُوَيْن ، فوثب عليه نفر من طيىء فقتلوه وأخذوا ماله ، فقال العبّاس بن مِرْداس يهجوهم ويمدَح قيساً : [من الطويل]

لَعَمري لقد أوفى الجوادُ ابنُ عاصم ... وأحْصَنَ جاراً يومَ يَحْدِجُ بَكْرَهْ[1]
أقامَ عزيـزاً مُنْتدى القـومِ عندَه ... فلم يَرَ سَوْءاتٍ ولم يَخْشَ غَدرَهْ
أقام بِسَعْـدٍ يشرَب المـاءَ آمنـاً ... ويأكل وُسْطاهـا ويَرْبِضُ حَجْرَهْ[2]
فإنّك إذ بادلتَ قيسَ بنَ عاصمٍ ... جُوَيْنـاً لَمُخْتـارُ المنازلِ شَرَّهْ
فأصبَح يحـدو رَحْلَـهُ بمَفازةٍ ... ومـاذا عَـدا جاراً كريماً وأُسْرَهْ
يَظَـلُّ بأرض الغَـدْرِ يأكُلُ عَهْدَه ... جُوَيْنٌ وشَمْخٌ خارِبَيْـنِ بوَجْرَهْ[3]
يُذِمّـان بالأزواد والـزادُ مَحْرَمٌ ... سَرُوقان من عِرق شروراً وفَجْرَهْ[4]

[حلمه]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدَّثنا الحَسَن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال حدَّثني دَماذ عن أبي عبيدة قال : قال الأحنف : ما تعلّمت الحلمَ إلاّ من قيس بن عاصم المِنْقَرِيّ ، فقيل له : وكيف ذلك يا أبا بحر ؟ فقال : قتل ابن أخ له ابناً له فأتي بابن أخيه مكتوفاً يقاد إليه ، فقال :

---

1 وأحصنَ جاراً في ل : وأحسن جداً . أحدج بكره : شدّ عليه الحمل .
2 المثل : «يأكل وسطاً ويربض حجرة» في مجمع الميداني 2 : 150 وجمهرة العسكري 2 : 430 ومستقصى الزمخشري 2 : 411 ومعناه أنّه يأكل وسط المرعى وهو خياره ما دام القوم في خير فإذا أصابهم شرٌّ اعتزلهم وربض ناحية .
3 يأكل عهده : ينكث . وشمخ : اسم رجل . وخاربين : لِصَّيْن . وجرة : اسم موضع .
4 يذم : يتهاون . الأزواد : جمع زاد .

ذَعَرتم الفتى . ثم أقبل عليه فقال : يا بُنيّ ، نَقَصتَ عددك ، وأوهيت[1] ركنك ، وفَتَتَّ في عضدك ، وأشمتَّ عدوُّك ، وأسأت بقومك . خَلُّوا سبيله ، واحملوا إلى أمّ المقتول ديته ، قال : فانصرف القاتل وما حلّ قيس حَبوته ، ولا تغيّر وجهه[2] .

[وفوده على الرسول]

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازيّ قال حدَّثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائنيّ عن أبي جُعْدُبَة وأبي اليقظان قالا : وفد قيس بن عاصم على رسول الله ﷺ ، فقال النبيّ عليه الصلاة والسلام : «هذا سيِّد أهلِ الوَبَر» .

[تطاوله على تاجر شرب خمره]

أخبرني محمّد بن الحسن بن دُرَيد قال حدَّثنا أبو حاتم عن أبي حاتم قال : جاور داريٌّ كان يَتَّجِر في أرض العرب قيس بن عاصم ، فشرِب قيسٌ ليلةً حتى سَكِر ، فربَط الداريَّ وأخذ ماله ومتاعه . وشرِب من شرابه فازداد سُكْراً ، وجعل من السكر يتطاول ويُثاوِرَ[3] النجوم لِيَبْلُغَها وليتناوَلَ القمر ، وقال : [من البسيط]

وتاجرٍ فاجـــرٍ جــاء الإلهُ به ... كأن عُثْنونَـــه أذنابُ أجمالِ

ثم قَسَمَ صَدَقة النبيّ ﷺ في قومه وقال : [من الطويل]

ألا أَبْلِغـــا عنِّـــي قُرَيشاً رسالةً ... إذا مـــا أتتهمْ مُهْدَيـــاتُ الوَدائعِ
حَبَوْتُ بما صدَّقتُ في العامِ مِنْقَراً ... وأَيأستُ منهـــا كلَّ أَطلسَ طامعِ[4]

قال : فلمّا فَعل بالداريّ ما فعل وسكر ، جعل مالَه نُهْبى ، فلم تزل امرأته تُسَكِّنه حتّى نام . فلمّا أصبح أُخبر بما كان منه ، فآلى ألاّ يُدْخل الخمرَ بين أضلاعه أبداً .

[خديعة الزِّبرقان له في الصدقات]

أخبرني وكيعٌ قال أخبرني الحارث بن محمد قال حدَّثنا المدائنيّ قال : وَلي قيسُ بن عاصم على عهد رسول الله ﷺ صَدَقات بني مُقاعِس والبُطونِ كلِّها ، وكان الزِّبْرِقان بن بَدْرٍ قد وَلي صَدَقات عوف والأبناء[5] . فلمّا تُوُفِّي رسول الله ﷺ وقد جَمع كلُّ واحد من قيسٍ والزِّبْرِقان صَدَقاتِ مَن وَلي صدقَته دسَّ إليه الزبرِقان مَن زَيّن له المَنْعَ لِما في يده وخدعه بذلك ، وقال له :

---

1 وأوهيت في ل : وأوهنت .
2 انظر رواية الخبر في العقد الفريد 2 : 277 .
3 يثاوره : يواثب .
4 المصدق : آخذ الصدقات . والأطلس هنا : اللص الخبيث .
5 الأبناء : أولاد سعد بن زيد مناة بن تميم .

إنّ النبيّ ﷺ قد توفّي ، فهَلُمَّ نجمَع هذه الصدقة ونجعلها في قومنا ؛ فإن استقام الأمرُ لأبي بكر وأدَّتِ العربُ إليه الزّكاة جمعناها له الثانية . ففرّق قيس الإبلَ في قَومه ؛ فانطلق الزِّبرقان إلى أبي بكر بسبعمائة[1] بعير فأدّاها إليه ، وقال في ذلك : [من الطويل]

وَفَيْتُ بأذوادِ النبيِّ محمدٍ وكنتُ امرءاً لا أُفْسِدُ الدِّينَ بالغَدْرِ

فلمّا عرف قيسٌ ما كادَه به الزِّبرِقان قال : لو عاهد الزِّبرِقان أُمَّه لَغدَر بها .

[أسباب سيادته]

أخبرني عبد الله بن محمد الرّازيّ قال حدَّثنا الحارث بن أُسامة قال حدَّثنا المدائنيّ ، رأخبرني الحسن بن عليٍّ قال حدَّثنا ثعلبٌ عن ابن الأعرابيّ قال : قيل لقيس بن عاصم : بماذا سُدْتَ ؟ قال : بِبَذْلِ النّدى ، وكَفِّ الأذى ، ونَصْر المولى .

[نصيحته لبنيه]

أخبرني وكيعٌ قال حدَّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال : حدَّثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عديّ قال : كان قيسُ بن عاصم يقول لبنيه : إيّاكم والبَغْيَ ؛ فما بَغى قومٌ قطُّ إلاّ قَلُّوا وذَلُّوا . فكان بعضُ بَنِيهِ يَلطِمُهُ قومُه أو غيرُهم فينهى إخوتَه عن أن ينصروه .

[إمساك المال]

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازيّ قال حدَّثنا الحارث عن المدائنيّ عن ابن جُعْدُبة : أنّ قيس بن عاصم قال : أتيتُ رسول الله ﷺ ، فرحَّب بي وأدناني ؛ فقلت : يا رسول الله ، المالُ الذي لا يكون عليَّ فيه تَبِعةٌ ما ترى في إمساكِه لِضَيْفٍ إن طَرَقني ، وعِيال إنْ كَثُروا عليَّ ؟ فقال : «نِعْمَ المالُ الأربعون ، والأكثر الستّون ، وويلٌ لأصحاب المِئِين ، ثلاثاً ، إلاّ مَن أعطى من رِسْلها وأطرق[2] فَحْلَها ، وأفقر ظَهْرَها[3] ، ومَنَح غَزيرَتها ، وأطعم القانعَ والمُعْتَرَّ[4] . فقلت له : يا رسولَ الله ، ما أكرمَ هذه الأخلاق وأحسنها إنّه لا يُحَلُّ بالوادي الذي فيه إبلي من كَثْرتها . قال : «فكيف تصنع في الإطراق ؟» قلت : يغدو الناس ، فمَنْ شاء أن يأخذ برأس بَعِير ذهب به ، قال : «فكيف تصنع في الإفقار ؟» فقلت إنّي لأفْقِرُ النابَ المُدبرةَ والضَّرَع[5] الصغيرة . قال : «فكيف تصْنَع في المَنيحة ؟» قلت : إنّي لأمنح في السَّنة المائة . قال :

1 ل : بتسعمائة .
2 رسلها : لبنها . وأطرق فحلها : أعاره للضراب .
3 أفقر ظهرها : أعارها للركوب .
4 القانع : السائل . والمعتر : المتعرض للمعروف دون سؤال .
5 الناب المدبرة : الناقة الهرمة . والضرع : الصغيرة .

«إنّما لك من مالك ما أكلت فأفنيت ، أو لبِسْتَ فأبْلَيْتَ ، أو تَصَدَّقْت فأمضيت» .

[يوم جدود[1]]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ حدَّثنا أبو غسّان دَماذ عن أبي عُبَيْدة قال : قيسُ بن عاصم هو الذي حَفَز الحَوْفَزانَ بن شَرِيكٍ الشَّيْبانيّ ، طَعَنه في اسْتِه في يوم جَدُود .

وكان من حديث ذلك اليوم أنّ الحارث بن شَرِيك بن عمرو بن الصَّلْب بن قَيْس بن شَراحِيل بن مُرَّةَ بن هَمَّام كانت بينه وبين بني يَرْبُوع مُوادعةٌ ، ثم هَمَّ بالغدر بهم ، فجمع بني شَيْبان وبني ذُهْلٍ واللَّهازِمَ : قَيْسَ بن ثعلبةَ وتَيْمَ الله بن ثَعْلبة وغيرهم ، ثم غزا بني يربوع ، فنَذِرَ به عُتَيْبةُ بن الحارث بن شِهاب بن شَرِيك ، فنادى في قومه بني جعفر بن ثَعْلبة فخالفوا بين الحارث بن شريك وبين المال فقال لعتيبة : يا أبا جوزة : قد عرفت الموادعة بيني وبين بني سليط ، فهل لكم في مثلها فلا تروع بني يربوع فوادَعَه . وأغار الحارث بن شريكٍ على بني مُقاعِس وإخوتهم بني رُبَيْع فاستغاثوا ببني ربيع فلم يُجيبوهم ، فاستصرخوا بني مِنْقَرٍ فركِبوا حتى لَحِقوا بالحارث بن شريك وبكر بن وائل وهم قائلون في يومٍ شديد الحَرّ . فما شَعَر الحَوْفَزانُ إلاّ بالأهتم بن سُمَيٍّ بن سِنان بن خالد بن مِنْقَرٍ ، واسم الأهتم سنان ، وهو واقف على رأسه ، فوثب الحوفزان إلى فرسه فركِبه وقال للأهتم : مَنْ أنت ؟ فانتسب له ، وقال : هذه مِنقر قد أتتك . فقال له الحوفزان : فأنا الحارث بن شريك ! فنادى الأهتم : يا آل سعد ! ونادى الحوفزان : يا آل وائل ؛ وحمل كلٌّ واحد منهما على صاحِبه ، ولحِقت بنو مِنْقَرٍ ، فاقتتلوا أشدّ قتال وأبرحه ، ونادت نساء بني رُبَيع : يا آل سعد ؛ فاشتدّ قتال بني منقر لصياحهن ، فهُزِمتْ بكرُ بن وائل ، وخلَّوْا مَن كان في أيديهم من بني مُقاعِس ، وما كان في أيديهم من أموالهم ، وتَبِعتهم بنو مِنْقَرٍ بين قَتْلٍ وأَسْرٍ ؛ فأَسَر الأهتمُ حُمْران بن عَبْدِ عمرو ، وقصد قيسُ بن عاصم الحوفزان ، ولم يكن له هِمّة غيره ، والحارث على فرس له قارحٍ يُدعى الزَّبِد ، وقيس على مُهْر فخاف قيس أن يسبِقه الحارث ، فحفزه بالرُّمح في استه ، فتحَفَّز به الفرس فنجا ، فسُمِّي الحَوْفَزان . وأطلق قيس أموالَ بني مُقاعس وبني رُبَيع وسَباياهم ، وأخذ أموالَ بكر بن وائل وأساراهم . وانتقضت طعنة قيس على الحَوْفزان بعد سنةٍ فمات . وفي هذا اليوم يقول قيس بن عاصم : [من الطويل]

جَــزَى الله يَرْبوعــاً بأسوأ فِعْلِها … إذا ذُكِرتْ في النائبــاتِ أمورُها
ويومَ جَدُودٍ قــد فضحتم ذِمارَكم … وسالَمْتُمُ والخيلُ تَدْمــى نُحورُها
سَتَخطِمُ سعــدٌ والرِّبــابُ أُنوفَكم … كما حزَّ في أنف القَضيبِ جَرِيرُها

---

1 يوم جدود : يوم لبني منقر (من تميم) على بكر (بن ربيعة) . انظر أيّام العرب في الجاهلية : 178–181 .

وقال سَوّار بن حَيَّانِ المِنْقَرِيّ : [من الطويل]

ونحـن حَفَزنـا الحوفزانَ بطَعْنةٍ سَقَتْه نَجيعاً من دَمِ الجَوْفِ أشْكَلا[1]
وحُمْرانُ قَسْراً أنزلتْـه رِماحُنـا فعالَـجَ غُـلاً في ذِراعَيْـهِ مُقْفَلا

[يوم النباج وثيتل[2]]

قال : وأغار قيس بن عاصم بعد ذلك على اللهازم ، فتَبِعه بنو كَعب بن سعد بالنِّباج وثَيْتَل ، فتخوَّف أن يَكْرَه أصحابُه لقاءَ بكر بن وائل ، وقد كانوا يَتناجَوْن في ذلك ، فقام ليلاً فشقّ مَزادَهم ، لئلاّ يَجِدُوا بُدّاً من لِقاء العدوّ[3] ، فلمّا فَعَل ذلك أذعنوا بلقائهم وصَبَروا له ، فأغار عليهم ، فكان أشهَرَ يوم يومَ ثَيْتَل لبني سعد ، وظَفِر قيسٌ بما شاء ، وملأَ يديه من أموالهم وغنائمهم . وفي ذلك يقول ابنه عليّ بن قيس بن عاصم : [من الطويل]

أنـا ابنُ الذي شقَّ المَزادَ وقد رأى بثَيْتَـلَ أحيـاءَ اللَّهـازم حُضَّرا
فصَبَّحَهم بالجيش قيسُ بنُ عاصمٍ وكان إذا مـا أورد الأمـرَ أصْدَرا

[قتاله عبد القيس]

قال : وأغار قيسٌ أيضاً ببني سعد على عبد القَيْس ، وكان رئيس بني سَعْدٍ يومئذٍ سِنان بن خالد ، وذلك بأرض البَحْرَيْن ، فأصابوا ما أرادوا ، واحتالت عبد القيس في أن يفعل ببني تميم كما فُعِل بهم بالمُشَقَّر حين أُغلق عليهم بابه فامتنعوا ، فقال في ذلك سوّار بن حيّان : [من الطويل]

فيا لَك مـن أيّامِ صِدْقٍ أعُدُّها كيـومِ جُوُاثَى والنِّباجِ وَثَيْتَلا

[يوم الكلاب الثاني]

قال : وكان قيسُ بن عاصم رئيس بني سعد يوم الكُلابِ الثاني[4] ، فوقع بينه وبين الأهتم اختلاف في أمر عبد يَغُوثَ بن وَقَّاص بن صَلاءَةَ الحارثيّ حين أسَرَه عِصْمةُ بن أُبَيْر التَّيْمِيّ ودَفَعه إلى الأهتم ، فرفع قيسٌ قَوْسَه فضرَب فَمَ الأهتم بها فهَتَم أسنانه ؛ فيومئذٍ سُمِّي الأهتم ، والله أعلم .

---

1 النجيع : الدم المائل إلى السواد أو دم الجوف . والأشكل : ما يخالط سواده حمرة .
2 يوم النباج وثيتل : لتميم على بكر (بن ربيعة) . انظر أيّام العرب في الجاهلية : 175-177 .
3 ل : القوم .
4 في يوم الكلاب الثاني انظر أيّام العرب في الجاهلية : 124-131 .

[نصيحته لأولاده حين حضرته الوفاة]

أخبرنا هشام بن محمد الخُزاعيّ قال حدَّثنا دَماذ عن أبي عُبَيدة ، وأخبرني عيسى بن الحسين الوَرَّاق قال : حدَّثنا أحمد بن الهيثم بن عديٍّ قال : جمع قيسُ بن عاصمٍ ولَدَه حين حضرتْه الوفاة وقال : يا بَنيَّ ، إذا مُتُّ فسوِّدُوا كِبارَكم ، ولا تُسَوِّدُوا صِغارَكم فيُسَفِّهَ الناسُ كبارَكم . وعليكم بإصلاح المالِ فإنّه مَنْبَهةٌ للكريم ، ويُسْتَغْنى به عن اللئيم . وإذا مُتُّ فادْفِنوني في ثيابي التي كنت أصلّي فيها وأصوم . وإيّاكم والمسألة فإنّها آخِرُ مكاسبِ العبد ؛ وإنّ امرءاً لم يسأل إلاّ ترك مكسبه . وإذا دفنتموني فأخفوا قبري عن هذا الحيّ من بكرِ بن وائل ؛ فقد كان بيننا خُماشاتٌ[1] في الجاهلية . ثم جمع ثمانين سهماً فربطها بوَترٍ ، ثم قال : اكسروها فلم يستطيعوا ، ثم قال : فرِّقوا . ففرَّقوا ، فقال : اكسِروها سهماً سهماً ، فكسروها . فقال : هكذا أنتم في الاجتماع وفي الفُرْقة . ثم قال : [من الخفيف]

إنّما المجدُ ما بَنى والدُ الصِّدْ ... قِ وأحيا فَعالَه المولودُ
وتَمامُ الفضلِ الشجاعةُ والحِلْـ ... ـمُ إذا زانَه عَفافٌ وجُودُ
وثلاثون يا بَنِيَّ إذا ما ... جَمَعْتهم في النائبات العُهودُ
كثلاثين من قِداحٍ إذا ما ... شَدَّها للزمان قِدْحٌ شديدُ
لم تَكَسَّرْ وإن تَفرّقتِ الأسْـ ... ـهُمُ أَوْدى بجمعِها التبديدُ
وذوو الحِلْمِ والأكابرُ أولى ... أن يُرى منكُمُ لهم تسويدُ
وعليكمْ حِفْظَ الأصاغرِ حتّى ... يَبْلُغَ الحِنْثَ الأصغرُ المجهودُ

[رثاء عبدة بن الطبيب له]

ثم مات ؛ فقال عَبْدَةُ بن الطَّبيبِ يَرثيه : [من الطويل]

عليكَ سلامُ الله قَيْسَ بن عاصمٍ ... ورحمتُه ما شاء أن يَتَرَحَّما
تحيَّةَ من أوليته منك نعمةً ... إذا زار عن شَحْطٍ بلادَكَ سَلَّما
فما كان قَيْسٌ هُلْكُه هُلْكُ واحدٍ ... ولكنّه بُنْيانُ قومٍ تهَدَّما

أخبرني عُبيد الله بن محمد الرازيّ قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال : لمّا مات عبد الملك بن مَروان اجتمع وَلَدُه حولَه ، فبكى هشامٌ حتى اختلفت أضلاعه ، ثم قال : رَحِمك الله يا أميرَ المؤمنين ؛ فأنت والله كما قال عَبْدة بن الطّبيب : [من الطويل]

1 خماشات : جراحات وجنايات .

وما كان قيسٌ هُلْكُه هُلْكُ واحدٍ ولكنّــه بُنْيــانُ قــوم تهدَّما

فقال له الوليد : كذبتَ يا أحولُ يا مشؤوم ، لسنا كذلك ، ولكنّا كما قال الآخر : [من الطويل]

إذا مُقْرَمٌ مِنّــا ذَرا حَدُّ نابِهِ تَخَمَّط فينا نــابُ آخرَ مُقْرَمِ

[علاقته بعبدة بن الطبيب]

أخبرني حبيبُ بن نَصْرٍ المُهَلَّبيّ قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثنا عليّ بن الصبَّاح عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال : كان بين قيس بن عاصم وعَبْدَة بن الطَّبيب لِحاءٌ ، فهجره قيسُ بن عاصم ، ثم حَمَلَ عَبْدةُ دماً في قومه ، فخرج يسأل فيما تحَمَّله ، فجمَع إبلاً ، ومرَّ به قيس بن عاصم وهو يسأل في تمام الدِّية ، فقال : فيمَ يسأل عَبدة ؟ فأُخبر ؛ فساق إليه الدية كاملةً من ماله ، وقال : قولوا له لِيَسْتَمْتِعْ بما صار إليه ، وَلْيَسُقْ هذه إلى القوم . فقال عَبْدة : أما والله لولا أنْ يكون صُلْحِي إيَّاه بعَقِب هذا الفِعْل عاراً عليّ لصالحتُه ، ولكني أنصرف إلى قومي ثم أعود فأُصالحه . ومضى بالإبل ثم عاد ، فوجد قيساً قد مات ، فوقف على قبره وأنشأ يقول : [من الطويل]

عليكَ سلامُ الله قَيْسَ بن عاصمٍ ورحمتُــه مــا شاءَ أنْ يترحَّمــا

الأبيات .

[تحريمه الخمر على نفسه]

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزْهَر قال حدَّثنا حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال ذكر عاصم بن الحَدَثان وهشامُ بن الكلبيّ عن أشياخهما : أنّ قيس بن عاصم المِنْقَرِيَّ سَكِر من الخمر ليلةً قبل أن يُسْلِم ، فغَمَز عُكْنة ابنتِه ، أو قال أُخته ، فهربتْ منه . فلمّا صحا منها ، فقيل له : أَوما علمتَ ما صنعتَ البارحة ؟ قال : لا . فأخبروه بصُنْعه ، فحرَّم الخمر على نفسه ، وقال في ذلك : [من الوافر]

وجدتُ الخمرَ جامحــةً وفيها خِصالٌ تَفْضَحُ الرَّجُلَ الكريما

فَلا واللهِ أشْرَبُهــا حَياتــي ولا أُدعــو لهــا أبــداً نَديما

ولا أُعْطِي بهــا ثَمَناً حياتي ولا أُشْفــي بهــا أبــداً سقِيما

فإنَّ الخمــرَ تَفْضَحُ شارِبيهــا وتُجْشِمُهُمْ بهــا أمراً عظِيما

إذا دارتْ حُمَيّاهــا تَعَلَّــتْ طَوالِعُ تُسْفِهُ الرَّجُــلَ الحليما

أخبرني محمد بن مَزْيَد عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثان قال : قال الزِّبْرِقان : إنّ تاجِراً دِيافِيّاً[1] مرَّ بِحمْل خمرٍ على قيس بن عاصم فنزل به ، فقال قيس :

---

1 ديافي : منسوب إلى دياف ، قرية بالشام تنسب إليها الإبل والسيوف .

أصبَحني قَدَحاً ؛ ففعل . ثم قال له : زِدني (ثلاثاً) فقال له : أنا رجلٌ تاجرٌ طالب رِبح وخير ، ولا أستطيع أن أسْقِيك بغير ثمن . فقام إليه قيس فَربَطه إلى دَوْحةٍ في داره حتى أصبح ، فكلّمته أُخته في أمره ، فلَطَمها وخمَش وَجْهَها ، وزعموا أنّه أرادها[1] على نفسها ، وجعل يقول : [من البسيط]

وتاجرٍ فاجرٍ جاء الإلهُ به … كأنَّ لِحْيَتَه أذنابُ أجمالِ

فلمّا أصبح قال : مَن فَعَل هذا بضَيْفِي ؟ قالت له أُخته : الذي صنع هذا بوجهي ، أنت والله صنعتَه ، وأخبرته بما فعل . فأعطى الله عهداً ألاّ يشربَ الخمر أبداً . فهو أوّل عربيٍّ حَرَّمها على نفسه في الجاهليّة ، وهو الذي يقول : [من الطويل]

فواللهِ لا أحسو يَدَ الدَّهْرِ خمرةً … ولا شَرْبَةً تُزْرِي بِذِي اللُّبِّ والفخرِ

فكيف أذوق الخمر والخمرُ لم تَزَلْ … بصاحبِها حتى تَكَسَّعَ في الغَدْرِ[2]

وصارت به الأمثالُ تُضْرَبُ بَعْدَما … يكونُ عميدَ القومِ في السِّرِّ والجَهْرِ

ويَبْدُرُهمْ في كلِّ أمرٍ يَنُوبُهم … ويَعْصِمُهم ما نابَهم حادثُ الدَّهْرِ

فيا شارِب الصَّهْباء دَعْها لأهلها الـ … ـغُواةِ وسَلِّمْ للجسيم من الأمرِ

فإنَّك لا تَدْرِي إذا ما شَرِبْتَها … وأكثرتَ منها ما تَرِيشُ وما تَبْرِي[3]

[فارقته امرأته بعد إسلامه]

أخبرني محمد بن خَلَفِ بن المَرْزُبان قال حدَّثني أحمد بن منصور قال أخبرني أبو جعفر المُباركيّ قال أخبرني المدائنيّ عن مَسْلَمة بن مُحارب قال : قال الأحنف بن قيس : ذكرتُ بلاغةَ النساء عند زِيادٍ ، فحدّثته أنّ قيس بن عاصم أسلم وعنده امرأةٌ من بني حنيفَة ، فأبى أهلها وأبوها أن يُسْلِمُوا وخافوا إسلامَها ، فاجتمعوا إليها وأقسموا إنّها إن أسلمتْ لم يكونوا معها في شيء ما بقيت . فطالبتْ قيساً بالفُرْقة ، ففارقها ، فلمّا احتملت لتلحق بأهلها قال لها قيسٌ : أما والله لقد صَحِبْتِني سارَّة ، ولقد فارقْتِني غيرَ عارَّة ، لا صُحْبَتُك مملولة ، ولا أخلاقك مذمومة ، ولولا ما اخترتِ ما فرَّق بيننا إلاّ الموتُ ، ولكنّ أمر الله ورسوله ﷺ أحقُّ أن يُطاع . فقالت له : أُنبئتُ بحَسَبِك وفَضْلِك ، وأنت والله إن كنتَ للدَّائِمَ المحبّة ، الكثيرَ المودّة[4] ، القليلَ اللائمة ، المُعْجِبَ الخلوة ، البعيدَ النبوّة . ولَتعلمنَّ أنّي لا أسكن بعدك

1 ل : راودها عن .

2 تكسّع : تمادى .

3 معنى المثل ما يريش وما يبري أي لا يضر ولا ينفع .

4 ل : العفة .

إلى زوج . فقال قيس : ما فارقتْ نفسي شيئاً قطُّ فتَبِعْته كما تبعتْها .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدَّثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال حدَّثني أبو فِراس قال : كان قيس بن عاصم يُكنى أبا عليٍّ ، وكان خاقان بن الأهتم إذا ذكره قال : بَخْ ! من مثل أبي عليٍّ ! [من الطويل]

تُطِيفُ به كَعْبُ بن سعد كأنّما ... يُطِيفون عُمّاراً ببيتٍ مُحَرَّمِ

[بنو منقر]

وقال عَلاّن بن الحسن الشُّعوبيّ : بنو مِنْقَرٍ قوم غدر ، يقال لهم الكَوادِن ، ويلقَّبون أيضاً أعرافَ البِغال ، وهم أسوأ خلق الله جِواراً ، يسمُّون الغدر كَيْسان ، وفيهم بخلٌ شديد .

وأوصى قيس بن عاصم بنِيه ، فكان أكثرَ وصيَّته إيَّاهم أن يحفظوا المالَ ، والعرب لا تفعل ذلك وتراه قبيحاً . وفيهم يقول الأخطل بن ربيعة بن النَّمِر بن تَوْلَب : [من البسيط]

يا منْقَرُ بنَ عُبَيْدٍ إنَّ لُؤمَكُمُ ... مُذْ عَهْدِ آدَمَ في الدِّيوانِ مكتوبُ

للضَّيْفِ حَقٌّ على مَنْ كان ذا كرمٍ ... والضَّيْفُ في مِنْقَرٍ عُرْيانُ مسلوبُ

وقال النمر بن تولب يذكر تسميتهم الغَدْرَ كَيْسانَ في قصيدة هجاهم بها : [من الطويل]

إذا ما دَعَوْا كَيْسانَ كانتْ كُهُولُهمْ ... إلى الغَدْرِ أَدْنى من شَبابِهمُ المُرْدِ

قال : وهذا شائع في جميع بني سَعْد ، إلاّ أنّهم يتدافعونه إلى بني مِنْقَر ، وبنو منقر يتدافعونه إلى بني سِنانِ خالد بن مِنْقَر ، وهو جَدُّ قيس بن عاصم .

[تهاتره مع عمرو بن الأهتم عند النبيّ]

وحكي عن ابن الكلبيّ أنّ النبيّ ﷺ لمّا افتتح مكّة قَدِمتْ عليه وفودُ العرب ، فكان فيمن قَدِم عليه قيسُ بن عاصم وعمرو بن الأهتم ابن عَمِّه ، فلمّا صارا عند النبيّ ﷺ تَسابّا وتَهاتَرا ؛ فقال قيس لعمرو بن الأهتم : والله يا رسول الله ما هُمْ منّا ، وإنّهم لمن أهل الحيرة . فقال عمرو بن الأهتم : بل هو والله يا رسول الله من الروم وليس منّا . ثم قال له : [من البسيط]

ظَلِلْتَ مُفْتَرِشَ الهَلْباء تَشْتِمُني ... عند الرَّسول فلم تَصْدُقْ ولم تُصِبِ

الهَلْباء يعني استه ، يعيره بذلك ، وبأن عانته وافية .

إن تُبْغِضُونا فإنّ الرُّوم أصلُكُمُ ... والرُّوم لا تملِكُ البغضاءَ للعَرَبِ

سُدْنا فسُؤدَدُنا عَوْدٌ وسُؤدَدُكُمْ ... مُؤَخَّرٌ عند أصل العَجْبِ والذَّنَبِ[1]

---

1 العجب : أصل الذنب .

قال : وإنّما نسبه إلى الرُّوم لأنّه كان أَحمرَ . فيقال : إنّ النبيّ ﷺ نهاه عن هذا القول في قَيْس ، وقال : إن إسماعيل بن إبراهيم ، صلّى الله عليهما وسلّم ، كان أَحمر . فأجابه قيس بن عاصم فقال : [من السريع]

مـا في بَني الأَهْتَمِ من طائلٍ يُرْجى ولا خَيْرٍ لَـهُ يَصْلُحونْ
قُـلْ لبني الحِيريِّ مَخْصوصةً تُظْهِرُ منهم بعضَ مـا يَكْتُمونْ
لـولا دِفاعـي كنتُـم أَعْبُدًا مَسْكَنُهـا الحِيرةُ فالسَّيْلَحون[1]
جاءت بكم عَفْرةُ من أَرْضِها حِيرِيَّـــةً ليست كما تزعُمونْ
في ظاهـر الكَـفِّ وفي بَطنها وَسْمٌ من الدَّاء الذي تكْتُمونْ

[ردته عن الإسلام]

وذكر عَلاّن أنَّ قَيْساً ارتدَّ بعد النبيِّ ﷺ عن الإسلام ، وآمن بسَجاحٍ ، وكان مُؤَذِّنها ، وقال في ذلك[2] : [من البسيط]

أضحتْ نَبيَّتُنا أُنثى نُطِيفُ بها وأَصبحتْ أنبيـاءُ الله ذُكْرانا

قال : ثم لمّا تزوّجت سَجاحِ بمُسَيْلِمَةَ الكذّاب الحَنفيِّ وآمنت به آمن به قيسٌ معها . فلمّا غزا خالد بن الوليد اليمامة وقتل الله مسيلمةَ أخَذ قَيْسَ بن عاصمٍ أسيراً ، فادّعى عنده أنّ مُسَيْلِمَة أخذ ابناً له ، فجاء يطلبُه . فأحلفه خالد على ذلك ، فحلف فخلّى سبيله ، ونجا منه بذلك .

[أسره عبادة بن مرثد]

قال : وممّا يُعَيَّرون به أنّ عُبادة بن مَرْثَدِ بن عمرو بن مَرْثَد أسَرَ قَيْسَ بن عاصمٍ وسَبى أُمَّه وأُختَيه يوم أُبْرَقِ الكِبريت ، ثم مَنَّ عليهم فأطلقهم بغير فِداء ، فلم يُثِبْه قيسٌ ولم يَشْكُرْه على فِعْله بقَوْلٍ يبلُغه . فقال عبادة في ذلك : [من الطويل]

على أُبْرَقِ الكِبْريتِ قيس بن عاصمٍ أَسَرْتُ وأطرافُ القَنا قِصَدٌ حُمْرُ
مَتـى يَعْلَـقِ السَّعْدِيُّ منكَ بذِمَّةٍ تَجِـدْهُ إذا يَلْـقى وشِيمَتُه الغَدْرُ

قال : وكان قيسُ بن عاصم يسمَّى في الجاهلية الكَوْدَنَ[3] .

---

1 السيلحون : بلد قرب الحيرة .
2 البيت في الطبري لعطارد بن حاجب .
3 الكودن : البغل أو البرذون .

[زيد الخيل يرميه بالكذب]

وكان زيدُ الخيل الطائيّ خَرَج عن قَوْمه وجاوَرَ بني مِنْقَر ، فأغارت عليهم بنو عِجْلٍ وزيدٌ فيهم ، فأعانهم وقاتل بني عِجْل قتالاً شديداً ، وأبلى بلاءً حسناً ، حتى انهزمتْ عجل ؛ فكفر قيس فِعْلَه وقال : ما هزمهم غيري . فقال زيد الخيل يعيِّره بالكذب في قصيدة طويلة : [من الطويل]

ولستُ بوَقَّافٍ إذا الخيلُ أَحْجمتْ ولستُ بكذَّابٍ كقَيْس بن عاصمِ

[وأده بناته]

قال[1] : وكان سبب وأد قيس بن عاصم بناته أن عمرو بن المشمرج اليشكريّ سبى رَميم بنت مزيد بن يزيد بن عبادة بن نزال ، وأمها أخت قيس بن عاصم ، فلما دخلت الأشهر الحرم وفد إليهم قيس بن عاصم ليستردّها ، فقالت للذي سباها لا تردني إليهم فاستحيا منهم وتذمم فقال لخالها قيس إنّها قد رضيت مكانها وأنا أكره أن أردها وأتذمم منها ، وأنا راغب في فدائها فخيّرها إن اختارتك ذهب عنّي ذمامها ، وإن اختارتني عهدتني ، فقال قيس : ما أظنّها تختار على أهلها أحداً قال : فدونكها ، فخيّرها قيس فاختارت عمرو بن المشمرج ، فعاهد الله قيس أن لا يستحيي له بنتاً أبداً ، وكان يئد بناته بعد ذلك . فقال . . . الفرزدق : لقد جاء الإسلام وإنّ عندنا بنتاً لقيس بن عاصم أراد أن يئدها فاشتراها صعصعة بن ناجية .

[إسلامه]

وممّا روى قيس بن عاصم عن النبيّ ﷺ : حدّثنا حامد بن محمد بن شعيب البَلْخِيّ قال : حدّثنا أبو خَيْثَمَة زُهَيْر بن حرْب قال : حدّثنا وكيع قال : حدّثنا سُفْيان الثَّوْرِيّ عن الأغرّ المِنْقَرِيّ عن خليفة بن حُصين بن قيس بن عاصم عن أبيه عن جَدِّه أنّه أسلم على عهد النبيّ ﷺ ، فأمره النبيّ عليه السلام أن يغتسل بماء وسِدْرٍ .

وحدَّثنا حامد قال حدَّثنا أبو خيثمة قال حدَّثنا جريرٌ عن المُغيرة عن أبيه شُعْبَةَ عن التَّوْءَم قال : سأل قيسُ بن عاصم رسولَ الله ﷺ عن الحلف ، فقال : «لا حِلْفَ في الإسلام ، ولكن تَمَسَّكوا بحِلْفِ الجاهلية[2] .

أخبرني عمِّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سَعد قال : حدَّثنا ابن عائشة قال : حدَّثني رجلٌ من الرِّباب قال : ذكر رجلٌ قَيْسَ بن عاصمٍ عند النبيّ ﷺ فقال : لقد هممتُ أنْ آتِيَه فأفعلَ به وأَصْنَعَ به ، كأنّه تَوَعَّده . فقال له النبيّ ﷺ «إذاً تَحُولُ سَعْدٌ دونَه بِكَراكِرِها[3]» .

1 زيادة لم ترد في نسختين .
2 يقصد أحلاف المناصرة على الخير والحق .
3 الكراكر : جمع كركرة وهي الجماعة من الناس .

قال : ولمّا مات قيسٌ رثاه مِرْداس بن عَبْدَة بن مُنَبِّه فقال[1] : [من الطويل]

وما كان قَيْسٌ هُلْكه هُلْكَ واحدٍ ولكنّــه بُنْيــانُ قــومٍ تَهَدَّمــا

صوت

[من مجزوء الخفيف]

خُذْ مــن العَيْشِ ما كَفى ومِنَ الدَّهْــرِ مــا صَفا
حَسُنَ الغَــدْرُ في الأَنا مِ كما اسْتُقْبِــحَ الــوَفا
صِلْ أَخــا الوَصْلِ إنَّه ليس بالهَجْــرِ مِــنْ خَفا
عَيْنُ مَــنْ لا يُرِيدُ وَصْــلَكَ تُبْــدِي لَكَ الجَفا

الشعر لمحمد بن حازم الباهليّ ، والغناء لابن القَصَّار الطُّنْبُورِيّ ، رَمَلٌ بالبِنصر . أُخبرني بذلك جحظة .

1 تقدم أن هذا الشعر لعبدة بن الطيب ، ص 53 .

[258] ـ أخبار محمد بن حازم ونسبه[1]

[نسبه]

هو محمد بن حازم بن عمرو الباهليّ . ويكنى أبا جعفر . وهو من ساكِني بَغداد مولدُه ومَنْشَؤُهُ البَصرة . أخبرني بذلك ابن عَمّار أبو العبّاس عن محمد بن داوُد بن الجَرّاح عن حسين بن فَهْم .

وهو من شعراء الدولة العبّاسية ، شاعر مطبوع ، إلاّ أنّه كان كثير الهجاء للناس ، فاطُرِح ، ولم يمدح من الخلفاء إلاّ المأمون ، ولا اتصل بواحد منهم ، فيكونَ له نباهةُ طَبَقته . وكان ساقط الهمّة ، مُتقلّلاً جدّاً ، يُرْضيه اليسير ، ولا يتصدّى لمدح ولا طلب .

[مع الطاهريّ]

حدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثنا الخليل بن أسَدٍ قال : سمعت محمد بن حازم الباهليّ في منزلنا يقول : بعث إليّ فلانٌ الطَّاهريّ ، وكنت قد هجوته فأفرطتُ ، بألفي درهم وثياب في تخت ، وقال : أمّا ما قد مضى فلا سبيل إلى رَدِّه ، ولكن أُحِبُّ ألاّ تزيدَ عليه شيئاً . فبعثت إليه بالدراهم والثياب ، وكتبتُ : [من الكامل]

لا ألبَسُ النعماءَ مِن رجلٍ ... ألبستُه عاراً على الدَّهْرِ

[هجاء أحمد بن سعيد]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدَّثنا أبو علي ، وسقط اسمه من كتابي ، قال قرأتُ في كتاب عَمِّي : قال لي محمد بن حازم الباهليّ : مرَّ بِي أحمد بن سَعيد بن سالم وأنا على بابي فلم يسلّم عليَّ سلاماً أرضاه ، فكتبتُ رُقْعَةً وأتبعته بها ، وهي : [من السريع]

وباهليٌّ من بني وائلٍ ... أفادَ مالاً بعد إفلاسِ
قَطَّبَ في وجْهيَ خَوْفَ القِرى ... تَقْطِيبَ ضِرْغامٍ لَدى الباسِ
وأظهرَ التِّيهَ فتايَهْتُهُ ... تِيهَ امرئٍ لم يَشْقَ بالنّاسِ
أعَرتُه إعْراضَ مُسْتَكبِرٍ ... في مَوْكِبٍ مرَّ بكنّاسِ

1 ترجمة محمد بن حازم الباهليّ في طبقات ابن المعتزّ : 311 ومعجم المرزباني : 429 وتاريخ بغداد 2 : 429 وديارات الشابشتي : 177 والورقة : 109 وانظر أعلام الزركلي ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

[مع سعد بن مسعود]

أخبرني ابن عمّار قال حدَّثني أبو عليّ قال : لقيت محمّد بن حازم في الطريق فقلتُ له : يا أبا جعفر ، كيف ما بينَك وبين صديقِك سعد بن مَسْعود اليومَ ، وهو أبو إسحاق بن سعد ، وكان يكتب للنُّوشَجانيّ ، فأنشدني : [من السريع]

راجَــع بالعُتْبَـــى فأعتَبْتُــه ... وربّمــا أعْتَبَـــك المُذْنِـــبُ
وإن في الدَّهْــر ، على صَرْفِـه ... بــين الصَّدِيقَيْــن ، لَمُسْتَعْتَــبُ

[في الشباب والشيب]

أخبرني محمّد بن القاسم الأنباريّ وابن الوَشّاء جميعاً قالا حدَّثنا أحمد بن يحيى ثَعْلَبٌ قال : قال ابن الأعرابيّ : أحسنُ ما قال المُحْدَثُون من شُعَراء هذا الزَّمان في مديح الشَّباب وذَمَّ الشَّيْب قول محمد بن حازم الباهليّ : [من البسيط]

لا حِينَ صَبْرٍ فخَلِّ الدَّمْعَ يَنْهَمِلُ ... فَقْدُ الشَّبابِ بيوم المـرءِ مُتَّصِلُ
سَقْياً ورَعْيـاً لأيَّام الشَّبابِ وإنْ ... لم يَبْقَ منـه لـه رسمٌ ولا طَلَلُ
جـرّ الزَّمـانُ ذُيـولاً في مَفارِقِه ... ولِلزَّمــانِ على إحسانــه عِلَلُ
وربَّما جَــرَّ أذيـالَ الصِّبا مَرَحاً ... وبين بُرْدَيْــهِ غُصْنٌ ناعِمٌ خَضِلُ
يُصبي الغَــواني ويَزْهــاه بِشِرَّتِهِ ... شَرْخُ الشَّبابِ وثوبٌ حالِكٌ رَجَلُ
لا تَكْذِبَنَّ فمـا الدُّنيـا بأجمعِها ... مــن الشَّبابِ بيَوْمٍ واحـدٍ بَدَلُ
كَفاكَ بالشَّيْب عيباً عنــد غانيةٍ ... وبالشَّبابِ شَفِيعـاً أيُّها الرَّجُلُ
بانَ الشَّبابُ وولَّى عنـكَ باطِلُهُ ... فليس يَحْسُنُ منك اللَّهْو والغزَلُ
أمَّا الغَواني فقد أعرَضْنَ عنك قِلًى ... وكان إعراضَهُــنَّ الدَّلُّ والخَجَلُ
أعرَنْكَ الهَجْرَ مــا لاحتْ مُطَوَّقَةٌ ... فَلا وِصالٌ ولا عَهْــدٌ ولا رُسُلُ
ليــتَ المَنايــا أصابَتْني بأسْهُمِها ... فكُنَّ يَبْكِينَ عَهْدِي قبــلَ أكْتهِلُ
عهْدَ الشَّبابِ لقد أبقيتَ لي حَزَناً ... مــا جَدَّ ذكرُك إلاّ جَــدَّ لي ثَكَلُ
إنّ الشبابَ إذا مــا حــلَّ رائدُه ... في مَنْهَــلٍ رادَ يقفــو إثْــرَهُ أجَلُ

قــال ابـن الوَشَّاء خاصَّةً : ومـا أساء ولا قَصَّر عن الأُولى ، حيـث يقـول في هـذا المعنـى : [من البسيط]

أبكِــي الشَّبابَ لِنَدْمــانٍ وغانيةٍ ... وللمَغـــاني وللأطــلال والكُتُبِ

وللصَّريـخ وللآجـام في غَلَسٍ وللقَنـا السُّمْرِ والهِنْدِيّـة القُضُبِ
وللخَيـالِ الذي قـد كان يَطْرُقُني وللنَّدامـى ولِلَّـذاتِ والطَّـرَبِ
يا صاحباً لم يَدَعْ فَقْدِي له جَلَداً أُضِعتُ بَعدك إنَّ الدَّهرَ ذُو عُقَبِ[1]
وقـد أكونُ ، وشَعْبانا معاً ، رَجُلاً يـومَ الكريهةِ فَرّاجاً عَنِ الكُرَبِ

[مع ابن حميد]

أخبرني ابن عمّار عن العَنَزيّ قال : كان محمد بن حازم الباهليّ مدح بعض بني حُمَيْد فلم يُثِبْه ، وجعل يفتش شعرَه فيعيب فيه الشيءَ بعد الشيء ، وبلغه ذلك فهجاه هجاءً كثيراً شنيعاً ، منه قوله : [من الوافر]

عَدُوَّاكَ المَكـارِمُ والكِـرامُ وخِلُّـكَ دونَ خُلَّتِـك اللِّئامُ
ونَفْسُك نَفْسُ كلبٍ عند زَوْرٍ وعُقْبى زائـرِ الكلـبِ التِدامُ[2]
تَهِـرُّ على الجليسِ بلا احترامٍ لِتَحْشِمَـه إذا حَضَرَ الطَّعامُ[3]
إذا مـا كانـت الهِمَمُ المَعالي فهَمُّك مـا يكون بـه المَلامُ
قُبِحْـتَ ولا سَقاك الله غيثاً وجانَبَـك التحيّـةُ والسلامُ

قال : فبعث إليه ابن حُمَيْد بمالٍ واعتذر إليه وسأله الكفَّ ، فلم يفعل ، وردَّ المال عليه ، وقال فيه : [من مخلّع البسيط]

موضعُ أسرارِك المُرِيبُ وحَشْوُ أثوابِك العُيوبُ
وتمنَع الضيفَ فضلَ زادٍ ورَحْلُك الواسعُ الخَصِيبُ
يـا جامِعاً مانِعـاً بَخِيلاً ليس لـه في العُلا نَصيبُ
أبالرُّشا يُسْتَمالُ مِثْـلي ؟ كَلاّ ؛ ومَنْ عنده الغُيوبُ
لا أرتـدي حُلَّـةً لُمْثِنٍ بوجهه مـن يَدِي نُدوبُ
وبـين جنبيه لي كُلـومٌ دامِيـةٌ مـا لَهـا طَبيبُ
ما كنتُ في موضِع الهَدايا منـكَ ، ولا شَعْبُنا قَرِيبُ
أنّـى وقد نَشَّتِ المَكاوِي عن سِمَةٍ شأنُها عَجِيبُ

---

1 عقب : جمع عقبة ، وهي النوبة .
2 الزور : الزائر . الالتدام : النياحة .
3 يحشمه : يسمعه ما يكره .

وسار بالذَّمِّ فيك شِعْرِي وقيل لي مُحسِنٌ مُصِيبُ
مالُكَ مالُ اليتيمِ عندي ولا أرى أَكْلَه يَطِيبُ
حَسْبُكَ من مُوجزٍ بليغ يَبْلُغُ ما يبلُغُ الخَطِيبُ

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني عليّ بن الحسين الشيبانيّ قال : بعث الحسن بن سَهْلٍ محمدَ بن حُمَيْد في وِجْهةٍ ، وأمره بجبايةِ مالٍ ، وبحَرْبِ قوم من الشُّراة ، فخان في المال وهرَب من الحرب ، فقال فيه محمد بن حازم الباهليّ : [من المتقارب]

تَشَبَّه بالأَسَد الثعلبُ فغادَرَه مُعْنَقاً يُجْنَبُ[1]
وحاولَ ما ليس في طَبْعِهِ فأَسْلَمه النابُ والمِخْلَبُ
فلم تُغْنِ عنه أباطيلُه وحاصَ فأَحْرَزَه المَهْرَبُ[2]
وكان مَضِيّاً على غَدْرِه فغُيِّبَ ، والغادرُ الأَخْيَبُ
أيا ابْنَ حُمَيْدٍ كفرتَ النَّعيـ ـمَ جهلاً ووَسْوَسَكَ المَذْهَبُ[3]
ومَنَّتْك نفسُك ما لا يَكُونُ وبعضُ المُنى خُلَّبٌ يَكْذِبُ
وما زلْتَ تسعى على مُنْعِمٍ بِبَغْيٍ وتُنْهى فَلا تُعْتِبُ
فأصبحتَ بالبَغْي مستبدلاً رَشاداً وقد فات مُسْتَعْتَبُ

قال : وقال فيه لمّا شخص إلى حيثُ وجَّهه الحسن بن سَهْلٍ : [من مخلّع البسيط]

إذا استقلَّتْ بك الرِّكابُ فحيثُ لا دَرّتِ السحابُ
زالتْ سِراعاً وزُلْتَ يَجْرِي ببَينِك الظَّبْيُ والغُرابُ
بحيثُ لا يُرْتَجى إيابٌ وحيثُ لا يبلغُ الكتابُ
فَقَبْلَ معروفِك امتنانٌ ودُونَ معروفِك العذابُ
وخيرُ أخلاقِك اللّواتي تعاف أمثالَها الكلابُ

[قصر شعره]

حدَّثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني أَبي قال : قال يحيى بن أكْثَم لمحمد بن حازم الباهليّ : ما نَعِيبُ شَعرَك إلاّ أنّك لا تطيل ؛ فأنشأ يقول : [من الوافر]

---

1 معنق : في عنقه قلادة .
2 حاص : حاد وعدل .
3 وسوسه : ناجاه رسول له .

أبى ليَ أنْ أُطيل الشعرَ قَصْدِي إلى المَعْنى وعِلْمِـي بالصَّوابِ
وإيجـازِي بمُخْتَصَـرٍ قريـب حذفتُ به الفضولَ من الجوابِ
فأَبْعَثُهُـنّ أربعــةً وخَمْساً مُثَقَّفَــةً بألفــاظٍ عِـذابِ
خَوالِـدَ مـا حَـدا ليلٌ نهاراً وما حَسُن الصِّبا بأخي الشَّبابِ
وهُنَّ إذا وَسَمْتُ بهنّ قومـاً كأطواقِ الحمائـم في الرِّقابِ
وهُنّ إذا أقمْتُ مُسافـراتٌ تَهادتْهـا الرُّواةُ مـع الرِّكابِ

[مع أبي ذؤيب]

حدَّثني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال : حدَّثنا عليّ بن محمّد بن سليمان النَّوْفَليّ قال : كان بالأهواز رجلٌ يعرف بأبي ذُؤَيب من التَّتار ؛ وكان مَقْصِدَ الشعراء وأَهل الأدب ، فقصده محمد بن حازم ، فدخل عليه يوماً وعليه ثيابٌ بَذَّةٌ[1] ، وهيئة رَثَّة ، ولم يعرّفه نَفْسَه ، وصادفهم يتكلّمون في شيء من معاني الشعر ، وأبو ذؤيب يتكلّم متحققاً بالعلم بذلك ، فسأله محمد بن حازم ، وقد دخل عليه يوماً ، عن بيتٍ من شعر الطِّرِمّاح جَهِله ، فرَدَّ عليه جواباً مُحالاً كالمستصغر له وازدراه ، فوثب عن مجلسه مُغْضَباً . فلمّا خرج قيل لـه : مـاذا صنعتَ بنَفْسك وفتحتَ عليها من الشرّ ؟ أتدري لَمن تعرَّضتَ ؟ قال : ومَنْ ذاك ؟ قال : هو الذي احتقرته أفما تعرفه ؟ قال : لا ، قال : هذا محمد بن حازم الباهليّ ، أخبث الناس لساناً وأهجاهم . فوثب إليه حافياً حتى لَحِقه ، فحلف له أنّه لم يَعْرِفه ، واستقاله فأقاله ، وحلف أنّه لا يقبَل له رِفْداً ولا يذكره بسوء مع ذلك أبداً ، وكتب إليه بعد أن افترقا : [من الكامل]

أخْطـا وردَّ عليَّ غيرَ جَوابي وزَرى عليّ وقال غيرَ صوابِ
وسكنتُ من عَجَبٍ لذاك فزادني فيمـا كَرِهـتُ بِظَنّه المُرتابِ
وقضى عليَّ بظاهرٍ من كُسْوَةٍ لم يَدْرِ ما اشتملتْ عليه ثِيابي
مِنْ عِفَّـةٍ وتكَـرُّمٍ وتَحَمُّلٍ وتَجَلّـدٍ لمصيبــةٍ وعِقابِ
وإذا الزمان جنى عليَّ وجدتَني عُوداً لبعض صفائح الأقتابِ
ولئن سألت لَيُخْبِرَنَّك عالِـمٌ أنّي بحيثُ أحـبّ من آدابِ
وإذا نَبـا بِـيَ منزلٌ خَلَّيْتُـه قَفْراً مجـالَ ثَعالب وذِئابِ
وأَكون مُشْتَرَكَ الغِنى مُتَبَذِّلاً فإذا افتقرتُ قعدتُ عن أَصحابي

---

1 عليه ثياب بذة : رث اللباس .

لكنّــه رجعــتْ عليــه ندامةٌ لَمَّا نُسِبْتُ وخاف مَضَّ عِتابي
فأقَلْتُــه لّمــا أقــرَّ بذنبــه ليس الكريمُ على الكريمِ بنابِ

[مع سعد بن مسعود]

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدَّثنا النوفليّ قال: كان سعد بن مسعود القُطْرُبُّليُّ: أبو إسحاق بن سعد صديقاً لمحمّد بن حازم الباهليّ، فسأله حاجةً فردَّه عنها، فغضب محمد وانقطع عنه، فبعث إليه بألف درهم وترضّاه، فردّها وكتب إليه: [من السريع]

مُتَّسِعُ الصدرِ مُطِيقٌ لِما يَحارُ فيه الحُوَّلُ القُلَّبُ
راجَعَ بالعُتْبى فأعتبتُه وربَّما أعتَبَك المُذْنِبُ
أجَلْ وفي الدّهرِ، على أنّه موكَّل بالبين، مُسْتَعْتَبُ
سَقْياً ورَعْياً لزمانٍ مَضى عَنِّي، وسَهْمُ الشّامِتِ الأخيبُ
قد جاءَني منكَ مُوَيْلٌ فلم أعْرِضْ له والحُرُّ لا يَكذبُ[1]
أخْذِيَ مالاً منكَ بعد الذي أوْدَعْتَنِيهِ مَرْكَبٌ يَصْعُبُ
أبَيْتُ أن أشربَ عند الرّضا والسُّخْطِ إلاَّ مَشْرَباً يَعْذُبُ
أعَزَّني اليأس وأغْنى فما أرجو سِوى اللهِ ولا أرهبُ
قارونُ عندي في الغِنى مُعْدِمٌ وهمَّتي ما فوقَها مَذْهَبُ
فأيّ هاتَيْنِ تَراني بها أصبو إلى مالِك أو أرغَبُ؟

[مع أحمد بن يحيى]

حدَّثنا محمّد بن العبّاس اليزيدي وعيسى بن الحسين الورّاق، واللفظ له، قالا: حدَّثنا الخليل بن أسَدٍ النُّوشَجانيّ قال، حدَّثنا حَمّاد بن يحيى قال: حدَّثنا أحمد بن يحيى قال: آخِر ما فارقتُ عليه محمّدَ بن حازم أنّه قال: لم يبْقَ عليَّ شيءٌ من اللّذّات إلاّ بَيْعُ السَّنانير. فقلت له: سَخِنتْ عينُك! أيْشِ لكَ في بيع السنانير من اللذّات؟ قال: يُعجِبني أن تَجيئني العجوزُ الرَّعْناء تُخاصِمني وتقول: هذا سِنَّوري سُرِق منّي، وأخاصمها وأشتُمُها وتشتمني، وأغيظها وأباغضها؛ ثم أنشدني: [من المجتث]

صِلْ خمرةً بخُمارٍ وصِلْ خُماراً بخمرِ

1 مويل: تصغير مال.

وخُــذْ بِحَظِّكَ منهــا زاداً إلى حيث تدري

قال : قلتُ : إلى أين ويحك ؟ قال : إلى النار يا أحمق .

[مع أحمد بن أبي نهيان]

أخبرني الحسن بن عليٍّ الخَفَّاف قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني الحسن بن أبي السَّرِيّ قال : كان إسحاق بن أحمد بن أبي نَهِيك آنِساً بمحمد بن حازم الباهليّ يدعوه ويُعاشره مدّة . فكتب إليه يَسْتَزِيرُه ويُعاتبه عتاباً أغضبه ؛ وبلغه أنّه غضب ، فكتب إليه : [من البسيط]

مــا مُسْتَزِيرُكَ في وُدٍّ رأى خَلَــلاً في موضع الأُنْسِ أهلاً منك للغَضَبِ

قــد كنتَ تُوجِبُ لي حَقّاً وتَعْرِف لي قَدْرِي وتَحْفَظ مِنّي حُرمَــةَ الأَدَبِ

ثم انحرفتَ إلى الأُخْرى فأَحْشَمَني مـــا كان منكَ بلا جُرْمٍ ولا سَبَبِ[1]

وإنّ أَدنـــى الذي عنـــدِي مُسامحـةٌ في حاجتي بعد أن أعذرتُ في الطلبِ[2]

فاخْتَرْ فعنــديَ مــن ثِنْتَيْن واحــدةٌ عُــذْرٌ جميلٌ وشُكْرٌ ليس باللَّعِبِ

فــإن تُجَــدِّد كما قــد كنتَ تفعلُه وإن أخب فَبِما قــد خطّ في الكتبِ

[مع الحسن بن سهل]

حدَّثني محمد بن يونس الأنباريّ المعروف بمحصنة قال : حدَّثني ميمون بن هارون قال : قال محمد بن حازم الباهليّ : عرضتْ لي حاجةٌ في عسكر أبي محمد الحسن بن سَهْلٍ ، فأتيتُه ، وقد كنتُ قلت في السفينة شعراً ، فلمّا دخلت على محمد بن سعيد بن سالم انتسبتُ له ، فَعَرفني ، فقال : ما قلت في الأمير ، فقلت ما قلت فيه شيئاً ؟ فقال له رجل كان معي : بلى ، قد قال أبياتاً وهو في السفينة ؛ فسألني أن أُنْشِدَه ، فأنشدته قولي : [من الوافر]

وقالوا لــو مدحتَ فَتًى كريماً فقلتُ وكيف لي بفَتًى كريمِ ؟

بَلَوْتُ الناسَ مُذْ خمسون عاماً وحَسْبُكَ بالمُجَرِّبِ مــن عليمِ

فمــا أحــدٌ يُعَــدُّ ليومِ خيرٍ ولا أَحــدٌ يعــود على حميمِ

ويعجبني الفتــى وأظــنّ خيراً فأكشف منــه عن رجل لئيمِ

تَقَبَّلَ بعضُهم بعضاً فأضْحَوْا بنــي أَبَوَيْنِ قُــدّاً مــن أَدِيمِ

---

1 أحشمتني : ساءني وأغضبتني .

2 أعذر : أبدى عذراً .

فطاف الناسُ بالحَسَن بن سَهْلٍ ... طَوافَهُمُ بزَمْزَمَ والحَطِيمِ
وقالوا سَيِّدٌ يُعْطِي جزيلاً ... ويَكْشِف كُرْبَةَ الرجلِ الكَظيمِ[1]
فقلتُ مضى بذَمِّ القوم شِعْري ... وقد يُؤْتى البَرِيءُ من السَّقيمِ
وما خَبَرٌ تُرَجِّمُه ظُنوني ... بأشفى من مُعاينةِ الحَلِيمِ[2]
فجئتُ وللأُمورِ مُبَشِّراتٌ ... ولن يخفى الأَغَرُّ من البَهِيمِ
فإنْ يَكُ ما تَنَشَّر عنه حَقّاً ... رجعت بأُهْبَةِ الرجلِ المُقِيمِ
وإن يَكُ غيرُ ذاكَ حَمِدتُ ربِّي ... وزال الشكُّ عن رجلٍ حكيمِ
وما الآمالُ تَعْطِفُني عليه ... ولكنَّ الكريمَ أخو الكريمِ

قال : فلمّا أنشدتُه هذا الشعر ، قال لي : بمثل هذا الشعر تلقى الأمير ؟ واللّه لو كان نَظِيرَكَ لَما جاز أن تُخاطبه بمثل هذا ؛ فقلت : صدقت ، فكذلك قلت ، إنّني لم أمدحه بعدُ ، ولكنّني سأمدحه مدحاً يُشْبِه مثله . قال : فافعل ، وأنزلني عنده ودخل إلى الحسن فأخبره بخبري وعَجَبَه من جَوْدة البيت الأخير فأعجبه ، فأمر بإدخالي إليه بغير مدح ، فأُدخلت إليه . فأمرني أن أنشد هذا الشعر ، فاستعفيته فلم يُعْفِني ، وقال : قد قَنِعْنا منك بهذا القدر إذ لم تُدْخِلْنا في جملة من ذممت ، وأرضيناك بالمكافأة الجميلة . فأنشدته إيّاه ؛ فضحك وقال : ويحك ؛ مالَكَ وللناس تَعُمُّهم بالهجاء ؟ حَسْبُك الآن من هذا النَمَط وأَبْقِ عليهم . فقلت : وقد وهبتهم للأمير . قال : قد قَبِلْتُ ، وأنا أُطالبك بالوفاء مطالبة من أُهديتْ إليه هديةٌ فقبلها وأثاب عليها . ثم وصلني فأجزل وكساني . فقلت في ذلك وأنشدته : [من الوافر]

وهبتُ القومَ للحَسَن بن سَهْلٍ ... فعوَّضَني الجزيلَ من الثَّوابِ
وقال دَعِ الهجاءَ وقُلْ جميلاً ... فإنّ القصدَ أقربُ للثوابِ
فقلت له : برئتُ إليكَ منهمْ ... فليتَهُمُ بمُنْقَطَعِ التُّرابِ
ولولا نعمةُ الحَسَنِ بن سهلٍ ... عليّ لَسُمْتُهُمْ سُوءَ العذابِ
بشِعْرٍ يَعْجَبُ الشعراءُ منه ... يُشَبَّه بالهجاء وبالعِتابِ
أَكِيدُهُمُ مُكايَدةَ الأعادِي ... وأَخْتِلُهُمْ مُخاتلةَ الذِّئابِ[3]

---

1 الكظيم : المكروب .
2 الكلام المرجم : عن غير يقين .
3 ختله : خدعه .

بَلَوْتُ خيارَهم فَبَلَوْتُ قوماً كُهولُهُمُ أَخَسُّ من الشَّبابِ
وما مُسخُوا كِلاباً غيرَ أنّي رأيتُ القومَ أشباهَ الكلابِ

قال : فضحِك وقال : ويحك ! الساعةَ ابتدأتَ بهجائهم وما أفلتوا منك بعدُ . فقلت : هذه بقيةٌ طَفَحتْ على قلبي ، وأنا كافٌّ عنهم ما أبقى الله الأمير .

[في صديق تغيّر]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني عليّ بن الحسن الشَّيْبانيّ قال : كان لمحمّد بن حازمٍ الباهليّ صديقٌ على طول الأيّام ، فنال مرتبةً من السُّلْطان وعَلا قَدْرُه ، فجفا محمداً وتغيَّر له ؛ فقال في ذلك محمد بن حازم : [من مجزوء الكامل]

وَصْلُ المُلوكِ إلى التَّقالي ووَفا المُلوكِ من المُحالِ
ما لي رأيتُكَ لا تَدُو مُ على المَوَدَّةِ للرجالِ
إنْ كان ذا أَدَبٍ وظَر فٍ قلتَ ذاك أخو ضَلالِ
أو كان ذا نُسُكٍ ودِي نٍ قلتَ ذاك من الثِّقالِ
أو كان في وَسَطٍ من الـ أمْرَيْنِ قلتَ يُريغُ مالي[1]
فبِمِثْلِ ذا ، ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ ، تبتغي رُتَبَ المعالي ؟

[مع إبراهيم بن المهدي]

حدَّثني الحسن قال حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني الحسن بن علي الشيبانيّ قال : كان محمد بن حازمٍ الباهليّ قد نَسَك وترك شُرْبَ النبيذ[2] ، فدخل يوماً على إبراهيم بن المهديّ ، فحادثه وناشده وأكل معه لمّا حضر الطعام ، ثم جلسوا للشّراب ؛ فسأله إبراهيم أن يشرب ، فأبى وأنشأ يقول : [من المجتث]

أبعد خمسين أصبو ؟ والشَّيْبُ للجهل حَرْبُ
سِنٌّ وشَيْبٌ وجَهْلٌ ! أمرٌ لَعَمْرُكَ صَعْبُ
يا ابن الإمامِ فهلاَّ أيَّامَ عُودِيَ رَطْبُ !
وشَيْبُ رأسي قليلٌ ومَنْهَلُ الحُبِّ عَذْبُ

---

1 يريغ : يريد ويطلب .
2 ل : الخمر .

وإذْ سِهامي صِيابٌ ونَصْلُ سَيْفِيَ عَضْبُ[1]
وإذْ شِفـاءُ الغَـواني مِنِّـي حديـثٌ وقُرْبُ
فالآن لمّا رأى بي الـ ـعُذّالُ لي مـا أَحَبُّوا
وأقْصَرَ الجهـلُ مِنِّـي وساعـدَ الشَّيْبَ لُبُّ
وآنسَ الرُّشْدَ مِنِّـي قـومٌ أُعـاب وأَصبو
آليـتُ أشربُ كأساً مـا حَـجَّ للهِ رَكْبُ

[مع النُّوشجاني]

حدَّثني الحسن قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني الحسن بن أَبي السَّري قال : وعد النُّوشَجانيّ محمّد بن حازمٍ شيئاً سأله إيّاه ثم مطله له ، وعاتبه فلم ينتفع بذلك ، واقتضاه ، فأقام على مَطْله ؛ فكتب إليه : [من الوافر]

أَبـا بِشْرٍ تَطاوَلَ بـي العِتابُ وطال بِـيَ التَّرَدُّدُ والطِّلابُ
ولم أتركْ مـن الأعذارِ شيئاً أُلام بـه وإن كَثُرَ الخِطابُ
سأَلتُكَ حاجةً فطويتَ كَشْحاً على رَغْـمٍ ، وللدهـر انقلابُ[2]
وسُمْتَنـيَ الدَّنيَّـةَ مُسْتَخِفّاً كما خُزِمـتْ بآنُفِها الصِّعابُ
كأَنَّك كنـتَ تطلُبني بثـأرٍ وفي هذا لك العَجَبُ العُجابُ
فإن تَكُ حاجتي غَلَبَتْ وأعيتْ فمعذورٌ ، وقد وَجَب الثوابُ
وإن يك وَقْتُها شَيْبَ الغُراب فلا قُضِيتْ ولا شابَ الغُرابُ
رجوتُك حين قِيل لي ابنُ كِسْرى وإنَّـك سِرُّ مُلْكِهِمُ اللُّبابُ
فقد عَجَّلْتَ لي من ذاك وَعْداً وأقربُ مـن تَناولِهِ السَّحابُ
وكلٌّ سوف يُنْشَرُ غيـرَ شَكٍّ ويَحْمِلُـه لِطِيَّتِـهِ الكتابُ[3]

[مع ولد سعيد بن سالم]

أَخبرني الحسن قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني الحسن بن أَبي السَّرِيّ قال : قصد محمد بن حازمٍ بعضَ وَلَدِ سَعِيدِ بن سالمٍ وقد وَلِي عملاً ، واسترفده ؛ فأَطال مُدَّته ولم يُعْطِه شيئاً ؛ وانصرف عنه وقال : [من الوافر]

1 صياب : صائبة .
2 طوى كشحه : أعرض .
3 الطية : الوجهة .

أَلِلدُّنيا أُعِدُّكَ يا ابنَ عَمِّي ... فأَعْلَمَ أم أُعِدُّك للحسابِ
إلى كَمْ لا أَراكَ تُنِيلَ حتّى ... أُهُزَّك ! قد بَرِمتُ من العتابِ
وما تنفكُّ من جَمْعٍ ووضعٍ ... كأنَّك لستَ تُوقِنُ بالإيابِ
فشَرُّكَ عن صديقك غيرُ ناءٍ ... وخَيْرُك عند مُنْقَطَعِ الترابِ
أتيتُك زائراً فأتيتُ كلباً ... فحَظِّي من إخائك لِلْكِلابِ
فبئس أخو العشيرةِ ما عَلِمْنا ... وأخبثُ صاحبٍ لأخي اغترابِ
أيَرْحَلُ عنك ضَيْفُك غيرَ راضٍ ... ورَحْلُك واسعٌ خِصْبُ الجنابِ
فقد أصبحتَ من كرمٍ بعيداً ... ومن ضِدّ المكارم في اللُّبابِ
وما بِيَ حاجةٌ لجَداك لكن ... أَرُدُّك عن قَبِيحِك للصَّوابِ

[المتوكّل يتمثّل بشعره]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني يزيد بن محمد المهلَّبيّ قال : كنّا عند المتوكّل يوماً وقد غاضبتْه قَبيحةٌ ، فخرج إلينا فقال : مَن يُنشِدُني منكم شعراً في معنى غَضَب قبيحةٍ عليّ ، وحاجتي أن أخضَعَ لها حتى ترضى ؟ فقلت له : لقد أحسنَ محمد بن حازمٍ الباهليُّ يا أُمير المؤمنين حيث يقول : [من الطويل]

صوت

صفحتُ برَغمي عنك صَفْحَ ضرورةٍ ... إليك وفي قلبي نُدوبٌ من العَتْبِ
خضعتُ وما ذَنبِي إنِ الحُبَّ عَزَّني ... فأغضيتُ صفحاً عن معالجَة الحبِّ[1]
وما زال بي فقرٌ إليك مُنازِعٌ ... يُذَلِّل منِّي كلَّ مُمْتَنِعٍ صَعْبِ
إلى الله أَشكو أنّ وُدِّي مُحَصَّلٌ ... وقلبي جميعاً عند مُقْتسِمِ القَلْبِ

الغناء لعُبيدة الطُّنبوريّة رملٌ بالوسطى . قال : أحسنت وحياتي يا يزيد ! وأَمر بأن يُغَنَّى فيه ، وأَمر لي بألف دينار .

[هجاء بني نمير]

حدَّثني الحسن بن عليٍّ قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا عليُّ بن خالد البرمكيّ قال : سافر محمد بن حازم الباهليُّ سفراً ، فمرَّ بقومٍ من بني نُمَيْرٍ ، فسَلُّوا منه بعيراً له عليه ثَقَلُه[2] ؛

---

1 عزني : غلبني .
2 ثقله : متاعه .

فقال يهجوهم : [من الطويل]

نُمَيْرٌ : أَجُبْناً حينَ يختلف القَنا ولُؤماً وبُخْلاً عند زادٍ ومِزْوَدِ ؟
ومَنْعَ قِرى الأضيافِ من غيرِ عِلَّةٍ ولا عَدَمٍ ، إلاّ حِذارَ التَّعوُّدِ
وبَغْياً على الجارِ الغريبِ إذا طَرا إليكم وخَتْلَ الرَّاكِبِ المُتفرِّدِ
على أنّكم تَرْضَوْنَ بالذُّلِّ صاحباً وتُعْطُون مَنْ لاحاكُمُ الضَّيمَ عن يَدِ
أما وأبي إنّا لَنَعْفُو وإنّنا على ذاك أحياناً نجُورُ ونعتدي
نَكِيدُ العِدا بالحِلْمِ من غير ذِلّةٍ ونَغْشى الوَغى بالصِّدْقِ لا بالتَّوَعُّدِ
نَفى الضَّيْمَ عنّا أَنفسٌ مُضَرِيَّةٌ صِراحٌ وطَعْنُ الباسلِ المُتَمَرِّدِ
وإنّا لَمِن قَيْسِ بن عَيْلانَ في التي هي الغايةُ القُصْوى بعِزٍّ وسُودَدِ
وإنَّ لنا بالتُّرْكِ قَبْراً مُبارَكاً وبالصِّين قبراً عِزَّ كلِّ مُوَحِّدِ
وما نابَنا صَرْفُ الزمانِ بِسَيِّدٍ بَكَيْنا عليه أو يُوافي بسَيِّدِ
ولو أَنَّ قوماً يَسْلَمُونَ من الرَّدى سَلِمْنا ولكنّ المنايا بِمَرْصَدِ
أَبى الله أن يَهْدِي نُمَيْراً لِرُشْدِها ولا يَرْشُدُ الإنسانُ إلاّ بِمُرْشِدِ

[مع عامل محمد بن حامد]

حدَّثني الحسن بن عليٍّ قال : حدَّثني محمد بن القاسم ورجلٌ من وَلَد البَخْتكان[1] من الأهوازيّين . أنّ محمد بن حامد ولي بعضَ كُوَر الأهواز في أيّام المأمون ، وأنّ محمد بن حازمٍ الباهليَّ قَدِم عليه زائراً ومَدَحه ، فوَصَله وأحسن إليه ، وكتب له إلى تُسْتَرَ[2] بحِنْطة وشعير ، فمضى بكتابه ، وأخذ ما كُتِب له به ، وتزوّج هناك امرأةً من الدَّهاقين[3] ، فزَرَع الحِنطة والشعير في ضَيْعَتها ؛ وولّى محمد بن حامدٍ رجلاً من أهل الكوفة الخَراج بتُسْتَرَ ، فوكل بغَلّةِ محمد بن حازمٍ ، وطالبه بالخراج فأدّاه ، فقال يهجوه : [من الطويل]

زَرَعنا فلمّا سلّم الله زَرْعَنا وأَوفى عليه مِنْجَلٌ بحَصادِ
بُلِينا بكُوفيٍّ حَليف مجاعةٍ أَضَرَّ علينا من دَباً وجَرادِ[4]

1 البختكان : والد بزرجمهر .
2 تستر : مدينة بالأهواز .
3 الدهاقين : جمع دهقان وهو رئيس الفلاحين .
4 الدبا : الجراد .

أتى مُسْتَعِدّاً ما يُكَذِّبُ دونه ... ولَجَّ بإرغامٍ لـه وبِعادِ
فَطوراً بإلحاحٍ عليَّ وغِلْظَةٍ ... وطَوْراً بخَبْطٍ دائم وفسادِ
ولولا أبو العبّاس أعني ابنَ حامِدٍ ... لرَحَّلْتُه عن تُسْتَرٍ بسَوادِ
فكُفُّوا الأذى عن جارِكم وتَعَلَّموا ... بأنّي لكم في العالمين مُنادِي

فبعث محمد بن حامد إلى عامله فصرفه عن الناحية ، وقال له : عَرَّضتني لِما أكْرَه ، واحتمل خراج محمد بن حازم .

[أحسن قوله في الشيب]

أخبرني محمد بن الحسين بن الكِنْدِيّ المؤدِّب قال : حدَّثنا الرِّياشيّ قال : سمعتُ الأصمعيَّ يقول : قال هذا الباهليُّ محمّد بن حازمٍ في وصف الشَّيْب شيئاً حَسَناً ، فقال له أبو محمّد الباهليّ : لعلّك تعني قولَه : [من البسيط]

كفاك بالشيب ذنباً عند غانيةٍ ... وبالشَّباب شفيعاً أيُّها الرَّجُلُ

فقال : إيّاه عنَيتُ . فقال له الباهليّ : ما سمعتُ لأحدٍ من المُحْدَثين أحسنَ منه .

[مع الأمين]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثنا حسين بن فَهْم قال : حدَّثني أبي قال : دخل محمد بن حازم على محمد بن زبيدة وهو أمير ، فدعاه إلى أن يشرَب معه ، فامتنع وقال[1] : [من المجتث]

أبعد خمسين أصبو ... والشَّيْبُ للجهل حَرْبُ
سِنٌّ وشَيْبٌ وجهلٌ ! ... أمرٌ لَعَمْرُك صَعْبُ
يا ابنَ الإمامِ فهَلاَّ ... أيَّامَ عُودِيَ رَطْبُ !
وشيبُ رأسي قليلٌ ... ومَنْهَلُ الحُبِّ عَذْبُ
وإذْ شفاءُ الغَواني ... منِّي حديثٌ وشُرْبُ
الآن حين رأى بي ... عَواذِلي ما أحَبُّوا !
آليتُ أشْرَبُ كأساً ... ما حجَّ لله رَكْبُ

قال : فأعفاه محمد بن زبيدة ووَصَله .

1 تقدّم أنّ هذه الأبيات مع إبراهيم بن المهديّ ، ص 68 .

[259] ـ أخبار ابن القَصّار ونسبه

[نسبه]

اسمه فيما أخبرني به أبو الفضل بن بُرْد الخِيار ، سليمان بن عليٍّ . وذكره جحظة في كتاب الطُّنْبُوريِّين ، فثلبه في نفسه وأخلاقه ومَدَح صَنْعَتَه ، وقال : ممّا أحْسَنَ فيه قوله : [من الطويل]

أرِقْتُ لِبَرْقٍ لاحَ في فَحْمةِ الدُّجى ... فأذكَرَني الأحبابَ والمنزلَ الرَّحْبا

قال : وهذا خفيف رمل مطلق . وممّا أحسن فيه أيضاً : [من المتقارب]

تعالَيْ نُجَـدِّدُ عهـدَ الصِّبا ... ونَصْفَحُ للحُبِّ عمّا مَضى

[موضع للثلب والتندر]

وهو خفيف رمل مطلق أيضاً . وذكر أنّه كان مع أبيه قَصّاراً ، ثم تعلّم الغِناء فبَرَع فيه . ومن طيِّب ما ثَلَبه به جَحْظة وتنادَرَ عليه به ، وأراها مصنوعةً ، أنّه مرّ يوماً على أبيه ، ومعه غلامٌ يحمِل قاطرميز نبيذ ، وجوامرجة[1] مذبوحة مسموطة ، فقال : الحمد لله الذي أراني ابني قبلَ موتي يأكُلُ لَحم الجواميرات ، ويَشْرَب نبيذ القاطرميزات .

وحدَّث عن بعض جيرانه أنّ ابن القَصّار غنّى له يوماً بحبلٍ ودَلْوٍ ، وأنّ إسماعيل بن المتوكِّل وَهَب له مائتي أتْرُجّة كانت بين يديه ، فباعها بثلاثة دنانير ، وأنّه يَحْمل بلبكيذه إلى دار السلطان ، وله فيه خُبْزٌ وجبنٌ فيأكله ، ويحمل في البلبكيذ ما يُوضَع بين يديه في دار السلطان ، فيدعو إخوانه عليه . وأكثرَ من ثَلْبِ الرجل ممّا لا فائدة فيه . ولو أراد قائلٌ أنْ يقول فيه ما لا يَبْعُد من هذه الأخلاق لَوَجَد مقالاً واسعاً ، ولكنّه ممّا يَقْبُح ذكره ، سيَّما وقد لَقِيناه وعاشرناه . عفا الله عنّا وعنه .

[من أفضل الطنبوريين]

أخبرنا ذُكاء وجه الزُّرَّة قال : كنّا نجتمع مع جماعةٍ في الطُّنْبُوريِّين ، ونشاهدهم في دُور الملوك وبحضرة السلطان ، فما شاهدت منهم أفضلَ من المسدود وعمر المَيْدانيّ وابن القَصَّار .

وحدَّثتْني قُمْرِيّة البَكتَمُرِيّة قالت : كنت لرجلٍ من الكُتّاب يُعْرَفُ بالبَلُّوريّ ، وكان شيخاً ، وكانت ستّي التي ربّتني مولاته ، وكانت مُغَنِّيةً شَجِيَّةَ الصَّوتِ حسَنة الغِناء ،

---

1 لعلّها دجاجة .

وكانت تَعْشَق ابن القَصَّار ، وكان علامةُ مصيره إليها أن يجتاز في دِجْلةَ وهو يُغَنِّي ، فإنْ قَدَرتُ على لِقائه أوصلتُه إليها ، وإلاّ مضى . فأذكره وقد اجتاز بنا في ليلةٍ مُقْمِرةٍ وهو يُغَنِّي خفيفَ رَمَلٍ قال : [من مجزوء الرمل]

أنــا في يُمْنى يَدَيْهــا وهي في يُسْرى يَدَيَّهْ
إنَّ هــذا لَقَضــاءٌ فيــه جَــوْرٌ يــا أُخَيَّهْ

ويُغَنَّى في آخِرِه رَدّه :

وَيْل وَيْلي يــا أُبَيَّهْ

وكانت سِتٌّي واقفةً بين يَدَي مولاها ، فما ملكتْ نفسَها أن صاحتْ : أحسنت واللهِ يا رجُل ! فتفَضَّلْ وأعِد ، ففعل وشَرِب رطلاً وانصرف ، وعَلِم أنّه لا يَقْدِر على الوصول إليها . وكان مولاها يعرف الخبر . فتغافلَ عنها لمَوْضِعها من قلبه ؛ فلا أذكُر أنِّي سمعت قطُّ أحسنَ من غنائه .

صوت

[من الخفيف]

باح بالوجــدِ قلبُك المُسْتَهامُ وجــرتْ في عِظامك الأسقامُ
يوم لا يملك البكاءَ أخو الشَّوْ قِ فيشْفــى ولا يُــرَدُّ سلامُ

لم يقع إليّ قائلُ هذا الشعر . والغناء لمعبد اليَقْطِيني ثاني ثقيل بالبِنْصَر عن أحمد بن المكّيّ .

[260] ـ أخبار معبد اليقطيني

[نسبه]

كان مَعبدٌ اليَقْطِينيّ غلاماً مُوَلَّداً خَلاسيّاً[1] من موَلَّدي المدينة ، اشتراه بعض وَلَد عليٍّ بن يَقْطِين . وقد شَدا بالمدينة ، وأخذ الغِناء عن جماعةٍ من أهلها ، وعن جماعة أُخرى من عِلْيَةِ المُغَنِّين بالعراق في ذلك الوقت ، مثل إسحاق وابن جامع وطَبَقتهما ، ولم يكن فيما ذُكِر بطيّب المسموع ، ولا خَدَم أحداً من الخُلفاء إلاّ الرشيدَ ، ومات في أيّامه ، وكان أكثرُ انقطاعه إلى البرامكة .

[قصة المدني العاشق]

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ قال : حدَّثني مَعْبَدٌ الصغير المُغَنِّي مولى عليٍّ بن يقطين قال : كنت منقطعاً إلى البرامكة ، أخدمهم وأُلازمهم . فبينا أنا ذاتَ يومٍ في منزلي إذا بابي يُدَقُّ ، فخرج غلامي ثم رجع إليَّ فقال : على البابِ فتًى ظاهرُ المُروءة يستأذن عليك ؛ فأذِنتُ له . فدخل عليّ شاب ما رأيتُ أحسنَ وجهاً منه ، ولا أنظف ثوباً ، ولا أجملَ زِيّاً منه ، من رجلٍ دَنِفٍ عليه آثارُ السَّقَمِ ظاهرة ، فقال لي : إنّي أرجو لُقاكَ منذ مُدّةٍ فلا أجدُ إليه سبيلاً ، وإنّ لي حاجة . قلت : ما هي ؟ فأخرجَ ثلثمائة دينار فوَضعها بين يَدَيَّ ، ثم قال : أسألك أن تَقْبَلها وتَصنَع في بيتين قلتُهما لحناً تُغنّيني به . فقلت : هاتهما ، فأنشدهما ، وقال : [من البسيط]

صوت

والله يا طَرْفَي الجاني على بَدَني ... لَتُطْفِئَنَّ بدَمْعي لوعةَ الحَزَنِ

أو لأَبوحَنَّ حتّى يَحْجُبُوا سَكَني ... فلا أراه ولو أُدْرِجْتُ في كَفَني[2]

الغناء فيه لمعبد اليقطيني ثقيل أوّل مطلقٌ في مجرى الوُسْطى ، قال : فصنعت فيهما لحناً ثم غَنَّيته إيّاه ؛ فأُغمي عليه حتى ظننته قد مات . ثم أفاق فقال : أعِدْ فديتك ! فناشدته اللهَ في نفسه وقلت : أخشى أن تموت . فقال : هيهات ! أنا أشْقى من ذاك . وما زال يخضع لي ويتضرَّع حتى أعدتُه ، فصَعق صعقةً أشدَّ من الأولى ، حتى ظننت أنّ نفسَه قد فاظت . فلمّا أفاق رددت الدنانير

1 الخلاسي : المولود من أبوين أبيض وأسود .

2 السكن : المحبوب الذي يسكن إليه .

عليه ووضعتُها بين يديه ، وقلت : يا هذا خذ دنانيرك وانصرف عنّي ؛ فقد قضيتَ حاجتك ، وبلغتَ وطَراً ممّا أردته ، ولستُ أُحِبُّ أن أشْرَكَ في دَمِك . فقال : يا هذا ؛ لا حاجةَ لي في الدنانير وهذا مثلها لك ثم أخرج ثلاثمائة دينار فوضعها بين يدي . وقال : أعد عليَّ الصوت مرّة أُخرى ، وحلال لك دمي ، فشرهت نفسي إلى الدنانير ، فقلت : لا والله ولا بعشرة أضعافها إلاّ على ثلاث شرائط . قال : وما هنّ ؟ قلت : أوّلها أن تُقيم عندي وتتحرّم بطعامي ، والثانية أن تَشرب أقداحاً من النَّبيذ تَشُدُّ قلبَك وتُسَكِّن ما بك ، والثالثة أن تُحدّثني بقصَّتك . فقال : أفعل ما تريد . فأخذت الدنانير ، ودعوت بطعامٍ فأصاب منه إصابةَ مُعذِر ، ثم دعوتُ بالنبيذ فشرب أقداحاً ، وغنَّيته بشعرٍ غيره في معناه ، وهو يشرب ويبكي . ثم قال : الشرط أعزّك الله ، فغنَّيته ، فجعل يبكي أحرَّ بكاء ويَنْشِج أشدّ نَشيج وينتحب . فلمّا رأيت ما به قد خفَّ عمّا كان يَلْحَقه ، ورأيتُ النّبيذ قد شدّ من قلبه ، كررت عليه صَوتَه مِراراً ، ثم قلتُ : حدِّثني حديثَك . فقال : أنا رجلٌ من أهل المدينة خرجتُ مُتَنَزِّهاً في ظاهرها وقد سال العقيقُ ، في فتية من أقراني وأخداني ، فبصُرْنا بقَيْناتٍ قد خرجن لمثل ما خرجنا له ، فجلسنَ حَجْرَةً منّاً ، وبَصُرْتُ فيهنّ بفتاةٍ كأنّها قضيبٌ قد طلَّه الندى ، تنظر بعينين ما ارتدّ طرْفُهما إلاّ بنَفْسِ مَن يُلاحِظهما . فأطلنا وأطَلْن ، حتى تفرّق الناس ، وانصرفن وانصرفنا ، وقد أبقتْ بقلبي جُرْحاً بطيئاً اندِمالُه . فعُدْتُ إلى منزلي وأنا وَقيذٌ[1] . وخرجتُ من الغدِ إلى العقيق ، وليس به أحدٌ ، فلم أرَ لها ولا لصواحباتها أثراً . ثم جعلتُ أتتبّعها في طُرُق المدينة وأسواقها ، فكأنّ الأرض أضمرتْها ، فلم أُحِسّ لها بعين ولا أثر ، وسَقِمْتُ حتى أيِسَ منّي أهلي . ودخلتْ ظِئري فاستعلمتْني حالي ، وضَمِنَتْ لي كتمانها والسعي فيما أُحِبُّه منها ؛ فأخبرتُها بقصَّتي ، فقالت : لا بأسَ عليك ؛ هذه أيّام الربيع ، وهي سَنَة خِصْبٍ وأنواء ، وليس يَبْعُدُ عنك المَطَر ، وهذا العقيق ، فتخرُج حينئذٍ وأخرج معك ؛ فإنّ النسوة سيجئن . فإذا فعلن ورأيتَها تَبِعْتُها حتى أعرف موضعها ، ثم أصل بينك وبينها ، وأسعى لك في تزويجها . فكأنّ نفسي اطمأنّت إلى ذلك ، ووثِقتْ به وسَكَنَتْ إليه ؛ فقَوِيتُ وطَمِعْتُ وتراجعْتْ نفسي ، وجاء مطر بعَقب ذلك ، فأسالَ الواديَ ، وخرج الناسُ وخرجتُ مع إخواني إليه ، فجلسنا مجلسَنا الأوّل بعَيْنه ، فما كنّا والنسوة إلاّ كفرَسَيْ رِهانٍ . وأومأتُ إلى ظئري فجلستْ حَجْرَةً منّا ومنهنّ ، وأقبلتُ على إخواني فقلت : لقد أحسن القائلُ حيث قال : [من الطويل]

رَمَتْني بسهم أَقْصَدَ القلبَ وانْثَنَتْ وقد غادرتْ جُرْحاً به ونُدُوبا

فأقبلتْ على صواحباتِها فقالت : أحسنَ والله القائل ، وأحسَنَ مَن أجابه حيث

---

1 وقيذ : صريع .

يقـول : [من الطويل]

بِنـا مثلُ مـا تَشْكُو ، فصَبْراً لعلَّنا نرى فَرَجـاً يَشْفي السَّقامَ قَريبا

فأمسكتُ عن الجواب خوفاً من أن يظهر منّي ما يَفْضَحُني وإيّاها ، وعرفتُ ما أرادتْ . ثم تفرّق الناس وانصرفنا ، وتَبِعَتْها ظِئْري حتّى عرفتْ منزلَها ، وصارت إليَّ فأخذتْ بيدي ومَضَيْنا إليها . فلم تَزَلْ تتلطَّف حتّى وصلتْ إليها . فتَلاقَيْنا وتزاوَرنا على حالِ مُخالسةٍ ومُراقَبَة حتى شاع حديثي وحديثُها ، وظَهَر ما بيني وبينها ، فحجبها أهلُها ، وتشدّد عليها أبوها . فما زِلْتُ أجتهد في لِقائِها فلا أَقدر عليه . وشكوتُ إلى أبي ، لشدّة ما نالني ، حالي ، وسألته خِطْبَتها لي . فمضى أبي ومَشْيَخةُ أهلي إلى أبيها فخطبوها . فقال : لو كان بَدَأَ بهذا قبل أن يَفْضَحَها ويشهرَها لأسعفتُه بما التمس ، ولكنّه قد فَضَحها ، فلم أَكُنْ لأُحَقِّقَ قولَ الناس فيها بتزويجه إيّاها ؛ فانصرفتُ على يأسٍ منها ومن نَفْسي . قال معبد : فسألته أن ينزلَ ، فجَبَرني وصارت بيننا عِشْرةٌ . ثم جلس جعفر بن يحيى للشُّرْب فأتيتُه ؛ فكان أَوَّلَ صوتٍ غنَّيته صوتي في شعر الفتى ، فطرِب عليه طَرَباً شديداً ، وقال : ويحك ؛ إنّ لهذا الصوت حديثاً ، فما هو ؟ فحدّثته ، فأمر بإحضار الفتى ، فأُحضر من وقته ، واستعاده الحديثَ ، فأعاده عليه . فقال : هي في ذِمَّتي حتى أُزَوِّجك إيَّاها ، فطابت نفسه ، وأَقام معنا ليلَتنا حتى أَصبح . وغدا جعفرٌ إلى الرشيد فحدَّثه الحديث ، فعجِب منه ، وأَمر بإحضارنا جميعاً ، فأُحضِرنا ، وأَمر بأن أُغنِّيه الصوتَ فغَنَّيْته ، وشرب عليه ، وسَمِع حديثَ الفتى ، فأَمَر مِن وقته بالكِتاب إلى عامل الحِجاز بإشخاص الرَّجل وابنته وجميع أَهله إلى حَضرته ، فلم يمضِ إلاّ مسافة الطريق حتى أُحضر . فأَمر الرشيد بإيصاله إليه فأُوصِل ، وخطب إليه الجارية للفتى ، وأَقسم عليه ألاّ يُخالف أَمرَه ، فأَجابه وزوّجه إيّاها ، وحَمَل إليه الرشيد ألفَ دينار لِجهازها ، وألف دينارٍ لنفقة طريقه ، وأمر للفتى بألفِ دينار ، وأمر جعفرٌ لي وللفتى بألف دينار . وكان المدنيّ بعد ذلك في جملة نُدَماء جعفر بن يحيى .

صوت

[من المنسرح]

هل نَفْسُك المستهامة السَّدِمَهْ سَالِيـةٌ مَـرَّةً ومُعْتَزِمَـهْ[1]
عن ذكر خَوْدٍ قَضى لها المَلِكُ الْـ ـخالِـقُ أَلاَّ تُكِنَّهـا ظُلَمَـهْ

الشعر لابن أَبي الزوائد ، والغناء لحَكَم رملٌ بالوُسْطى عن الهِشاميّ .

---

1 السدمة : المهمومة .

[261] ـ أخبار ابن أَبي الزوائد ونسبه

[نسبه]

اسمه سُلَيْمان[1] بن يحيى بن زَيْدِ بن مَعْبَدِ بن أيُّوب بن هِلال بن عَوْفِ بن نضلة بن عُصَيَّةَ بن نَصْرِ بن سَعْدِ بن بَكْر بن هوازن بن منصور . ويقال له ابن أبي الزوائد أيضاً . شاعرٌ مُقِلٌّ ، من مُخَضْرَمي الدّولتَين ، وكان يَؤُمُّ الناس في مسجد رسول الله ﷺ .

[عشقه جارية الصهيبيين كان يتعشّقها]

أُخبرني بذلك محمد بن خَلَف وكيعٌ قال : حدَّثنا ابن أَبي خَيْثَمَةَ عن بعض رجاله عن الأَصمعيّ ، وأَخبرني وكيعٌ قال : حدَّثني طَلْحة بن عبد الله الطَّلْحِيّ قال : أَخبرني أَحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال : كان ابن أبي الزوائد يَتَعَشَّق جاريةً سوداء مولاةَ الصُّهيبيّين ، وكان يختلف إليها وهي في النَّخْل بحاجزة . فلمّا حان الجَدادُ قال : [من المنسرح]

حُجَيْجُ أمسى جَدادُ حاجزةٍ ... فليتَ أنَّ الجَداد لم يَحِنِ[2]
وشَتَّ بَيْنٌ وكُنْتِ لي سَكَناً ... فيما مَضى كان ليس بالسَّكَنِ
قد كان لي مِنْكِ ما أُسَرُّ به ... وليتَ ما كان مِنْكِ لم يَكُنِ
نَعِفُّ في لَهْونا ويَجْمَعُنا الـ ... ـمَجْلِسُ بين العريش والجُرُنِ
يُعْجِبُنا اللَّهْوُ والحديثُ ولا ... نَخْلِط في لَهْونا هَناً بهَنِ
لَوْ قَدْ رحلتُ الحمارَ منكشفاً ... لم أَرَها بَعْدَها ولم تَرَني

فقال له أَبو محمد الجُمَحِيُّ : إنَّ الشعراء يذكرون في شِعْرِهم أنَّهم رَحَلوا الإبلَ والنَّجائب ، وأنتَ تذكر أَنَّكَ رَحَلْت حِماراً . فقال : ما قلتُ إلاّ حقّاً ، والله ما كان لي شيء أَرْحَلُه غيره .

قال : وقال فيها أيضاً : [من السريع]

يا ليتَ أنَّ العَرَبَ اسْتَلْحَقُوا ... رِيمَ الصُّهَيْبِيِّينَ ذاكَ الأَجَمّ
وكانَ منهم فتزوّجتُه ... أو كنتُ من بعض رجال العَجَمْ

---

1 ل : سلمة .

2 حجيج : اسم الجارية . وحاجزة : البقعة التي فيها النخل الذي حان جداده .

[تنافره مع صديق له]

أخبرني وكيع قال : حدَّثني طلحة بن عبد الله بن الزّبَير بن بكّار عن عَمِّه قال : كان أبو عبيدة بن عبد الله بن ربيعة صديقاً لابن أبي الزوائد ، ثم تباعد ما بينهما لشيء بلغ أبا عُبَيدةَ عنه ، فهجره من أجله ، فهجاه ؛ فقال : [من مجزوء الكامل]

قطعَ الصفاءَ ، ولم أكن أهلاً لذاك ، أبو عُبَيْدَهْ
لا تَحْسَبَنَّك عاقِلاً فَلأنْتَ أحمقُ من حُمَيْدَهْ[1]

حميدة : امرأة كانت بالمدينة رعناء يُضرَب بها المَثَلُ في الحمق .

[قيان حماد بن عمران]

حدَّثني عَمِّي ووكيع قالا : حدَّثنا الكُرانيّ عن أبي غسَّان دَماذ عن أبي عُبَيْدة قال : دخل ابن أبي الزوائد إلى حمّاد بن عِمران الطَّلْحِي ، وكان يُلَقَّبُ بعُطْعُط ، وكان له قِيانٌ يسمعهنّ الناسُ عنده ، فرآهن ابن أبي الزوائد فقال فِيهنّ : [من المتقارب]

أقول وقد صُفَّتِ البُظْرُ لي : أَلِلْبُظْرِ أدخلني عُطْعُطُ ؟
فإنّي امرؤٌ لا أُحِبُّ الزِّنا ولا يَسْتَفِزُّنيَ البَرْبَطُ
ولو بَعْضُهنّ ابتغى صَبْوتي لَخالَطَ هامَتَها المِخْبَطُ[2]
لبئس فِعالُ امرىءٍ قد قَرا وهَمَّتْ عَوارِضُه تَشْمَطُ[3]
وما كنتُ مفترشاً جارتي وسَيِّدُها نائمٌ يَضرِطُ
أأُفْرِغُ في جارتي نُطْفَةً حَراماً كما يُفْرَغُ المُسْعُطُ

[هجاؤه لامرأته]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدَّثني أبو هَفَّان قال : حدَّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : حدَّثني المُسَيَّبيّ : أنّ ابن أبي الزوائد كانت عنده امرأةٌ أنصاريّة ، فطال لُبْثُها عنده حتى مَلَّها وأبغضها ، فقال يهجوها : [من الكامل]

يا رَمْلُ أنتِ الغُولُ بين رِمالِ لم تَظْفَري بتُقًى ولا بِجَمالِ

---

1 لم نعثر على المثل «أحمق من حميدة» في كتب الأمثال . والأمثال بلفظ «أحمق من . . .» كثيرة .

2 المخبط : العصا .

3 الشطر الأول في ل : لبئس إذن فعل من قد قرا . العارضة : صفحة الخد . والشمط : اختلاط السواد والبياض في الرأس .

يا رَمْلُ لو حُدِّثْتُ أنَّكِ سَلْفَعٌ شَوْهاءُ كالسِّعْلاةِ بين سَعالي[1]
ما جاء يطلُبُك الرسولُ بخِطْبَةٍ مِنّي ولا ضُمَّت عليكِ حبَالي
ولقد نَهى عنكِ النَّصيحُ وقال لي : لا تَقْرِنَنَّ بَذِيَّةً بِعِيالِ
لَمّا هَزَزْتُ مُهَنَّدِي وقذفتُه فيها وقد أرهفتُه بصِقالِ
رَجَع المُهَنَّدُ ما لَه من حيلةٍ وهناك تَصْعُبُ حيلةُ المحتالِ
وكأنّما أولجتُه في قُلَّةٍ قد بُرِّدتْ للصوم أو بوقالِ[2]
ورأيتُ وجهاً كاسفاً مُتَغَيِّراً وحِراً أشَقَّ كمِرْكَنِ الغَسّالِ
ما كان أيْرُ الفيل بالِغَ قَعْرِهِ بتحامُلٍ عَنْهُ ولا إدخالِ
ولقد طعنت مَبالَها بسُلاحِها فوجدتُ أخبثَ مَسْلَحٍ ومَبالِ

قال : وقال لها وقد فخرَتْ : [من الكامل]

هلاَّ سألتِ مَنازِلاً بِغُرارِ عَمَّنْ عَهِدْتُ به من الأحرارِ[3]
أين انْتَأَوْا ونحاهُمُ صَرْفُ النوى عنّا وصَرْفُ مُقَحِّمٍ مِغْيارِ
كَرِهَ المُقامَ وظَنّ بي وبأهلِها ظَنّاً فكان بنا على إضْرارِ
عُدِّي رِجالَكِ واسْمَعِي يا هَذِهِ عَنّي مَقالةَ عالِمٍ مِفْخارِ
سأعُدُّ ساداتٍ لنا ومَكارِماً وأُبُوَّةً ليستْ عَلَيَّ بعارِ
قَيْسٌ وخِنْدِفُ والديَّ كِلاهُما والعَمُّ بَعْدُ ربيعةُ بنُ نِزارِ
مَنْ مثلُ فارِسنا دُرَيْدٍ فارساً في كلِّ يومِ تعانُقٍ وكِرارِ
وبنو زِيادٍ مَنْ لِقَوْمِكِ مِثْلُهُمْ أو مِثْلُ عنترَةَ الهِزَبْرِ الضّاري
والحيُّ من سعدٍ ذُؤابةُ قَوْمِهِم والفَخْرُ منهم والسَّنامُ الواري[4]
والمانِعُونَ من العَدُوِّ ذِمارَهُمْ والمُدْرِكُونَ عَدُوَّهم بالثّارِ
والناكحون بناتِ كلِّ مُتَوَّجٍ يومَ الوَغى غَصْباً بلا إمهارِ
وبنو سُلَيْم ثُكْلُ مَنْ عاداهُمُ وحَيا العُفاةِ ومَعْقِلُ الفُرّارِ[5]

---

1 السلفع : الصخابة البذيئة . والسعلاة : الغول .
2 بوقال : كوز بلا عروة .
3 غرار : جبل بتهامة .
4 قومهم في ل : بيتهم . الواري : الشحم السمين .
5 الحيا : الخصب . والعفاة : طلاب الرزق .

ليسوا بأنكــاسٍ إذا حاسبتهـــم للمَــوْتِ ثُمَّتَ صَمَّمُوا لِمُغارِ[1]

[تشوّقه إلى المدينة]

أُخبرني عيسى بن الحسين قال : حدَّثنا الزُّبير بن بَكّار عن عَمِّه قال : كان ابن أُبي الزوائد وفَدَ إلى بغداد في أيّام المهديّ ، فاستوخمها ، فقال يتشوّق إلى المدينة ويخاطب أبا غسّان محمد بن يحيى وكان معه نازلاً : [من الخفيف]

يا ابنَ يحيى ماذا بَدا لك ماذا أمُقامٌ أم قــد عَزَمْتَ الخياذا[2]
فالبراغيثُ قــد تَثَــوَّرَ منهــا سامرٌ مــا نَلُــوذَ منهــا مَلاذا
فَنَحُكُّ الجُلُودَ طــوراً فتَدْمى ونَحُــكُّ الصّدُورَ والأفخاذا
فسَقى الله طَيْبَة الوَبْــلَ سَحّاً وسقى الكَرْخَ والصَّراةَ الرَّذاذا[3]
بلدةٌ لا تــرى بهــا العَيْنُ يوماً شاربــاً للنّبيــذِ أو نَبّاذا[4]
أو فتًى ماجناً يرى اللَّهْوَ والبا طِلَ مجــداً أو صاحباً لَوَّاذا[5]
هـــذه الذال فاسمعوها وهاتُوا شاعِراً قــال في الرَّوِيِّ على ذا
قالها شاعــرٌ لَــوَ آنَّ القــوافي كُنّ صخراً أطارَهُــن جُذاذا[6]

[شرب خمراً دون أن يعرف]

قال الزُّبَير : وأنشدني له أُبو غسّان محمد بن يحيى ، وكان قد دخل إلى رجلين من أُهل الحجاز يقال لأحدهما أبو الجَوَّاب ، والآخر أبو أيُّوب ، فسقياه نبيذاً على أنّه طَرِيّ لا يُسْكِر ، فأسكره ؛ فقال : [من الوافر]

سَقاني شربــةً فسَكِرْتُ منهــا أبو الجَوَّابِ صاحِبيَ الخبيثُ
وعاونَــه أُبــو أيُّوبَ فيهــا ومِنْ عاداتــه الخُلُــقُ الخَبِيثُ
فلمّـــا أن تَمَشَّتْ في عِظامي وهَمّتْ وَثْبَتِـي منها تَرِيثُ[7]

1 أنكاس : جمع نكس وهو الضعيف المقصر عن النجدة . والمغار : الإغارة .
2 الخياذا في ل : الحياذا . والخواذ : الفراق ، والحياذ : البعد .
3 طيبة : المدينة المنورة . الوبل : المطر الشديد . والصراة : نهر كان ببغداد .
4 النباذ : بائع النبيذ .
5 ماجناً في ل : مترفاً .
6 الجذاذ : القطع .
7 راث : أبطأ .

علمتُ بأنّني قد جئتُ أمراً ... تسوءُ به المقالةُ والحديثُ
فدَعهمْ ، لا أبالكَ ، واجْتَنِبْهُمْ ... فإنَّ خَليطَهُمْ لَهُوَ اللّوِيثُ[1]

وتمام الأبيات التي فيها الغناء بعد البيتين المذكورين : [من المنسرح]

كالشمس في شَرْقِها إذا سَفَرتْ ... عنها ومِثْلُ المَهاةِ مُلْتَثِمَهْ
ما صَوّرَ اللهُ حين صَوّرها ... في سائر الناسِ مثلَها نَسَمَهْ
كلَّ بلادِ الإلهِ جئتُ فما ... أبصرتُ شِبْهاً لها ، وقد عَلِمَهْ ،
أُنْثى من العالمين تُشْبِهُها ... عابسةً هكَذا ومُبْتَسِمَهْ
فَتّانةُ المُقْلَتَيْنِ مُخْطَفَةُ الـ ... أحشاء منها البَنانُ كالعَنَمَهْ[2]
إذا تعاطتْ شيئاً لتأخذَه ... قلتَ غَزالٌ يَعْطُو إلى بَرَمَهْ[3]
يا طِيبَ فِيها وطِيبَ قُبْلتها ... والقُرْبِ مِنْها في اللَّيلة الشَّبِمَهْ[4]
إنّ من اللذّةِ التي بَقِيَتْ ... غِشْيانَكَ الخَوْدَ من بني سَلَمَهْ
لا تَهْجُرِ الخَوْدَ أن يقالِ صبا ... بعد سُلُوٍّ ، وقبلَ ذاك فَمَهْ[5]
آتي مُعِدّاً لها الكلامَ فما ... أنْطِقُ من هيبةٍ ولا كَلِمَهْ
أُحبُّ واللهِ أن أزورَكُمُ ... وَحْدِي كذا أو أَزورَكم بِلُمَهْ[6]
هذا الجمالُ الذي سمعتَ به ... سبحانَ ذي الكِبْرِياء والعَظَمَهْ
مَنْ أبصرتْ عَيْنُه لها شَبَهاً ... حَلّ عليه العذابُ والنَّقِمَهْ

صوت

[من المنسرح]

يا هِنْدُ يا هِنْدُ نَوِّلي رَجُلاً ... وكيف تنويلُ مَنْ سَفَكْتِ دَمَهْ
أو تُدْرِكي نَفْسه فقد هَلَكتْ ... أو تَرْحَميهِ فمِثْلُكم رَحِمهْ

---

1 اللويث : الألوث هو الأحمق أي الذي فيه لوثة .
2 مخطفة الحشا : ضامرة . والعنم : شجر له ثمر أحمر .
3 يعطو : يتناول برفع الرأس واليدين . والبرم : ثمر الأراك .
4 الشبمة : الباردة .
5 مه : كفّ .
6 اللمة : الجماعة من الرجال ما بين الثلاثة إلى العشرة .

[المنافيات للمنافيين]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن جعفر بن قادمٍ مولى بني هاشم قال : حدّثني عمِّي أحمدُ بن جعفر عن ابن دَأب قال : خرجت أنا وأخي يحيى وابن أبي السَّعْلاء ومعنا مُصْعَبُ بن عبد الله النَّوْفليُّ وثابتٌ والزُّبَير ابنا خُبَيْب بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبَير وابنُ أبي الزوائد السعديّ وابنُ أبي ذِئْب مُتنزِّهين إلى العَقيق . وقد سأل يومئذٍ ، إذ أتانا آتٍ ونحن جُلوس ، فسألناه عن الخبر بالمدينة ؟ فقال : وَرَدَ كتابٌ من أمير المؤمنين المنصور يأمر أن لا تتزوّج مَنافِيّةٌ إلاّ مَنافِيّاً . قال ابن أبي ذِئْب : إذن والله لا يَخْطُب قرشيٌّ إلاّ من لا يُحبُّها ، ولا يَرغب فيمن لا يرغب فيها ممّن لا فضلَ له عليها ، وكان غير حسن الرأي في بني هاشم . وتكلّم ابنا خُبَيْبٍ بمثل ذلك ، وقال أحدُهما : إنّ نَسَبَنا من بني عبد مناف قد طال ، فأدالنا[1] الله منهم . قال : فغَضِب مُصْعَبٌ النَّوْفَليُّ وكان أَحْوَلَ فازدادت عيناه انقلاباً ، فقال : أمّا أنت يا ابن أبي ذِئْب فوالله ما شَرَّفَتْك جاهليَّة ولا رَفَعك إسلام . فيقَع في بال أحد أنّك عُنِيتَ بما جَرى ؛ وأمّا أنتما يا بَني خُبَيْبٍ فبُغْضُكما لبني عبد مناف تالدٌ موروث ، ولا يزال يتجدَّد كلّما ذكرتم قَتْلَ الزُّبَير ، وإنّكم لمن طِينتين مختلفتين : أما إحداهما فمِن صَفِيّة ، وهي الطِّينة الأبطحيّة السَّنِيَّة ، تَنْزِعانِ إليها إذا نافرتما ، وتَفخَران بها إذا افتخرتما ، والأُخرى الطِّينة العَوّاميّة التي تَعْرِفانها ، ولو شئتُ أن أقول لقلتُ ، ولكنّ صفيَّةَ تَحْجُزُني ، فأَحْسِنا الشُّكْرَ لِمَنْ رَفَعكما ، ولا تَمِيلا عليه بمَن وضعكما . فقالا له : مَهْلاً ، فوالله لقدِيمُنا في الإسلام أفضلُ من قديمك ، ولَحَظُّنا فيه بالزُّبير أفضلُ من حَظِّك . فقال مُصْعَبٌ : والله ما تفْخَرانِ في نسَبِكما إلاّ بعَمّتي ، ولا تفْضُلان في دِينكما إلاّ بابن عمِّي ﷺ ؛ فمُفاخِرُه لي دونكما . ثم تفرّقوا ؛ فقال ابن أبي الزوائد : [من الطويل]

لَعَمْرُكُما يابْنَيْ خُبَيْبِ بن ثابتٍ ... تجاوزتما في الفَخْرِ جَهْلاً مَداكُما

وأنكرتُما فضلَ الذيــن بِفَضْلِهم ... سَمَتْ بين أيدي الأكْرَمينَ يَداكُما

فإنّكمــا لم تَعْرِفــا إذ سَمَوْتُما ... إلى العِــزِّ مِــنْ آل النبيِّ أباكُما

ولَمْ تَعْرِفا الفضلَ الذي قد فَخَرْتُما ... فليس مــن العَــوّامِ حَقّاً أتاكُما

فلولا الكِرامُ الغُــرُّ من آل هاشمٍ ... ـ فلا تجهلا ـ لَم تدفَعا مَنْ رَماكُما

1 أدال الله من عدوّه : نصره عليه .

صوت

[من مجزوء الوافر]

مُحِبٌّ صَدَّ آلِفُهُ   فليس لِلَيْلِه صُبْحُ
يُقلِّبُه على مَضَضٍ   مَواعِدُ مالَها نُجْحُ
له في عَيْنِه غَرْبٌ   وفي أحشائه جُرْحُ[1]
صَحا عنه الذي يرجو   زِيارَتَه وما يَصْحُو

الشعر لأبي الأسد ، والغناء لِعَلُّويَه ، هَزَجٌ بالوُسْطى وخفيفُ ثقيلٍ بالوسطى .

1 الغرب هنا : الدمع .

[262] ـ أخبار أبي الأسد ونسبه

[نسبه]

اسمه ، فيما ذكر لنا عيسى بن الحسين الورّاق عن عيسى بن إسماعيل تينَة عن القَحْذَميِّ ، نُباتةُ بن عبد الله الحمّانيّ[1] . وذكر أبو هَفَّانَ المِهْزَميُّ أنّه من بني شَيْبان . وهو شاعر مطبوع متوسِّط الشِّعْر ، من شعراء الدولة العبّاسية من أهل الدِّينَوَرِ . وكان طيّباً مليحَ النَّوادِرِ مَزّاحاً خبيث الهجاء ، وكان صديقاً لعَلُّويَه المُغَنّي الأعسر ، يُنادمه ويُواصل عِشْرَته ويَصِلُه عَلُّويَه بالأكابر ، ويُعَرِّضُه للمنافع ، وله صنعةٌ في كثير من شعره .

[في جارية أخلفت ميعادها]

فأخبرني عمّي قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني محمد بن عبد الأبزاري قال : كان أبو الأسَد الشاعر صديقاً لعلُّويَه ، وكان كثيراً ما يغنّي في شعره . فدعانا عَلُّويَه ليلةً ، ووعدته جارية لآل يحيى بن مُعاذ ، وكانت تأخذ عنه الغناء ، أن تزورَه تلك الليلة ، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغِناء ، وكان عَلُّويَه يَهِيمُ بها ، فانتظرناها حتى أيِسْنا منها احتباساً . فقال علُّويَه لأبي الأسَد : قُلْ في هذا شعراً ؛ فقال : [من مجزوء الوافر]

محبٌّ صدَّ آلِفُه فليس لِلَيْلِه صُبْحُ
صحا عنه الذي يرجو زيارتَه وما يصْحُو

قال : فصَنَع علُّويَه فيه لحناً من خفيف الثقيل هو الآن مشهورٌ في أيدي الناس ، وغنّانا فيه ؛ فلم نَزَل نشرب عليه حتى أصبحنا . وضع في تلك الليلة بحَضْرَتنا لحنه من الرَّمَل في شعر أبي وَجْزَة السَّعْدِيّ : [من الخفيف]

قَتَلَتْني بغير ذنبٍ قَتُولُ وحَلالٌ لها دَمي المطلولُ
ما على قاتلٍ أصابَ قَتيلاً بدَلالٍ ومُقْلَتَيْنِ سَبِيلُ

[طلب من موسى بن الضحاك يقاسمه غلمانه]

أخبرني الحسن بن عليٍّ الخَفَّاف قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدَّثني أبو هَفَّان قال : كتب أبو الأسَد وهو من بني حِمَّان إلى موسى بن الضحَّاك : [من الوافر]

1 الحماني : بكسر الحاء نسبة إلى حمان وهم حي من تميم .

لِموسى أَعْبُدٌ وأَنا أخوهُ وصاحِبُه ، وما لي غيرُ عَبْدِ
فلو شاءَ الإلهُ وشاء موسى لآنسَ جانِبي فَرَجٌ بِسَعْدِ

قال : و«فَرَجٌ» غلامٌ كان لأبي الأَسَد ، و«سَعْدٌ» غلام كان لموسى فبعث إليه موسى بسعد ، وقاسمه بعدَه بقيَّةِ غِلْمانه ، فأخذ شَطْرَهم وأَعطاه شَطْرَهم .

[هجاؤه أحمد بن أبي دواد]

أَخبرني محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثني العبّاس بن ميمون طائع قال : هجا أَبو الأَسد أَحمد بن أَبي دوادٍ فقال : [من الكامل]

أنتَ امرؤٌ غَثٌّ الصَّنِيعَةِ رَثُّها لا تُحْسِنُ النُّعْمى إلى أمثالي
نُعْماك لا تَعْدُوكَ إلاّ في امرىءٍ في مَسْكِ مِثْلِك من ذَوي الأَشْكالِ[1]
وإذا نظرتَ إلى صَنِيعِك لم تَجِد أَحَداً سَمَوْتَ به إلى الإفْضالِ
فاسْلَمْ بغير سَلامةٍ تُرْجى لها إلاّ لِسَدِّكَ خَلَّةَ الأَنْذالِ[2]

قال : فأدَّى إليه سَلامةُ وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عائشة هذه الأبياتَ عن أَبي الأَسَد ، فبعث إليه بِبُرْد واسْتَكَفَّه ، وبعث بابن عائشة على مَظالِمِ ماسَبَذان[3] ، وقال له : قد شَرِكْتَه في التَّوبيخ لنا فشَرِكْناك في الصَّفْقَةِ[4] ، فإنْ كنتما صادِقَيْنِ في دَعْواكما[5] كنتما من الأَنذال ، وإن كنتما كاذبين فقد جزيتكما بالقبيح حَسَناً .

حدَّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن الحسن بن الحَرُون قال : كان سَبَبُ هجاء أَبي الأَسَدِ أَحمدَ بن أَبي دُوادٍ أَنّه مَدَحه فلم يُثِبْه ، ووعَده بالثواب ومَطَلَه ؛ فكتب إليه[6] : [من المنسرح]

ليتَكَ أدبتني بواحدةٍ تُقْنِعُني منك آخِرَ الأَبَدِ
تَحْلِفُ ألاّ تَبَرَّني أبداً فإنَّ فيها بَرْداً على كَبِدِي

---

1 مسك : جلد .
2 الخلة هنا : الحاجة .
3 ماسبذان : كورة من فارس .
4 ل : الصنيعة .
5 في دعواكما في ل : فيّ .
6 أورد ابن المعتزّ في طبقاته بعض هذه الأبيات في ترجمة منصور الأصبهاني (344–348) وأضاف «وقد رويت هذه الأبيات لأبي الأسد وهي لمنصور أثبت» . غير أنّ البيت الأخير يرجّح نسبتها إلى أبي الأسد .

اشْفِ فُؤادِي مِنّـــي فإنَّ بـه ... مِنّيَ جُرْحـــاً نكَـــأْتُه بِيَدِي
إنْ كان رِزْقي إليكَ فارْمِ به ... في ناظِـرَيْ حَيَّـــةٍ على رَصَدِ
قد عشْتُ دهراً وما أقدِّر أنْ ... أرضى بما قد رَضِيتُ من أحدِ
فكيف أخطأتُ ؟ لا أصبتُ ولا ... نَهَضْتُ مـــن عَثْرةٍ إلى سَدَدِ
لو كنتُ حُرّاً كما زعمتُ وقد ... كَدّرتنـــي بـــالمِطالِ لم أعُدِ
صَبَرْتُ لَمَّا أسأتَ بـــي ، فإذا ... عُـــدْتُ إلى مِثْلِها فعُـدْ وعُدِ
فإنّني أهـــلُ ذاكَ في طَمَعِـــي ... وفي خَطائي سبيـــلَ مُعْتَمِدِ
أَبْعَـــدَني اللهُ حـــين يَحمِلُني ... حرْصِي على مِثْلِ ذا من الأَوَدِ[1]
الآنَ أيقنتُ بعـــد فِعْلِكَ بي ... أنّـــيَ عَبْـــدٌ لأَعْبُـــدٍ قُفُـــدِ[2]
فصِرْتُ من سُوءِ ما رُمِيتُ به ... أُكْنَى أبا الكَلْبِ لا أبا الأسَدِ

[مديح الفيض بن صالح]

أخبرني عليّ بن الحسين بن عبد السميع المَرْوَزِيّ الورَّاق قال : حدَّثني عيسى بن إسماعيل تينةُ عن القَحْذَميّ قال : كان أبو الأسد الشاعر ، واسمه نُباتة بن عبد الله الحِمَّانيّ ، منقطعاً إلى الفَيضِ بن صالح وزير المَهْدِيّ ، وفيه يقول[3] : [من الطويل]

ولائمةٍ لامَتْكَ يـــا فَيْضُ في النَّدى ... فقلتُ لهـــا لن يَقْدَحَ اللَّوْمُ في البَحْرِ
أرادتْ لِتَنهى الفَيْضَ عن عادةِ النَّدى ... ومَنْ ذا الذي يَثْني السَّحابَ عن القَطْرِ ؟
مَواقِعُ جُـــودِ الفَيْضِ في كلِّ بلـــدةٍ ... مَواقِـــعُ مـــاءِ المُزْنِ في البَلَـــدِ القَفْرِ
كأنّ وُفـــودَ الفَيْضِ لمـــا تَحَمَّلُوا ... إلى الفيض لاقَـــوْا عندَه ليلـــةَ القَدْرِ

وكان أبو الأسد قَبْلَه منقطعاً إلى أبي دُلَف مُدّة ، فلمّا قَدِم عليه عليُّ بن جَبَلةَ العَكَوَّكُ غَلَب عليه ، وسقطتْ منزلةُ أبي الأسَدِ عنده ، فانقطع إلى الفيض بعد عَزْلِه عن الوزارة ولزومِه منزلَه ، وذلك في أيّام الرشيد . وفيه يقول : [من الوافر]

أتيـــتُ الفَيْضَ مُشْتَكِياً زَماني ... فأَعْـــداني عليـــهِ جُـــودُ فَيْضِ[4]
وفاضـــتْ كَـــفُّه بالبَذْلِ منـــه ... كما كَفُّ ابنِ عيسى ذاتُ غَيْضِ

1 الأود : الاعوجاج .
2 القفد : جمع أقفد وهو المسترخي العنق أو الغليظه .
3 أورد ابن قتيبة هذه الأبيات في مقدّمة الشعر والشعراء (18) .
4 أعداني : نصرني .

[يمدح ويهجو]

أخبرني عيسى بن الحُسَين قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني عليُّ بن الحسن بن الأعرابيّ قال : سأل أبو الأسَد بعضَ الكُتّاب ، وهو عليُّ بن يحيى المنجِّم ، حاجةً يسأل فيها بعض الوزراء ، فلم يفعل . وبلغ حَمْدُونَ بن إسماعيل الخبرُ ، فسأل له فيها مبتدئاً ونَجَزها وأنفذها إليه . فقال أبو الأسَد يهجو الرجلَ الذي كان سأله الحاجةَ ، ويمدَح حمدونَ بن إسماعيل : [من البسيط]

صُنْعٌ من اللهِ ! أَنّي كنتُ أَعْرِفكم ... قبلَ اليَسارِ وأنتمْ في التَّبابِينِ
فما مضتْ سَنَةٌ حتَّى رأيتُكُم ... تَمْشُونَ في القَزِّ والقُوهيِّ واللِّينِ[1]
وفي المَشارِيق ما زالتْ نساؤكُم ... يَصِحْن تحت الدَّوالِي بالوَراشِينِ[2]
فصرْنَ يَرْفُلْنَ في وَشْيِ العِراقِ وفي ... طَرائِف الخَزِّ من دُكْنٍ وطارُونِي[3]
أُنْسِينَ قَطْعَ الحُلاوى من مَعادِنِها ... وحَمْلَهُنَّ كَشُوثاً في الشَّقابينِ[4]
حتى إذا أيسروا قالوا ، وقد كذبوا : ... نحن الشَّهاريجُ أولادُ الدّهاقِينِ[5]
في است امٍّ ساسانَ أَيْري إنْ أقرَّ بكم ... وأَيْرُ بَغْلٍ مُشِظٌّ في اسْتِ شِيرين[6]
لو سِيلَ أَوْضَعُهُم قَدْراً وأَنْذَلُهم ... لقال من فَخْرِهِ إنّي ابنُ شُوبِينِ[7]
وقال أقطَعني كِسْرى ووَرَّثني ... فمَنْ يُفاخِرُني أم مَن يُناويني[8]
مَن ذا يُخَبِّر كسْرى وهو في سَقَر ... دعوى النَّبيط وهم بَيْضُ الشياطينِ[9]
وأنّهم زعموا أنْ قد ولدتَهُمُ ... كما ادّعى الضبّ إنّي نُطْفَةُ النُّونِ[10]

---

1 اللين : خفض العيش . والدوالي : النواعير .
2 الورشان : طائر كالحمامة . وفي المثل : «بعلة الورشان يأكل رطب المشان» والورشان أطيب التمر .
3 الطارون : نوع من الخز .
4 الحلاوي : نبتة زهرتها صفراء ولها شوك كثير . والكشوث : نبات أصفر يتعلّق بأغصان الشجر . الشقبان : وعاء يجمع فيه الحشيش .
5 الشهاريج : الوجوه .
6 ساسان : أبو ملوك الفرس . ومشظ : منعظ . وشيرين : زوجة أبرويز ملك الفرس .
7 شوبين : صاحب الجيش لدى هرمز بن أنو شروان .
8 يناويني في ل : يساويني .
9 بيض الشياطين : أولادهم .
10 النون : الحوت .

فكان يَنْحَزُ جَوْفَ النار واحدةً تَفْرِي وتَصْدَعُ خوفاً قلبَ قارونِ
أمـا تراهـم وقد حَطُّوا بَرادِعَهُمْ عـن أُتْنهـمْ واستبدُّوا بالبَراذِينِ
وأفرجوا عن مَشارات البُقول إلى دُورِ المُلـوكِ وأبـوابِ السَّلاطِينِ[1]
تَغْلِي على العُرْبِ من غَيْظٍ مَراجِلُهُمْ عـداوةً لِرسول الله في الدِّيـنِ
فقـل لهـم وهُـمُ أهـلٌ لتزْنِيَةٍ شَرَّ الخَلِيقَـةِ يـا بُخْـرَ العَثانِينِ
مـا النَّاسُ إلاَّ نِـزارٌ في أُرومَتها وهاشمٌ سُرْجُهـا الشُّمُّ العَـرانِينِ
والحَـيُّ مـن سَلَفَيْ قَحْطانَ إنَّهمُ يُـزْرُونَ بالنَّبَـطِ اللُّكْـنِ المَلاعِينِ
فمـا على ظهرهـا خَلْقٌ له حَسَبٌ ممّـا يُناسب كِسْرى غيرُ حَمْدونِ
قَـرْمٌ عليـه شَهَنْشاهِيَّةٌ ونَبـاً يُنْبيكَ عن كسرويِّ الجَدِّ مَيْمُونِ[2]
وإنْ شَكَكْتَ ففي الإيوانِ صُورتُه فانْظُـرْ إلى حَسَبٍ بادٍ ومخزونِ

أخبرني عمِّي قال : أخبرنا ميمون بن هارون قال : مدح أبو الأسد الفيض بن صالح وهو يومئذٍ ملازم بيته غير والٍ على شيء فأثابه ثواباً جزيلاً فقال يمدحه :

ولائمةٍ لامَتكَ يـا فيضُ في النَّدى فقلتُ لهـا لن يقدحَ اللومُ في البَحْرِ

الأبيات . . . وقد مرّت .

[عتاب أبي دلف]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا أحمد بن أبي طاهر . أنّ أبا الأسدَ زار أبا دُلف في الكَرَج[3] ، فحُجِب عنه أيّاماً ، فقال يعاتبه وكتب بها إليه : [من الخفيف]

ليت شعري أضاقتِ الأرضُ عَنّي أم بِفَـجٍّ أنـا الغداةَ طَرِيدُ ؟[4]
أم أنـا قانـعٌ بأدنـى مَعاشٍ هِمَّتِي القُوتُ والقليـلُ الزَّهِيدُ[5]
مِقْوَلـي قاطِـعٌ وسيفي حُسامٌ ويَـدِي حُـرَّةٌ وقلبي شَدِيدُ
رُبَّ بـابٍ أعزَّ من بابك اليَوْ مَ عليـه عَساكِـرٌ وجُنـودُ

1 المشارات : مجاري الماء والمساقي .
2 شهنشاه : ملك الملوك .
3 الكرج : مدينة بفارس .
4 الفج : الطريق الواسع .
5 همتي في ل : همّني .

قد ولَجْناهُ داخلينَ غُدُوّاً ورَواحاً وأنت عنه مَذُودُ
فاكْفُفِ اليومَ من حِجابِكَ إذ لسـ ـتَ أميراً ولا خَميساً تَقُودُ
واعترف من فراقي الصدَّ إذ لسـ ـتُ أسيراً ولا علَيّ قُيُودُ
لا يُقيمُ العزيزُ في بلد الهو ن ولا يُكْبَتُ الأَرِيبُ الجَلِيدُ

[صديقه بسطام]

أَخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال: أَنشدني أَبو هفَّان لأَبي الأَسَد في صديق له يقال له بِسْطام كان برًّا به. قال: وهذا من جيِّد شعره، وقد سرق البُحْترِيُّ معناه منه في شعر مدح به عليَّ بن يحيى المنجِّم: [من البسيط]

أَغْدُو على مال بِسْطامٍ فأَنْهبُهُ كما أَشاءُ فلا تُثْنى إليَّ يَدِي
حتى كأَنّيَ بِسْطامٌ بما احتكمتْ فيه يَدايَ وبِسْطامٌ أَبو الأَسَدِ

[رثاء إبراهيم الموصليّ]

أَخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم الكاتب الأنباري قال: حدَّثني أَبو هفّان، وأَخبرني به يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حدَّثني أَبو أَيّوب المَدِينيّ قال: حدَّثنا أَبو هفّان قال: حدَّثني أَبو دِعامَة قال: لمّا مات إبراهيم المَوْصِلِيُّ قِيل لأبي الأسَدِ، وكان صديقه، أَلاّ تَرثِيه؟ فقال يرثيه[1]: [من الوافر]

تَوَلّى المَوْصِلِيُّ فقد تولّتْ بَشاشاتُ المَزاهِرِ والقِيانِ
وأَيُّ مَلاحةٍ بَقِيَتْ فتَبْقى حياةُ المَوْصِلِيِّ على الزَّمانِ
ستَبْكِيهِ المَزاهِرُ والمَلاهِي ويُسْعِدُهُنَّ عاتقةُ الدِّنانِ
وتَبْكِيهِ الغَوِيَّةُ إذ تَوَلَّى ولا تَبْكِيهِ تاليةُ القُرانِ

فقيل له: وَيْحَكَ فضحته وقد كان صديقك. فقال: هذه فضيحة عند من لا يعقل، أما من يعقل فلا. وبأيِّ شيء كنت أذكره وأُرثيه به؟ أَبِالْفِقْه أَم بالزُّهْد أَم بالقِراءة؟ وهل يُرثى مغنٍّ إلاّ بهذا وشِبْهه!

[شاهين بن أخي أبي دلف]

قال أَبو الفرج: نسخت من كتاب لأحمد بن يحيى بن علي بن يحيى، أَخبرني أبو الفضل الكاتب وهو ابن خالة أبي عمرو الطُّوسيّ قال: كنت مقيماً بالجبل فمرَّ بي أَبو

---

1 تقدّم في ترجمة إبراهيم الموصليّ أنّ هذه الأبيات لابن سيابة وتنسب لأبي الأسد، وتراجع بقية الخبر 5 : 102 .

الأَسَد الشاعر الشَّيبانيّ ، فأنزلته عندي أيّاماً ، وسألته عن خبره فقال : قصدت شاهين بن عيسى ابن أخي أبي دُلف ، فما احتبسني ولا برَّني ولا عرض عليَّ المُقام عنده ، وقد حضرني فيه أبيات فاكْتُبْها ، ثم أنشدني : [من البسيط]

إنّي مررتُ بشاهينٍ وقد نَفَحتْ ريحُ العَشيِّ وبَرْدُ الثَّلجِ يُؤْذِيني
فما وَقى عِرْضَهُ منّي بِكُسْوَتِهِ لا على حَسَبٍ حامى ولا دِينِ
إن لَم يكن لَبَنُ الدَّاياتِ غَيَّرَه عن طبع آبائه الشُّمِّ العَرانِينِ
فربَّما غابَ بعلٌ عن حَلِيلَته فناكها بعضُ سُوَّاسِ البَراذِينِ
وما تحرَّك أيرٌ فامتلا شَبَقاً إلاّ تَحَرَّك عِرْقٌ في اسْت شاهينِ

ثم قال : والله لأمَزِّقنَّه كلَّ مُمَزَّقٍ ، ولأصِيرَنَّ إلى أبي دُلَفَ فَلأُنشدَنَّه . ومضى من فَوْره يريد أبا دُلَفَ ، فلم يصل إليه ، حتى بلغ أبا دلف الشعرُ ، فشقّ عليه وغَمَّه . وأتاه أبو الأسَد فدخل عليه ، فسأله عن قِصَّته مع شاهين ، فأخبره بها ؛ فقال : هَبْه لي . قال : والله لا وهبته لك وقد حرمني واستخفّ بي ولكن اشْتَرِ مني عرضه . قال : بكم ، قال : بديته عشرة آلاف درهم ، فأمسك عنه .

قال أبو الفرج : هذا البيت الأخير لبَشّار ، وكان عَرَض له فقال :

وما تحرَّك أيرٌ فامتلا شَبَقاً إلاّ تحرَّك عِرْقٌ في است . . . . . .

ثم قال : في است مَن ؟ ومرَّ به تسنيم بن الحوارى[1] فسلَّم عليه ، فقال : في است تسنيم والله . فقال له : أيُّ شيء ويلك ؟ فقال : لا تَسَلْ . فقال : قد سمعتُ ما أُكره ، فاذكر لي سَبَبه . فأنشده البيت ، فقال : ويلك ! أيُّ شيء حَمَلك على هذا ؟ قال : سَلامُك عليّ . قال : لا سَلَّم الله عليك ولا عليّ إن سلَّمت عليك بعدها ، وبَشّار يضحك . وقد مضى هذا الخبر بإسناده في أخبار بشّار .

صوت

وقد جُمِع معه كلّ ما يُغنَّى في هذه القصيدة : [من الطويل]

أَجِدَّكَ إنْ نُعْمٌ نأتْ أنت جازِعُ قَدِ اقْتربتْ لَوْ أنَّ ذلك نافعُ
وحَسْبُكَ مِن نأيِ ثلاثةُ أشْهُر ومن حَزَنٍ أنْ شاقَ قَلبَك رابعُ

1 يضبط الحَواريّ أو الحُوّارى .

بكتْ عَيْنُ مَنْ أَبكاكَ ليس لك البُكى ... ولا تَتَخالجْـك الأُمـورُ النَّوازِعُ

فلا يَسْمَعَنْ سِرِّي وسِرَّك ثالثٌ ... ألا كلُّ سِرٍّ جاوَزَ اثْنَيْن شائعُ[1]

وكيف يَشِيعُ السِّرُّ مِنِّي ودُونَه ... حجابٌ ومن فوق الحِجابِ الأَضالِعُ

كأَنَّ فُؤادي بين شِقَّين من عَصاً ... حِذارَ وُقوعِ البَيْنِ والبَيْنُ واقعُ

وقالت وعيناها تَفيضانِ عَبْرةً ... بأَهليَ ، بَيِّنْ لي مَتى أَنتَ راجعُ ؟

فقلتُ لها باللّٰه يَدْرِي مُسافِرٌ ... إذا أضمرته الأرضُ ما اللّٰه صانعُ ؟

فشَدَّت على فِيها اللِّثام وأَعرضتْ ... وأقبلنَ بالكُحْل السَّحِيقِ المَدامعُ

عَروضه من الطويل . الشعر لِقَيْسِ بن الحُدادِيّة ، والغناء لإسحاق في الأوّل والثاني من الأبيات خفيف رملٍ بالوُسْطى ، وفي الثالث وما بعده أربعة أبيات ليحيى المكّي رمل بالوسطى من كتابه .

---

1 مثل .

[263] ـ أخبار قيس بن الحُدادِيّة ونسبه[1]

[نسبه]

هو قيس بن مُنقِذ بن عمرو بن عبيد بن ضاطر بن صالح بن حَبَشية بن سَلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة وهو خُزاعة بن عمرو وهو مُزَيقِياء بن عامر وهو ماءُ السماء بن حارثة الغِطرِيف بن امرىء القيس البِطْريق بنِ ثعلبة بن مازن بن الأزد ، وهو «رداء[2] ، ويقال : رديني»[3] ، وقد مضى نسبه متقدّماً ؛ والحُدادية أمّه ، وهي امرأة من مُحارب بن خَصَفة بن قيس بن عيلانَ بنِ مُضَر ، ثم من قبيلة منهم يقال لهم بنو حِداد . شاعر من شعراء الجاهليّة ، وكان فاتكاً شجاعاً صُعْلوكاً خليعاً ، خلعتْه خُزاعةُ بسُوق عكاظ ، وأشهدتْ على أنفُسها بخَلْعها إيّاه ، فلا تَحتمِل جريرةً له ، ولا تطالب بجريرة يجرّها أحدٌ عليه .

[غاراته]

قال أبو الفرج : نسختُ خبَره من كتاب أبي عمرو الشَّيْبانيّ : لمّا خلَعتْ خُزاعةُ بن عمرو ، وهو مُزَيْقِياء بن عامر ، وهو ماء السماء بن الحارث ، قيسَ بن الحِداديّة ، كان أكثرهم قولاً في ذلك وسعياً قوم منهم يقال لهم : بنو قُمَير بن حبشيّة بن سَلُول ، فجَمَعَ لهم قيسٌ شُذّاذاً من العَرَب وفُتّاكاً من قومه ، وأغار عليهم بهم ، وقتل منهم رجلاً يقال له ابن عُش ، واستاق أموالَهم ، فلحقه رجل من قومه كان سيِّداً ، وكان ضَلْعه[4] مع قيس فيما جَرى عليه من الخلع ، يقال له ابن محرِّق ، فأقسم عليه أن يردّ ما استاقَه ، فقال : أمّا ما كان لي ولقومي فقد أبررتُ قسَمَك فيه ، وأمّا ما اعتَوَرته أيدي هذه الصعاليك فلا حيلةَ لي فيه ، فردّ سهمَه وسهمَ عشيرته ، وقال في ذلك : [من الطويل]

فأقسم لولا أَسْهَم ابنُ محرِّقٍ ... مع الله ما أَكثرتُ عَدَّ الأَقاربِ
تركت ابن عُشٍّ يرفَعون برأسه ... يَنوءُ بساقٍ كعبُها غيرُ راتبِ[5]
وأنهاهُــم خلعي على غير مِيرةٍ ... من اللحم حتى غُيِّبوا في الغوائبِ

وقال أبو عمرو : أغار أبو بردة بنُ هلال بنِ عُوَيْمِر ، أخو بني مالك بن أفصى بن حارثة بن

1 لقيس بن الحدادية ترجمة في معجم المرزباني : 202 والزهرة : 189 وأمالي اليزيدي : 153 .
2 ل : دارى .
3 ل : درا .
4 ضلعه : ميله وهواه .
5 غير راتب : غير مستقيم .

عمرو بن عامر بن امرىء القيس على هَوازِنَ في بلادها ، فلقي عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وبني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، فاقْتَتَلوا قتالاً شديداً ، فانهزمتْ بنو عامر وبنو نصر ، وقَتَل أبو بردة قيسَ بنَ زهير أخا خِداش بن زهير الشاعر ، وسَبى نسوةً من بني عامر : منهن صخرةُ بنتُ أسماءَ بن الضَّريبة النَّصريّ ، وامرأتين منهم يقال لهما : بَيْقر ورَيّا ، ثم انصرفوا راجعين ، فلمّا انتهوا إلى هَرْشى خَنَقتْ صخرة نفسَها فماتت ، وقَسَم أبو بُرْدة السبيَ والنَّعَم والأموال في كلّ مَن كان معه ، وجعل فيه نصيباً لمَن غاب عنها من قومه وفرّقه فيهم .

ثم أغارت هوازنُ على بني ليث ، فأصابوا حيًّا منهم يقال لهم : بنو الملوح بن يَعْمَر بن عوف ، ورِعاءً لبني ضاطر بن حبشية ، فقتلوا منهم رَجْلاً وسَبَوْا منهم سبياً كثيراً واستاقوا أموالَهم ، فقال في ذلك مالك بن عوف النَّصْريّ : [من الطويل]

نحن جلبْنا الخيلَ من بطن لِيّةٍ ... وجلدانَ جُرْداً مُنْعَلاتٍ ووُقَّحا[1]

فأصبحنَ قد جاوزن مَرّاً وجُحْفَةً ... وجاوزن من أكناف نخلةَ أبطَحا

تلقَّطن ضَيطارِي خُزاعة بعدما ... أَبَرْنَ بصحراء الغميم الملَوَّحا[2]

قتلناهُم حتى تركنا شريدهمْ ... نساء وأيتاماً ورَجْلاً مُسَدَّحا

فإنّك لو طالعتهم لحِسبتهم ... بمنعرَج الصَّفراء عِتْراً مُذَبحا[3]

فلمّا صنعتْ هوازنُ ببني ضاطر ما صنعتْ ، جَمع قيس بنُ الحِداديّة قومَه ، فأغار على جُموعِ[4] هوازن ، فأصاب سَبْياً ومالاً ، وقتل يومئذٍ من بني قشير : أبا زيد وعُروة وعامراً ومُرَوِّحاً ، وأصاب أبياتاً من كلاب خُلوفاً[5] ، واستاق أموالَهم وسبى نساءهم ، ثم انصرف وهو يقول : [من الطويل]

نحن جَلَبْنا الخيلَ قُبّاً بطونُها ... تَراها إلى الدّاعي المَثوِّب جُنَّحا[6]

بكلّ خُزاعيٍّ إذا الحربُ شمَّرتْ ... تسربَلَ فيها بُردهُ وتَوشَّحا

قرعْنا قُشَيراً في المحلّ عشيَّةً ... فلم يجدوا في واسع الأرض مسرحا

---

1 وقح : صلاب الحوافر .

2 الضيطار : الضخم اللئيم . وأبار : أهلك . والغميم : موضع .

3 العتر : الرجبية ، وهي شاة كانت تذبح في رجب تقرباً إلى الآلهة .

4 ل : مصنوع .

5 خلوف : نساء لا رجال عندهن .

6 قب البطون : ضامرتها .

قتلْنا أبـا زيــد وزيـداً وعامراً وعــروةَ أقصَدْنـا بهـا ومُرَوّحا[1]
وأُبْنا بإِبْلِ القوم تُحدى ، ونسوةٍ يبكِّـين شِلْواً أو أسيراً مُجرَّحا
غداةَ سَقَينا أرضَهم من دمائهم وأُبْنـا بأُدْمٍ كنّ بالأمس وُضَّحا[2]
ورُعْنـا كلابــاً قبـل ذاك بغارة فسُقْنا جِـلاداً في المبارِكِ قُرَّحا[3]
لقــد علمتْ أفناءُ بكر بنِ عامرٍ بأنّا نَــذودُ الكاشحَ المتزحزِحا
وأنا بلا مَهــرٍ سوى البِيض والقَنا نُصيب بأفنــاء القبائـلِ مَنكَحا

[قيس بن عيلان وخزاعة]

وقال أبو عمرو : وزعموا أنَّ قيسَ بن عيلانَ رغِبتْ في البيت ، وخُزاعة يومئذٍ تليه ، وطمِعوا أن ينزِعوه منهم ، فساروا ومعهم قبائلُ من العَرَب ورأَّسوا عليهم عامرَ بنَ الظَّرِب العَدْوانيّ ، فساروا إلى مكّة في جمعٍ لُهام[4] ، فخرجتْ إليهم خُزاعة فاقتتلوا ، فهُزِمَتْ قيس ، ونجا عامرٌ على فرس له جواد . فقال قيس بن الحُداديّة في ذلك : [من المتقارب]

لقد سُمْتَ نفسَك يا ابنَ الظَّرِبْ وجشَّمتهمْ منزلاً قد صَعُبْ[5]
وحمَّلتهــمْ مركبــاً باهِظــاً من العِبءِ إذ سُقتَهم للشَّغَبْ[6]
بحـربِ خُزاعــة أهـلِ العُلا وأهـلِ الثّناء وأهـلِ الحسبْ
هــم المانعو البيت والذائدون عــن الحُرُمات جميعَ العربْ
نَفَــوا جُرْهُمــاً ونَفَوا بعدهم كِنانــةَ غَصْباً بِبيض القُضُبْ
وسُمْرِ الرِّمــاح وجُرْدِ الجياد عليهــا فــوارسُ صدق نُجُبْ
وهــمْ ألحقــوا أسَداً عَنوةً بأحياء طيٍّ وحازُوا السَلَبْ[7]
خُزاعةُ قومــي فــإن أفتخِر بهــمْ يَزْكُ مُعتَصَري والنَّسبْ
هم الرأس والناس من بعدِهم ذُنابى ، وما الرأس مِثلُ الذَّنَبْ[8]

---

1 أقصده : طعنه فلم يخطئه .
2 أي سبايا أدم اكتسبن السمرة بعد أن كنّ بيضاً .
3 الجلاد : الإبل الغزيرة اللبن .
4 لهام : كثير عظيم .
5 منزلاً في ل : مركباً .
6 مركباً في ل : مثقلاً .
7 بأحياء في ل : بأجبال .
8 مثل .

يُواسى لدى المَحْلِ مولاهمُ ... وتُكشَف عنه غُموم الكُرَبْ
فجارهُمُ آمنٌ دهرَه ... بهمْ أن يُضامَ وأن يُغتصَبْ
يلبُّون في الحرب خوف الهجاء ... ويَبْرُون أعداءهم بالحَرَبْ[1]
ولو لم ينجِّك من كيدهم ... أمينُ الفُصوص شديدُ العَصَبْ[2]
لزرتَ المنايا ، فلا تكفُرَنْ ... جوادَك نُعْماه يا ابن الظَّرِبْ
فإنْ يلتقوك يزُرْك الحِما ... م أو تنجُ ثانيةً بالهربْ

قال أبو الفرج : هذه القصيدة مصنوعة ، والشعر بيِّن التوليد .

[غارة هوازن على خزاعة]

وقال أبو عمرو : أغارت هوازنُ على خزاعة وهم بالمحصَّب من مِنى ، فأوقعوا ببطن مِنهم يقال لهم بنو العَنْقاء ، وبقوم من بني ضاطر ، فقَتَلوا منهم عَبْداً وعوفاً وأقرم وغبشان ، فقال ابن الأحبّ العَدْوانيّ يفخر بذلك : [من الطويل]

فلو شهدت أم الصبيَّين حملنا ... على ضاطر بالمقربات السواهمِ
غداةَ التقينا بالمحصَّب من مِنًى ... فلاقت بنو العنقاء إحدى العظائمِ
تَرَكْنا بها عَوْفاً وعَبداً وأقرَماً ... وغبشانَ سُؤراً للنُّسور القشاعمِ[3]

فأجابه قيس بن الحدادية ، فقال يعيّره أن فخر بيوم لي لقومه : [من الطويل]

فخرْتَ بيوم لم يكن لك فخرُه ... أحاديثُ طَسْمٍ إنّما أنتَ حالمُ[4]
تفاخِر قوماً أطرَدتْك رماحُهمْ ... أكعبُ بنَ عمرو : هل يُجاب البهائمُ
فلو شهدت أمُّ الصبيَّين حَملَنا ... وركْضَهمُ لابيضَّ منها المَقادمُ
غداةَ تولَّيتمْ وأدبَر جمعُكمْ ... وأُبنا بأسْراكم كأنّا ضَراغِمُ

[حماه أسد بن كرز فمدحه]

قال أبو عمرو : وكان ابن الحدادية أصاب دماً في قوم من خُزاعة هو وناس من أهل بيته ، فهربوا فنزلوا في فِراس بن غَنَم ، ثم لَم يَلبَثوا أن أصابوا أيضاً منهم رجلاً ، فهربوا فنزلوا في بَجيلةَ على أسَد بم كُرز ، فآواهم وأحسن إلى قيس وتحمّل عنهم ما أصابوا في خُزاعة وفي

---

1 خوف الهجاء في ل : حوز الهجان .
2 أمين الفصوص : قوي المفاصل .
3 السؤر : البقية والفضلة .
4 المثل «أحاديث طسم وأحلامها» في مجمع الميداني 1 : 204 .

فِراس ، فقال قيس بن الحدادية يمدح أُسد بن كرز : [من البسيط]

لا تعذليني سلمى اليومَ وانتظري ... أَن يجمع الله شَملاً طالما افتَرقا
إن شتّت الدَّهر شَملاً بين جيرتكم ... فطال في نعمةٍ يا سَلْم ما اتفقا
وقد حللنا بِقَسْرِيٍّ أُخي ثقةٍ ... كالبدرِ يجلو دُجى الظلماء والأُفقا
لا يَجبرُ الناسُ شيئاً هاضَه أُسدٌ ... يوماً ولا يَرتَقُون الدَّهرَ ما فَتَقا
كم من ثناءٍ عظيم قد تَدارَكَه ... وقد تفاقَمَ فيه الأَمْرُ وانخرقا

قال أبو عمرو : وهذه الأبيات من رواية أصحابنا الكوفيّين ، وغيرُهم يزعم أنّها مصنوعة ، صنعها حمّاد الرّاوية لخالد القَسريّ في أيّام ولايته ، وأنشده إيّاها فوَصَله ، والتوليد بيّن فيها جدّاً .

[غارة ضريس على بني ضاطر]

وقال أبو عمرو : غزا الضَّريس القشيريّ بني ضاطر في جماعة من قومه ، فثبتوا له وقاتَلوه حتى هزموه ، وانصرف ولم يفز بشيء من أموالهم ، فقال قيس بن الحِدادية في ذلك : [من الطويل]

فِدًى لبني قيس وأفناءِ مالكٍ ... لدى الشِّسْع من رجلي إلى الفَرْق صاعدا
غداةَ أتى قومُ الضَّريس كأنّهم ... قَطا الكُدْرِ من ودّان أُصبحَ واردا[1]
فلم أَرَ جمعاً كان أَكرمَ غالباً ... وأحمى غلاماً يوم ذلك أُطردا
رميناهُم بالحُوِّ والكُمْتِ والقَنا ... وبِيضٍ خِفافٍ يختلِين السواعدا[2]

[آواه بنو عديّ فمدحهم]

قال أبو عمرو : ولمّا خلعتْ خُزاعةُ قيساً ، تحوَّلَ عن قومه ، ونزل عند بطنٍ من خزاعة ، يقال لهم بنو عدِيّ بن عمرو بن خالد ، فآوَوه وأَحسنوا إليه ، وقال يمدحهم : [من الطويل]

جزى الله خيراً عن خليع مطَرَّدٍ ... رجالاً حَمَوْه آل عَمْرو بن خالدِ
فليس كمَن يغزو الصديق بنَوْكِه ... وهمّتُه في الغزو كسبُ المَزاودِ[3]
عليكم بعرْصات الديار فإنّني ... سواكم عديدٌ حين تُبلى مَشاهِدي
ألاوَذْتُمُ حتى إذا ما أَمِنتُم ... تَعاوَرْتُمُ سَجْعاً كسجع الهداهدِ
تجنّى عليَّ المازنان كلاهما ... فلا أَنا بالمغضي ولا بالمساعدِ[4]

1 الكدر وودان : موضعان . والقطا الكدري : الأغبر اللون المرقّش .
2 يختلين : يقطعن .
3 النوك : الحمق .
4 بالمساعد في ل : بالمباعد .

وقــد حدبــت عمرو عليَّ بعزّها وأبنائهــا مــن كلّ أروَعَ ماجدِ
مَصاليتُ يومَ الرَّوع كَسْبُهم العُلا عِظامُ مَقِيل الهـام شُعْرُ السواعدِ
أولئك إخــواني وجُـلُّ عشيرتي وثروتُهــم والنصرُ غيرُ المُحاردِ[1]

[أعتقه عديّ بن نوفل فمدحه]

أخبرني أحمد بن سليمان الطّوسيّ ، والحِرْميّ بن أبي العلاء قالا : حدَّثنا الزُّبَير بن بكّار قال : أخبرني عمِّي أنَّ خُزاعةَ أغارت على اليمامة ، فلم يَظفروا منها بشيء ، فهزموا وأسر منهم أسرى ، فلمّا كان أوان الحجّ ، أخرجَهم من أسرهم إلى مكّة في الأشهر الحرم ليبتاعهم قومهم ، فغَدوا جميعاً إلى الخَلْصاء[2] ، وفيهم قيس بن الحداديّة ، فأخرجوهم وحملوهم ، وجعلوهم في حَظيرة ليحرقوهم ، فمرّ بهم عديّ بن نوفل ، فاستجاروا به ، فابتاعهم وأعتَقَهم ، فقال قيس يمدحه : [من الطويل]

دعوتُ عديّــاً والكُبــولُ تَكُبني ألا يــا عديٌّ يـا عديّ بن نوفلِ
دعوت عديّـــاً والمنايـا شوارِعٌ ألا يــا عــدِيّ للأسير المكبّلِ
فما البحر يجري بالسُّفينِ إذا غدا بأجودَ سَيْباً منـه في كلّ مَحفِلِ
تداركت أصحاب الحظيرة بعدما أصابهــمُ منّــا حريــقُ المحلّلِ[3]
وأتبعــت بــين المَشْعَرينِ سِقايةً لحجّـاج بيت الله أكـرم مَنهلِ[4]

[هجرة خزاعة بسبب الجدب]

قال أبو عمرو : وكان قيس بنُ الحداديّة يَهوى أُمَّ مالك بنت ذؤيب الخزاعيّ ، وكانت بطون من خزاعة خرجوا جالين إلى مصر والشام لأنّهم أجدَبوا ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، رأوا البوارق خلفَهم ، وأدركهم من ذكر لهم كثرةَ الغيث والمطر وغزارتَـه ، فرجـع عمـرو بن عبـادة بن عبد مَناة في ناس كثير إلى أوطانهم ، وتقدّم قَبِيصة بن ذؤيب ومعه أخته أُمّ مالك ، واسمها نُعم بنت ذؤيب ، فمضى ، فقال قيس بن الحداديّة هذه القصيدة التي فيها الغناء المذكور : [من الطويل]

أَجِـدَّك إنْ نُعْمٌ نـأت أنت جازِعُ قــد اقتربَــتْ لــو أنّ ذلـك نافعُ

---

1 غير المحارد : غير المنقطع .
2 الخلصاء : بلد بالدهناء .
3 المحلل : الذي حلل إحراقنا في الأشهر الحرم .
4 أكرم في ل : أفضل .

قــد اقتربت لو أنّ في قُرب دارها نــوالاً ، ولكــن كلُّ من ضَنَّ مانعُ
وقــد جاورَتْنــا في شهــور كثيرة فمــا نوَّلَــتْ ، واللّهُ راءٍ وسامعُ
فإنْ تَلقَيْن نعمــى هُدِيــتَ فحيِّها وسل كيــف تُرعى بالمَغِيبِ الودائعُ
وظنّي بهــا حفــظٌ لِغَيبي ، ورِعيةٌ لِما استُرعِيَتْ ، والظّن بالغيب واسعُ
وقلــت لهــا في السرّ بيني وبينها على عجــلٍ : أيّان مَن سار راجعُ ؟
فقالت : لقاءٌ بعــد حَـول وحِجّـةٍ وشَحطُ النوى إلاّ لذي العهدِ قاطعُ
وقد يلتقي بعــد الشَّتات أولو النَّوى ويسترجع الحــيَّ السحابُ اللوامعُ
ومــا إنْ خَذولٌ نازعَتْ حبلَ حابلٍ لتنجوَ إلاّ استسلَمتْ وهــي ظالِعُ[1]
بأحسنَ منهــا ذاتَ يــوم لقَيتُهــا لها نظــرٌ نحــوي كذي البَثِّ خاشعُ
رأيت لهــا ناراً تُشَب ، ودونهــا طويلُ القَرا مــن رأس ذَروةَ فارعُ[2]
فقلت لأصحابي : اصطَلُوا النار إنّها قريبٌ ، فقالــوا : بل مكانك نافعُ
فيا لــك مــن حادٍ حَبوت مقيَّداً وأنحــى على عِرنــينِ أنفِــك جادِعُ
أغيظاً أرادَتْ أن تُخــبَّ حمالُهــا لتفجَــعَ بالإظعانِ مَــن أنــتَ فاجعُ
فمــا نُطقــة بالطّــود أو بضَرِيَّــة بقيّــة سيــلٍ أحرزَتْهــا الوقائعُ[3]
يطيف بهــا حَرّانُ صادٍ ولا يــرى إليهــا سبيــلاً غيــرَ أنْ سيطالعُ
بأطيبَ مِــن فِيهــا إذا جئت طارقاً من الليــل واخضلّت عليك المَضاجعُ
وحَسْبُك مــن نــأيٍ ثلاثــةُ أشهر ومِن حَــزَنٍ أن زادَ شوقَك رابعُ
سعى بينهــم واشٍ بأفْــلاق بِرْمَــةٍ ليفجَع بالأظعان مَــن هــو جازِعُ[4]
بكت مــن حديث بَثّــه وأشاعــه ورصَّعــه واشٍ مــن القــوم راصِعُ
بكت عينُ من أبكاكِ ليس لك البكا ولا تتخالجــك الأمــور النوازعُ
فــلا يسْمَعْن سرّي وسرّك ثالــثٌ ألا كلُّ سرّ جــاوز اثنــين شائعُ[5]

---

1 الخذول من الظباء والبقر : التي تتخلّف عن القطيع . وظلع : غمز في مشيه .
2 القرا : الظهر . وذروة : اسم جبل . والفارع : العالي .
3 الطود : الجبل . وضرية : بئر . الوقائع : جمع وقيعة ، وهي النقرة في الجبل يتجمّع فيها الماء .
4 أفلاق : جمع فلق ، وهو المطمئنّ من الأرض بين ربوتين .
5 مثل .

وكيــف يَشيع السرُّ منّــي ودُونَــه حجاب ومِن دون الحجاب الأَضالعُ !
وحِــبٌّ لهــذا الرَّبـع يمضي أَمامه قليــلُ القِــلى منــه جليلٌ ورادعُ
لهـوتُ بــه حتـى إذا خِفتُ أَهلَه وبيّــنَ منــه للحبيــبِ المخادعُ
نزعــتُ فمـــا سِرِّي لأوّل سائل وذو السرّ مـا لم يَحفظ السرَّ ماذعُ[1]
وقــد يَحمد الله العــزاءَ من الفتى وقــد يجمــع الأمرَ الشتيتَ الجوامعُ
أَلا قد يُسلِّى ذو الهــوى عن حبيبه فيَسْلى ، وقــد تُردِي المطيَّ المطامعُ
ومــا راعَنــي إلاّ المنادي أَلاَ أظعَنوا وإلاّ الرواغِــي غُــدوةً والقعاقعُ[2]
فجئــت كأنّي مستضيفٌ وسائل لأُخبرهــا كلَّ الذي أنــا صانِعُ
فقالت : تزحْزح مـا بنا كُبْرُ حاجةٍ إليــك ولا منّــا لفقــرك راقِعُ
فما زلتُ تحت السِّتر حتى كأنّني من الحُــر ذو طِمْرَيْن في البحر كارِعُ
فهــزَّت إليّ الرأس منّــي تعجُّبــاً وعُضِّض ممّــا قــد فعلتُ الأصابعُ
وإنّي لأنهــى النفس عنهــا تجهّــلاً وقلبي إليها الدهــر عطشان جائعُ
أيثبت بأهــوار الجميــع فساكن ومنتجع فخــراً فمــا أنت صانعُ
فأَيَّهمــا مــا أُتبعَــنّ فإنّنــي حزيــن على إثــر الذي أَنا وادِعُ
وأنشر ثوبــي نحــو داخــن نارها ومــا بيننا مــن شقــة الأرض واسعُ
بكى من فــراق الحيّ قيسُ بنُ مُنقِذ وإذراءُ عيني مثلَــه الدمــعَ شائعُ
بأربعــة تنهــلُّ لمّــا تفرقــت بهــم طُــرُق شتّى وهــنّ جوامعُ
ومـا خِلْتُ بينَ الحــيّ حتى رأيتهم ببَينونــةَ السفلى وهبَّــت سَوافعُ[3]
كأن فؤادي بين شِقَّين مــن عَصاً حِــذار وقــوعِ البين والبينُ واقِعُ
يحُــثُّ بهــم حــادٍ سريعٌ نَجاؤه مُعْــرّى عن الساقــين والثوب واسِعُ
فقلت لهــا يــا نُعــم حُلِّـي محلّنا فإن الهــوى يــا نُعم والعيش جامعُ
فقالــت وعيناهــــا تَفيضان عَبرةً بأهلي بَيِّنْ لي متــى أَنت راجعُ ؟

---

1 ماذع في ل : وادع .
2 ألا اظعنوا في ل : أن أظعنوا .
3 بينونة : موضع . والسوافع : لوافح السموم .

فقلـت لهـا تالله يـدري مسافر — إذا أضمرتْه الأرضُ مـا الله صانِعُ
فشدَّت على فِيهـا اللثامَ وأعرضتْ — وأمعـن بالكُحـلِ السَّحيقِ المدامِعُ
وإنّي لِعهـد الودّ راعٍ ، وإنّنـي — بوصلك مـا لم يطوني الموتُ طامِعُ

قال أبو عمرو : فأنشدت عائشةَ بنت طلحة بن عبيد الله هذه القصيدة ، فاستحسنتْها وبحضرتها جماعة من الشعراء . فقالت : من قدر منكم أن يزيد فيها بيتاً واحداً يشبهها ويَدخل في معناها فله حُلّتي هذه ، فلم يقدر أحد منهم على ذلك .

[شعره في معشوقته نعم]

قال أبو عمرو : وقال قيس أيضاً يذكرَ الحيّ وتفرّقهم ويُنسبُ بنعم ويذكرها : [من الطويل]

سقى الله أطلالاً بنعـمٍ ترادفت — بهـن النَّوى حتـى حَلَلْن المَطاليا[1]
فإن كانـت الأيام يـا أُمَّ مالك — تسلِّيكُم عنـي وتُرضي الأعاديا
فلا يأمَنَنْ بعدي امرؤ فجَع لذَّةٍ — من العيش أو فجعَ الخطوبِ العَوافِيا
وبُدِّلت مِـن جَدواكِ يا أُمَّ مالكٍ — طـوارقَ هـمٍّ يحتضِرْن وِسادِيا
وأصبحت بعد الأنس لابسَ جُنَّةٍ — أُساقي الكماةَ الدارعين العَواليا
فيَوْمايَ يـومٌ في الحديد مُسربَلا — ويوم مـع البِيضِ الأوانِس لاهيا
فـلا مدركاً حظّاً لدى أُمِّ مالك — ولا مستريحـاً في الحياة فقاضيا
خليليّ إن دارت عـلى أُمّ مالكٍ — صُروفُ الليالي فابعثـا ليَ ناعِيا
ولا تتـركاني لا لخيرٍ معجَّـلٍ — ولا لبقـاءٍ تنظـران بقائيا
وإنّ الذي أمَّلْتُ مـن أُمّ مالكٍ — أشابَ قَـذالي واستهـامَ فؤادِيا
فليـت المنايـا صبَّحتنـي غُدَيَّـةً — بذَبـحٍ ولم أُسمـع لبَيْـنٍ منادِيا
نظـرتُ ودوني يذبُـلٌ وعَمايـةٌ — إلى آل نُعـمٍ مَنظـراً مُتنائيا
شكوت إلى الرحمن بُعْدَ مَزارها — وما حمَّلتنـي وانقطـاعَ رجائيا
وقلتُ ولم أملكْ أعمرو بن عامرٍ — لِحتفٍ بـذات الرَّقْمتين بدا لِيا
وقـد أيقنتْ نفسي عشيّة فارَقوا — بأسفل وادي الدَّوحِ أن لا تلاقِيا
إذا مـا طواكِ الدَّهرُ يا أُمَّ مالكٍ — فشأنُ المَنايـا القاضياتِ وشانِيا

قال أبو عمرو : وقد أدخل الناس أبياتاً من هذه القصيدة في شعر المجنون .

1 المطالي : الأرض السهلة اللينة .

[مقتله]

قال أبو عمرو : وكان من خبرَ مقتَل قيس بن الحداديّة أنّه لقِيَ جَمْعاً من مزينة يريدون الغارة على بعض مَن يجدون منه غِرّة ، فقالوا له : استأسِر ، فقال : وما ينفعكم منّي إذا استأسرتُ وأنا خليع ؟ والله لو أسرتموني ثم طَلَبْتم بي من قومي عنزاً جَرْباء جَدْماء ما أُعطِيتموها ، فقالوا له : استأسر لا أُمَّ لك ! فقال : نفسي عليَّ أكرم من ذاك وأشدّ من ذلك وقاتَلهم حتى قُتِل . وهو يرتجز ويقول : [من الرجز]

هل هــو إلاّ الموت يعني غاليهْ
أنــا الذي تَخلَعـــه مـــواليهْ
وكلُّهـــم بعــد الصَّفــاء قاليهْ
وكلّهــم يُقْسم لا يباليـــهْ
أنــا إذا المــوت ينـوب غاليهْ
مختلـطٌ أسفلــهُ بعاليـــهْ
قــد يعلم الفتيــان أنّــي صاليهْ
إذا الحديـــد رفعــتْ عَواليــهْ

قال أبو عمرو : وقد قيل في مقتله غير هذا ، فذكر إنّه كان يتحدّث إلى امرأة من بني سُلَيم يقال لها أمّ كاهل فأغاروا عليه وفيهم زوجُها فجعل ينشد عليهم ويقول : [من الرجز]

خلِّي الطريق فعل أم كاهل ... خلٍّ طريــق البطل المنازلْ

فأفلت قيس من الوقعة ثم أُتى ظلاً وقد تعب ، فنام فيه وهو لا يَخشى أن يطلبه القوم ، فاتّبعوه فوجدوه ، فقاتلهم ، فلم يزل يرتجز وهو يقاتلهم حتى قُتِل .

صوت

[من البسيط]

صَرَمْتِني ثـــم لا كلَّمتِنـــي أبــداً ... إن كنت خنتُكِ في حالٍ من الحالِ
ولا اجترمت الذي فيه خيانتكم ... ولا جَرَتْ خَطرةٌ منــه على بالي
فسوِّغيني المُنـــى كيما أعيشَ بها ... وأَمسكي البذلَ مــا أُطلعتِ آمالي
أو عجِّلي تَلَفــي إن كنــتِ قاتلتي ... أو نوِّلينـــي بـــإحسان وإجمالِ

الشعر لابن قُنْبُر ، والغناء ليزيد بن حوراء خفيف رمل بالبنصر عن عمرو بن بانة ، وذكر إسحاق أنّه لسليم ولم يذكر طريقته .

[264] ـ أخبار ابن قُنْبُر ونسبه

[نسبه]

هو الحكم بن محمد بن قُنْبُر المازنيّ مازن بني عمرو بن تميم ، بصريّ شاعر ظريف من شعراء الدولة الهاشمية ، وكان يهاجي مسلمَ بنَ الوليد الأنصاري مدّة ، ثم غلبه مسلم .

[مهاجاته مسلم بن الوليد]

قال أبو الفرج : نسختُ من كتاب جدّي يحيى بن محمد بن ثَوابة بخطّه : حدَّثني الحسن بن سعيد قال : حدَّثني منصور بن جهْوَر قال : لمّا تَهاجى مسلم بن الوليد وابن قنبر ، أُمسكَ عنه مُسلم بعد أن بسط عليه لسانه ، فجاء مسلماً ابن عم له فقال : أيها الرجل ، إنك عند الناس فوق هذا الرجل في عمود الشعر ، وقد بعثتَ عليه لسانَك ثم أمسكتَ عنه ، فإمّا أن قاذعتَه ، وإمّا أن سالمتَه ؛ فقال له مسلم : إن لنا شيخاً وله مسجد يتهجد فيه ، وبين ذلك دعواتٌ يدعو بها ، ونحن نسأله أن يجعل بعض دعواته في كفايتنا إيّاه ، فأطرق الرجلُ ساعةً ثم قال : [من الكامل]

غَلَبَ ابن قُنْبر واللئيم مغلّب ... لمـا اتَّقَيْتَ هجـاءه بـدعاءِ

ما زال يقذف بالهجاء ولذعِهِ ... حتـى اتّقـوه بدعـوة الآباءِ

قال : فقال له مسلم : والله ما كان ابن قنبر لِيبلغَ منّي هذا ، فأمسِك عنّي لسانك وتعرّف خبره بعد ، قال : فبعث الرجل والله عليه من لسانِ مسلمٍ ما أُسكتَه .

أُخبرني الحسن بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني محمد بن عبد الله العبديّ القَسْريّ قال : رأيت مسلم بنَ الوليد والحكَم بنَ قنبر في مسجد الرُّصافة في يوم جمعة ، وكلّ واحد منهما بإزاء صاحبه ، وكانا يتهاجيان ، فبدأ مسلمٌ فأنشد قصيدتَه : [من الطويل]

أنا النار في أَحجارها مستكِنّة ... فإن كنتَ ممّن يقدِح النار فاقدحِ

وتلاه ابن قنبُر فأنشد قوله : [من البسيط]

قد كدتَ تهوِي وما قوسي بموتَرةٍ ... فكيف ظنُّك بي والقوسُ في الوَتَرِ

فوثب مسلم وتواخزا وتَواثَبا حتى حجز الناسُ بينهما فتفرّقا ، فقال رجل مسلم ، وكان يتعصّب له : وَيْحك ! أعَجزْتَ عن الرجل حتى واثبته ؟ قال : أنا وإيّاه لكما قال الشاعر :

هنيئــاً مريئـــاً أنت بالفُحْش أبصرُ

وكان ابن قُنبر مستعلياً عليه مدّة ، ثم غلبه مسلم بعد ذلك ، فمن مُناقَضتهما قولُ ابنِ قُنبر فيه : [من الطويل]

ومِــن عَجَــب الأشيــاء أنّ لمسلم إليّ نِزاعــاً في الهجــاء ومـا يدري
ووالله مـــا قِيستْ عـــليّ جُـدودُه لدى مَفخَر في الناس قوساً ولا شعري[1]

ولابن قُنبُر قولُه : [من الخفيف]

كيـف أهجــوكَ يـــا لئيم بِشعْري أنــت عنـدي فاعلمْ هِجاءُ هجائي
يا دعـــيَّ الأنصارِ بـل عبدَهـا النذ لَ تعرّضـتَ لي لـــدَرْك الشقـاء

[إعجاب المأمون ببيتين له]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني أبو توبة ، عن محمد بن جُبَير عن الحسين بن محرز المغنّي المَديني قال : دخلت يوماً على المأمون في يوم نوبتي وهو ينشد : [من الطويل]

صوت

فما أقصرَ اسمَ الحبّ يا وَيْحَ ذي الحبّ وأعظـمَ بلواه على العاشق الصبِّ
يمــرّ بـــه لفـظُ اللّسان مشمِّراً ويغرق من ساقاه في لُجَج الكربِ

فلمّا بصُر بي قال : تعال يا حسين ، فجئت ، فأنشدني البيتين ، ثم أعادهما عليّ حتى حفِظتُهما ، ثم قال : اصنَع فيهما لحْناً ، فإن أجدتَ سررتُك ، فخلوت وصنعتُ فيهما لحني المشهور ، وعُدتُ فغنّيته إيّاه ، فقال : أحسنت ، وشرِب عليه بقيّة يومه ، وأمر لي بألف دينار ، والشعر لحكم بن قُنبر .

[نسيبه]

أخبرني محمد بن الأزهر قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن محمد بن سلاّم قال : أنشدني ابن قُنبر لنفسه : [من البسيط]

وَيْلِـــي على مـــن أطارَ النومَ وامتَنعا وزاد قلبـــي على أوجاعِـــهِ وَجَعا
ظبيٌ أغـــرُّ تـــرى في وجهه سُرُجاً تُعشي العيـــونَ إذ مـــا نورهُ سطعا

1 قوساً ولا شعري في ل : يوماً ولا الشعر .

كأنّما الشمس في أثوابــه بزَغَــتْ حُسنا ، أو البــدرُ في أردانِــه طلعا
فقد نسيتُ الكرى من طُول ما عطِلتْ منــه الجفونُ وطارت مهجتي قِطَعا

[قيان يعرينه في الطريق]

قال ابن سلاّم : ثم قال ابن قُنبُر : لقيتني جوارٍ من جواري سليمانَ بن عليّ في الطريق الذي بين بين المِربد وقَصْر أوس ، فقلن لي : أنت الذي تقول :

وبلي على مَن أطار النومَ وامتنعا

فقلتُ : نعم . فقلن : أمع هذا الوجه السَّمِج تقول هذا ؟ ثم جعلن يجذبنني ويَلهون بي حتى أخرجنني من ثيابي ، فرجعتُ عارياً إلى منزلي . قال : وكان حسنَ اللباس .

[تحفيظ شعره الصبيان]

أخبرني محمد بن الحسين الكِنْدِيّ مؤدّبي قال : حدّثني علي بن محمد النُّوفلي قال : حدّثني عمّي قال : دخل الحكم بن قُنبُر على عمّي ، وكان صديقاً له ، فبَشّ به ورفع مجلسه ، وأظهر له الأنس والسرور ، ثم قال : أنشِدني أبياتَك التي أقسمتَ فيها بما في قلبك . فأنشده : [من الطويل]

وحــقٌ الذي في القلب منك فإنّه عظيم لقد حصّنت سرّك في صدري
ولكنّمــا أفشاه دمعــي ، وربّمــا أتى المرء ما يخشاه من حيث لا يدري
فهبْ لي ذنوب الدمع ، إنّي أظنّه بمــا منه يبـدو إنّما يَبتَغي ضرّي
ولو يَبتَغي نفعي لخلّى ضمائــري يــردّ على أسرار مكنونهــا ستري

فقال لي : يا بنيّ اكتبها واحفظْها ، وسأله أن يكتبنيها ففعل ، فحفظتُها يومئذٍ وأنا غلام .

[مبالغة في اليمين]

أُخبرني اليزيديّ قال : أخبرني عمّي عن ابن سلاّم ، وأُخبرني به أحمد بن العبّاس العسكري عن العنبري عن محمد بن سلام قال : أُنشدني ابن قُنبُر لنفسه قوله : [من البسيط]

صرمْتِني ثــم لا كلّمتِنـــي أبــداً إن كنت خنتك في حالٍ من الحالِ
ولا اجترمت الذي فيــه خيانتكم ولا جــرتْ خَطرة منــه على بالي

قال : فقلت له وأنا أضحك : يا هذا لقد بالغتَ في اليمين . فقال : هي عندي كذاك ، وإن لم تكن عندك كما هي عندي .

قال اليزيدي : قال عمّي وهو الذي يقول (وفيه غناء) : [من المديد]

صوت

ليس فيهما مـــا يقال له كملتْ لـو أنّ ذا كَمَلا
كلّ جــزء من محاسنها كائــنٌ في فضلـــه مَثَلا
لـــو تمنّت في مَلاحتِها لم تجد مــن نفسها بَدَلا

فيه لحنٌ لابن القصّار رَمَل .

[أبيات تنسب له وللعتابيّ]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني ابن مهرُويَه قال : قال لي إبراهيم بن المدبِّر : أتعرف الذي يقول : [من السريع]

إن كنــتَ لا تَرهبُ ذَمّي لما تَعرف من صفحي عن الجاهلِ
فاخشَ سُكوتــي فَطِنا مُنصِتا فيــك لتحسين خنــا القائلِ
مقالــةُ السّوء إلى أهلهــــا أسرع مــــن منحــــدر سائلِ
ومــن دعــا الناسَ إلى ذمِّــه ذمُّــوه بالحَــــقّ وبــالباطلِ

فقلت : هذه للعتّابيّ ، فقال : ما أنشدتُها إلاّ لابن قُنبُر ، فقلت له : من شاء منهما فليقُلْها ، فإنّه سرقه من قول عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة : [من الطويل]

وإن أنــــا لم آمر ولم أنهَ عنكما سكتّ له حتى يلجَّ ويستشري

[أخلاق قريش]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدَّثنا ابن مهرويَه قال : حدَّثني أبو مسلم يعني محمد بن الجهم قال : أطعَمَ رجل من وَلَد عبد الله بنِ كُرَيز صديقاً له ضيعة ، فمكثتْ في يده مدّة ، ثم مات الكُرَيزيّ ، فطالب ابنُه الرجلَ بالضيعة ، فمنعه إيّاها ، فاختصما إلى عبيد الله بن الحسن ، فقيل له : ألا تستحي ! تطالب بشيء إن كنت فيه كاذباً أثمت ، وإن كنت صادقاً فإنّما تريد أن تنقض مكرُمةً لأبيك ، فقال له ابن الكريزي ، وكان ساقطاً : الشحيح أعظم من الظالم أعزّك الله ، فقال له عبيد الله بن الحسن : هذا الجواب والله أعزّ من الخصومة ويحك ، وهذا موضع هذا القول ، اللهمّ ارددْ على قريش أخطارَها ، ثم أقبَلَ علينا فقال : لله دَرّ الحكم بن قُنبُر حيث يقول : [من الوافر]

إذا القُرَشيّ لم يُشبِــه قريشاً بفعلهـــم الذي بَـــذَّ الفعالا
فجَرْمــيٌّ لــه خُلـقٌ جميل لدى الأقوام أحسنُ منه حالا

[تمثل الرشيد بشعره]

أخبرني محمد بن الحسين الكنديّ قال : حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزِيّ قال : حدَّثنا مسعود بن بشر قال : شكا العبّاس بن محمد إلى الرشيد أنّ ربيعة الرَّقِّيّ هجاه فقال له : قد سمعتُ ما كان مَدَحك به ، وعرفتُ ثوابَك إيّاه ، وما قال في ذمّك بعد ذلك ، فما وجدتُه ظلمك به ، ولله درّ ابن قنبر حيث قال : [من السريع]

ومن دعا الناس إلى ذمّه ذمّوه بالحقّ وبالباطل

وبعد ، فقد اشتريتُ عِرضَك منه ، وأمرتُه بأن لا يعود لذمّك تعريضاً ولا تصريحاً .

[مرض موته]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال : حدَّثنا محمد بن سلاّم قال : مرض ابن قُنبر فأتَوه بخصِيب الطبيب يعالجه ، فقال فيه : [من مجزوء الرمل]

ولقد قلتُ لأهلي إذ أتَوْني بخَصِيبِ
ليس والله خصيبٌ لِلّذي بي بطبيبِ
إنّما يَعرِف دائي من به مِثل الذي بي

قال : وكان خصيب عالِماً بمرضه ، فنظر إلى مائه فقال : زعم جالينوس أنّ صاحب هذه العلّة إذا صار ماؤه هكذا لم يعِشْ ، فقيل له : إنّ جالينوس ربّما أخطأ ، فقال : ما كنت إلى خطئه أحوَج منّي إليه في هذا الوقت . قال : ومات من علّته .

صوت

[من الطويل]

خليليَّ من سعد ألِمّا فسلّما على مريمٍ ، لا يبعد الله مريما
وقولا لها هذا الفراق عزمتِه فهل من نوال قبل ذاك فنعلما[1]

الشعر للأسود بن عمارة النوفليّ ، والغناء لدهمان ثاني ثقيل بالوسطى .

1 فنعلما في ل : فيعلما .

[265] ـ أخبار الأسود ونسبه

[نسبه]

هو ، فيما أخبرني به الحِرْميّ بن أبي العلاء والطُّوسيّ ، عن الزُّبير بن بكّار ، عن عمّه ، الأسود بن عمارة بن الوليد بن عديّ بن الخِيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب ، وكان الأسود شاعراً أيضاً ، من مخضرمي الدولتين .

[شعر عمارة أبي الأسود]

قال الزُّبير ، فيما حدَّثنا به شيخانا المذكوران عنه : وحدَّثني عمِّي قال : كان عمارة بن الوليد النَّوفليّ أبو الأسود بن عمارة شاعراً ، وهو الذي يقول : [من الخفيف]

صوت

تلك هنـدٌ تُصدُّ للبَيْن صدّاً | أدلالاً أم هنـدُ تهجُـرُ جدّا
أم لِتَنْكا بـه قُروحَ فؤادي | أم أرادت قتلي ضِراراً وعمدا
قد براني وشفَّني الوجدُ حتى | صرتُ ممّا أُلقى عظاماً وجِلدا
أيّها الناصح الأمـين رسولاً | قل لهندٍ عنّي إذا جئتَ هندا
عَلِم الله أن قـد آوتيتِ منّي | غيرَ مَـنٍّ بذاك نصحاً وودّا
مـا تقرّبـتُ بالصفاء لأدنو | منكِ إلاّ نأيتِ وازددتِ بعدا

الغناء لعَبادِل خفيف رمل بالبنصر في مجراها عن إسحاق ، وفي كتاب حَكَمَ : الغناء له خفيف رمل ، وفي كتاب يونس : فيه لحن ليونس غير مجنّس ، وفيه ليحيى المكّي أو لابنه أحمد بن يحيى ثقيل أوّل .

[ولايته بيت المال]

قال الزُّبير : قال عمِّي : من لا يعلم يروي هذا الشعر لعمارة بن الوليد النوفليّ ، قال : وكان الأسود يتولّى بيت المال بالمدينة ، وهو القائل : [من الطويل]

خليليَّ مـن سعدٍ أَلِمَّا فسلِّما | على مريم ، لا يبعد الله مريما

وقولا لهـا هذا الفراق عزمتِه فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

[شعره في محمد بن عبد الله بن كثير]

قال : وهو الذي يقول لمحمد بن عبيد الله بن كُثَير بن الصَّلْت : [من الطويل]

ذكرناك شُرْطيّاً فأصبحت قاضياً وصرت أميراً ، أبشري يا لقحطانُ

أرى نَـزَوَاتٍ بينهــنّ تفـاوتٌ وللدَّهــر أحــداث وذا حَدَثــانُ

أقيمي بني عمرو بن عوف أو اربَعي لكــلّ أُنــاس دولــة وزمانُ[1]

قال : وإنّما خاطب بني عمرو بن عوف هاهنا لأن الكثيريّ كان تزوّج إليهم ، وإنّما قال : «أبشري قحطان» لأنّ كثير بن الصلت من كندة حليف لقريش .

[عشقه مريم]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني علي بن سليمان النوفليّ أحد بني نوفل بن عبد مناف قال : كان أبي يتعشّق جارية مولَّدة مغنّية لامرأة من أهل المدينة ، ويقال للجارية مريم ، فغاب غَيبة إلى الشام ، ثم قدِم فنزل في طرف المدينة ، وحمل متاعه على حمّالين ، وأقبل يريد منزلَه ، وليس شيء أحبّ إليه من لقاء مريم ، فبينا هو يمشي إذ هو بمولاة مريم قابضة على ذراعها ، وعيناها تدمَعان ، فساءلها وساءلَتْه ، فقال للعجوز : ما هذه المصيبة التي أُصبتِ بها ؟ قالت : لم أُصِب بشيء إلاّ مَبيعي مريم ، قال : وممّن بعتها ؟ قالت : من رجل من أهل العراق ، وهو على الخروج ، وإنّما ذهبتُ بها حتى ودَّعَتْ أهلَها ، فهي تبكي من أجل ذلك ، وأنا أبكي من أجل فراقها ، قال : الساعةَ تخرج ؟ قالت : نعم الساعة تخرج ، فبقي متبلِّداً حائراً ، ثم أرسَل عينيه يبكي ، وودَّع مريمَ وانصرف ، وقال قصيدته التي أوّلها : [من الطويل]

خليليّ مـن سعد أَلِمّـا فسلِّما على مريمٍ ، لا يُبعِد الله مريَما

وقُولا لهـا هـذا الفراق عزمتِه فهل من نوال قبل ذاك فنعلَما[2]

قال : وهي طويلة ؛ وقد غنّى بعضُ أهل الحجاز في هذين البيتين غناء زَيانبيّا[3] . هكذا قال ابن عمّار في خبره .

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مهرويَه قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني أبو العبّاس أحمد بن مالك اليماميّ ، عن عبد الله بن محمد

---

1 اربعي : انتظري .

2 فنعلما في ل : فيعلما .

3 الزيانب : أصوات يونس الكاتب السبعة في شعر ابن رهيمة في زينب بنت عكرمة .

البواب قال : سألَت الخيزرانُ موسى الهادي أن يولي خاله الغِطريف اليَمَن ، فوعدها بذلك ودافَعَها به ، ثم كتبتْ إليه يوماً رُقعةً تتنجّزه فيها أُمرَه ، فوجّه إليها برسولها يقول : خيِّريه بين اليمن وطلاق ابنته ، أو مُقامي عليها ولا أُولِّيه اليمن ، فأيَّهما اختار فعلته ، فدخل الرسول إليها ، ولم يكن فهم عنه ما قال ، فأخبرها بغيره ، ثم خرج إليه فقال : تقول لك : ولاية اليمن ، فغضب وطلّق ابنته وولاّه اليمن ، ودخل الرسول فأعلمه بذلك ، فارتفع الصياح من داره ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : من دار بنت خالك ، قال : أو لم تخترْ ذلك ! قالوا : لا ، ولكن الرسول لم يفهم ما قلت فأدّى غيرَه ، وعجلت بطلاقها ، ثم ندم ودعا صالحاً صاحب المصلّى وقال لـه : أقمْ على رأس كل رجل بحضرتي من النُّدماء رجلاً بسيف ، فمن لم يطلّق امرأته منهم فليضرب عنقه ، ففعل ذلك ، ولم يبرح من حضرته أحد إلاّ وقد طلّق امرأته ، قال ابن البواب : وخرج الخدم إليّ فأخبَروني بذلك وعلى الباب رجل واقف متلفِّع بطَيْلَسانه يراوح بين رجليه ، فخطر ببالي : [من الطويل]

خليليَّ مـن سعد أَلِمّا فسلِّما على مريم ، لا يُبعِدِ اللهُ مَريما
وقُولا لهـا : هذا الفراق عزمتِه فهل مـن نوال قبل ذاك فنعلما

فأنشدته فيعلما بالياء ، فقال لي : فنعلما بالنون ، فقلت له : فما الفرق بينهما ؟ فقال : إنّ المعاني تُحسِّن الشعر وتفسده ، وإنّما قال : «فنعلما» ليعلم هو القصّة ، وليس به حاجة إلى أن يعلم الناس سرّه ، فقلت : أنا أُعلم بالشعر منك ، قال : فلمن هو ؟ قلت : للأسود بن عمارة النوفليّ . قال : أو تعرفه ؟ قلت : لا ، قال : فأنا هو ، فاعتذرتُ إليه من مراجعتي إيّاه ، ثم عرّفته خبرَ الخليفة فيما فعله ، فقال : أحسن الله عزاءك ، وانصرف وهو يقول : «هذا أحقّ منزل بِتَرْكِ»[1] .

[شرطي صار قاضياً وأميراً]

أُخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبَير بن بكّار قال : كان محمد بن عبيد الله بن كثير بن الصّلت على شُرْطة المدينة ، ثم ولِي القضاء ، ثم ولاّه أبو جعفر المدينة وعزل عبد الصّمد بن علي ، فقال الأسود بن عمارة : [من الطويل]

ذكرتك شُرْطيّاً فأصبحت قاضياً فصرتَ أميراً ، أَبشِري يا لقَحْطانُ[2]
أَرى نَـزَواتٍ بينهـنّ تَفـاوُتٌ وللدهـر أَحـداث وذا حَـدَثانُ

---

1 المثل : «هذا أحقّ منزل بترك» في مجمع الميدانيّ 2 : 387 ومستقصى الزمخشري 2 : 384 .

2 ذكرتك في ل : حضرتك .

أرى حَدَثـاً مِيطـانُ منقطِعٌ له ومنقطـع مِـن بعـده وَرِقانُ[1]
أقيمي بني عمرو بن عوف أو اربَعِي لكـلّ أُنـاس دولـةٌ وزمـانُ

صوت

[من الخفيف]

هل لدهر قـد مضى من مَعادِ أو لهـمٍّ داخـلٍ مـن نَفادِ
أذكرتْنـي عِيشةً قـد تولَّت هاتفاتٌ نُحْـنَ في بطن وادي
هِجْنَ لي شوقـاً وألهبْنَ ناراً للهـوى في مستَقَـرِّ الفؤادِ
بـان أحبابي وغُودرتُ فَرداً نُصْبَ مـا سَرَّ عيونَ الأعادي

الشعر لعلي بن الخليل ، والغناء لمحمد الرف ، ولحنه خفيف رمل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة .

1 ميطان وورقان : جبلان .

[266] ـ أخبار عليّ بن الخليل

[نسبه]

هو رجل من أهل الكوفة مولًى لمعن بن زائدة الشيبانيّ ، ويكنى أبا الحسن ، وكان يعاشر صالح بن عبد القدّوس لا يكاد يفارقه ، فاتُّهم بالزَّندقة ، وأُخِذ مع صالح ثم أُطلِق لمّا انكشف أمره .

[الرشيد يؤمنه ويجيزه]

قال محمد بن داود بن الجراح : حدَّثني محمد بن الأزهر عن زياد بن الخطّاب عن الرشيد ، أنّه جلس بالرافِقة للمظالم ، فدخل عليه علي بن الخليل وهو متوكيء على عصا ، وعليه ثياب نظاف ، وهو جميل الوجه حسن الثياب ، في يده قصّة ، فلمّا رآه أمر بأخذ[1] قصّته ، فقال له يا أمير المؤمنين : أنا أحسن عبارة لها ، فإن رأيت أن تأذن لي في قراءتها فعلت . قال : اقرأها ، فاندفع ينشده فيها قصيدته : [من الكامل]

يا خير مــن وَخَدَت بأَرْحُلِه ... نُجُبُ الرِّكاب بمَهْمَهٍ جَلْسِ[2]

حتى أتى عليها ، فاستحسنها الرشيد وقال له : مَن أنت ؟ قال : أنا عليّ بن الخليل الذي يقال فيه أنّه زنديق ، فضحك وقال له : أنت آمن ، وأمر له بخمسة آلاف درهم ، وخُصّ به بعد ذلك وأكثر مدحه .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال[3] : كان الرشيد قد أخذ صالح بن عبد القدوس وعلي بن الخليل في الزندقة ، وكان علي بن الخليل أستاذ أبي نواس في الشعر ، فأنشده علي بن الخليل : [من الكامل]

يــا خير من وخدَتْ بأَرحُلِه ... نُجُبٌ تخُــبُّ بمَهْمَهٍ جَلْسِ
تَطوي السباسِبَ في أزمَّتهــا ... طَــيَّ التِّجــار عمائمَ البُرْسِ
لمــا رأتك الشمسُ إذ طلعتْ ... كسفتْ بوجهك طلعةُ الشمسِ
خير البريّــة أنــت كلِّهــمُ ... في يومـك الغادي وفي أمسِ

1 بأخذ في ل : بإحضاره وأخذ .
2 وخد : أسرع في السير . والمهمه الجلس : المفازة الغليظة الأرض .
3 قارن بأمالي المرتضى 1 : 146–147 .

وكذاك لـن تنفكَّ خيرَهُـمُ تُمسي وتُصبح فوق ما تُمسي
لله مـا هـارون من مَلِك بَـرٌّ السريرة طاهـر النفس
ملـك عليـه لربِّـه نِعَـمٌ تـزداد جِدَّتُهـا على اللُّبس
تَحكـي خلافتُـه ببهجتها أَنـقَ السرور صبيحَـةَ العُرْس
مـن عِترةٍ طابـت أُرومتُهُم أهلِ العفاف ومنتهى القُدس[1]
نُطُقٍ إذا احتُضِرت مجالسُهم وعن السفاهـة والخنا خُرس
إنّي إليك لجأتُ مـن هربٍ قـد كان شرَّدني ومن لَبس[2]
واخترتُ حكمَك لا أجاوزُه حتى أوسَّدَ في ثَـرى رَمْسي
لمـا استخرتُ الله في مَهَـلٍ يَمَّمتُ نحـوَك رحلـةَ العَنْس
كم قـد قطعتُ إليك مُدَّرِعاً ليـلاً بَهيمَ اللَّـونِ كالنِّقس[3]
إن هاجني من هاجسٍ جزعٌ كان التوكّل عنـده تُرسي
مـا ذاك إلاّ أنّني رجـلٌ أصبـو إلى بَقَـر مـن الإنس
بقـر أوانسَ لا قُـرونَ لها نُجْـلِ العيـون نواعـمٍ لُعْس
رَدْعُ العَبير عـلى ترائبهـا يُقبلْـن بالترحيبِ والخلْس[4]
وأُشاهـد الفتيـان بينهـمُ صفراءَ عنـد المَزْج كالوَرْس
للمـاء في حافاتهـا حَبَـبٌ نُظُم كرَقْم صحائف الفُرس
والله يعلـم في بقيتـه ما إن أضعْتُ إقامةَ الخَمْس[5]

فأطلقه الرشيد ، وقتل صالح بن عبد القدوس[6] ، واحتج عليه في أنّه لا يقبل له توبة بقوله : [من السريع]

والشيخ لا يتـرك أخلاقـه حتى يُـوارى في ثـرى رَمْسِه

وقال : إنّما زعمت أنّك لا تترك الزندقة ولا تحول عنها أبداً .

---

1 أهل في ل : أصل .
2 هرب في ل : ريب .
3 النقس : المداد .
4 ردع العبير : أثره . والخلس : النظر خلسة .
5 بقية الله : طاعته وانتظار ثوابه .
6 قتل صالح بن عبد القدوس على يد المهديّ سنة 167هـ ، فيبدو أن الأمر اختلط على أبي الفرج .

[شعره في يعقوب بن داود وابن علاثة]

أخبرني محمد بن خلف وكيع، قال: حدّثني أحمد بن زهير بن حرب، قال: كان عافيةُ بن يزيد يصحب ابنَ عُلاثة[1]، فأدخله على المهديّ، فاستقضاه معه بعسكر المهديّ وكانت قصة يعقوب مع أبي عبيد الله[2] كذلك، أدخله إلى المهديّ ليعرض عليه، فغلب عليه، فقال علي بن الخليل في ذلك: [من مجزوء الكامل]

عجباً لتصريف الأمو ر مسرّةً وكراهيَهْ
رَثَّتْ ليعقوبَ بن دا ودِ حبالُ معاويَهْ
وعدت على ابن عُلاثة الـ ـقاضي بوائقُ عافيَهْ
أدخلتَه فَعلا عليـ ـك كذاك شؤمُ الناصيَهْ
وأخذتَ حتفكَ جاهداً بيمينك المتراخيَهْ
يعقوب ينظر في الأمو ر وأنت تنظرُ ناحيَهْ

[محمد بن الجهم ينشد المأمون أبياتاً فيُوَلّيه]

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن عمرو بن فراس الذُّهْليّ عن أبيه قال: قال لي محمد بن الجَهْم البرمكيّ: قال لي المأمون يوماً: يا محمد، أنشدني بيتاً من المديح جيّداً فاخراً عربيّاً لمحدَث حتى أولّيَكَ كُورةً تختارها. قال قلت: قول علي بن الخليل: [من الكامل]

فمع السماء فروعُ نَبْعتهم ومع الحضيض مَنابِتُ الغَرْسِ
متهلّلين على أسِرَّتهم ولدى الهِياج مَصاعب شُمْسِ[3]

فقال: أحسنت، وقد ولّيتك الدِّينَوَر، فأنشِدني بيت هجاء على هذه الصفة حتى أولّيك كورةً أخرى، فقلت: قول الذي يقول: [من الكامل]

قَبُحتْ مناظِرُهم فحين خَبَرتهم حسُنت مناظرُهم لقُبح المَخبَرِ[4]

---

1 عافية بن يزيد الأودي ومحمد بن عبد الله بن علاثة الكلابيّ استقضاهما المهديّ سنة 161هـ، فكانا يقضيان في عسكره.

2 يعقوب بن داود: وزير المهديّ بعد أن عزل أبا عبيد الله معاوية بن يسار، ومن بعد ما عزل المهديّ يعقوب ونكبه.

3 المصعب: الفحل الذي لم يمسسه حبل ولم يركب.

4 هذا البيت والذي يليه لمسلم بن الوليد.

فقال : قد أحسنت ، قد ولّيتك هَمَذان[1] ، فأنشِدني مَرثيةً على هذا حتى أزيدك كورة أُخرى ، فقلت : قول الذي يقول : [من الطويل]

أَرادوا ليُخفوا قبرَه عن عدوِّه فطِيبُ تراب القبر دلّ على القبرِ

فقال : قد أحسنت ، قد ولّيتك نَهاوَنْد ، فأنشِدني بيتاً من الغزل على هذا الشرط حتى أولّيك كورة أُخرى ، فقلت : قول الذي يقول : [من الطويل]

تعالَيْ نجدِّد دارس العِلم بيننا كلانا على طـول البعاد مَلُومُ

فقال : قد أحسنت ، قد جعلت الخيار إليك فاختر ، فاخترت السُّوس من كُوَر الأهواز ، فولاّني ذلك أجمع ، ووجّهت إلى السوس بعض أهلي .

أَخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن يزيد ، عن التَّوَّزيّ قال : نزل أَبو دُلامة بدِهقان يُكنى َأبا بِشْر ، فسقاه شراباً أعجبه ، فقال في ذلك : [من الطويل]

سقاني أبو بشر من الراح شَربةً لهـا لـذَّةٌ مـا ذُقتها لشرابِ

ومـا طبخوها غير أنّ غلامهمْ سعى في نواحي كرمها بشِهابِ

قال : فأنشد علي بن الخليل هذين البيتين فقال : أحرقه العبد أحرقه الله .

[تهنئته بمولود]

أَخبرني الحسن بن عليّ ، وعمِّي الحسن بن محمد ، قالا : حدَّثنا ابن مهرويه قال : حدَّثني محمد بن عمران الضَّبِّيّ عن عليّ بن يزيد قال ، ولد ليزيد بن مَزْيَد ابنٌ ، فأتاه عليّ بن الخليل فقال : اسمع أيّها الأمير تهنئةً بالفارس الوارد ، فتبسّم وقال : هاتِ ، فأنشده : [من السريع]

يزيدُ يـا ابن الصِّيد من وائلٍ أهـلِ الرياسات وأَهـلِ المعالْ

يـا خير مـن أنجبَـه والد لِيَهنِـك الفارسُ ليـث النزالْ

جاءت بـه غَـرّاءُ ميمونـة والسعد يبدو في طلوع الهلالْ[2]

عليه مـن مَعْنٍ ومـن وائلٍ سِيما تباشيرٍ وسيمـا جَلالْ

والله يُبقيـه لنـا سيِّـداً مدافِعـاً عنّـا صُروفَ الليـالْ

حتـى نـراه قـد عـلا مِنبراً وفـاض في سؤَّالـه بالنوالْ

وسَدَّ ثَغْـراً فكفـى شرّه وقـارَعَ الأبطالَ تحـت العَوالْ

---

1 ل : نهاوند .

2 ل : قد أوفى طلوع .

كما كفانا ذاك آباؤه فيحتذي أفعالَهم عن مِثالْ

فأمر له عن كل بيت بألف دينار[1] .

[توبته عن شرب الخمر]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدّثني ابن مهرويه قال : حدّثني ابن الأعرابيّ المنجِّم الشيبانيّ ، عن عليّ بن عمرو الأنصاريّ ، قال : دخل علي بن الخليل على المهديّ فقال له : يا عليّ ، أنت على معاقرتك الخمر وشربك لها ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : تبت منها . قال : فأين قولك ؟ : [من المديد]

أُولِعتْ نفسي بلذّتها ما ترى عن ذاك إقصارا

وأين قولك ؟ : [من الوافر]

إذا ما كنتَ شارِبَها فسِرّاً ودع قولَ العواذل واللّواحِي[2]

قال : هذا شيء قلتُه في شبابي ، وأنا القائل بعد ذلك : [من الوافر]

على اللذات والراحِ السلامُ تقضَّى العهدُ وانقطع الذِّمامُ
مضى عهد الصِّبا وخرجتُ منه كما مِن غِمده خرج الحسامُ
وقُرتُ على المَشيبِ فليس منّي وصالُ الغانيات ولا المُدامُ
ووَلّى اللهوُ والقَيْناتُ عنّي كما ولّى عن الصبح الظلامُ
حلبْتُ الدهرَ أَشطُرَه فعندي لصَرف الدهرِ محمودٌ وذامُ[3]

[عند معن بن زائدة]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ، قال : حدّثني محمد بن الحسن بن الحَرون ، عن عليّ بن عبيدة الشيبانيّ ، دخل عليّ بن الخليل ذاتَ يوم إلى معن بن زائدة فحادَثه وناشَده ، ثم قال له معن : هل لك في الطعام ؟ قال : إذا نشِط الأمير ، فأُتِيا بالطعام ، فأكلا ، ثم قال : هل لك في الشراب ؟ قال : إن سقيتَني ما أريد شربتُ ، وإن سَقَيتني من شرابك فلا حاجة لي فيه ، فضحِك ثم قال : قد عرفت الذي تريد ، وأنا أسقيك منه ثم أمر فأُتِي بشراب عتيق ، فلمّا شرب منه وطابت نفسُه أنشأ يقول : [من الكامل]

---

1 ل : درهم .

2 اللواحي : جمع لاحية ، وهي اللائمة .

3 المثل «حلب الدهر أشطره» في مجمع الميداني 1 : 195 ومستقصى الزمخشري 2 : 640 وجمهرة العسكري 1 : 346 ، ومعناه أنّه اختبر حالات الدهر : خيره وشرّه . الذام : الذم .

يا صاحِ قد أنعمتَ إصباحِي ... ببارد السِّلسال والراحِ
قد دارت الكأسُ برَقْراقَةٍ ... حياةِ أبدانٍ وأرواحِ
تجري على أغيَدَ ذي رَونقٍ ... مهذَّب الأخلاقِ جَحْجاحِ[1]
ليس بفحّاش على صاحب ... ولا على الرّاح بفَضّاحِ
تسرّه الكأسُ إذا أقبلت ... بريح أُترُجٍّ وتُفّاحِ
يَسعى بها أزهَرُ في قُرْطَق ... مقلَّد الجِيد بأُوضاحِ[2]
كأنّها الزّهرة في كفّه ... أو شُعلة من ضوء مصباحِ

[هجاء الدهقان الدعي]

حدَّثنا عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن يزيد قال : كان لعليّ بن الخليل الكوفيّ صديق من الدَّهاقين يعاشره ويبَرّه ، فغاب عنه غيبة طويلة وعاد إلى الكوفة وقد أصاب مالاً ورفعة ، وقويتْ حالُه ، فادعى أنّه من بني تميم ، فجاءه عليّ بن الخليل فلم يأذَن له ، ولقيه فلم يسلّم عليه ، فقال يهجوه : [من الهزج]

يَروُح بِنِسبة المَوْلى ... ويصبح يَدَّعي العَرَبا
فلا هذا ولا هذا ... ك يدركُه إذا طَلَبا
أتيناه بشَبُّوطٍ ... ترى في ظهره حَدَبا[3]
فقال : أمَا لبخلك من ... طعامٍ يُذهِب السَّغَبا[4]
فصد لأخيك يَرْبوعاً ... وضَبّاً واترك اللعبا
فَرشتُ له قَريح المسـ ... ـك والنِّسرينَ والغَرَبا[5]
فأمسَكَ أنفَه عنها ... وقام مولِّياً هَربا
يشمُّ الشِّيحَ والقَيْصو ... مَ كي يستوجبَ النسبا
وقام إليه ساقينا ... بكأسٍ تَنظِم الحبَبا
معتَّقةٍ مروَّقةٍ ... تسلِّي همَّ مَن شَرِبا

---

1 الجحجاح : السيد .
2 القرطق : لباس يشبه القباء . والأوضاح : حلي من الفضة .
3 الشبوط : ضرب من السمك .
4 السغب : الجوع .
5 قريح المسك : خالصه . والنسرين : زهر . والغرب : نوع من الشجر .

فــآلى لا يُسَلْسلهــا وقال اصبُبْ لنـا حَلَبا[1]
وقــد أبصرتُه دهــراً طويـلاً يشتهــي الأدبا
فصار تشبُّهــاً بالقــو م جِلفــاً جافِيـاً جَشِبا[2]
إذا ذُكِـر البَرِيــرُ بكى وأبـدى الشوقَ والطَّربا[3]
وليس ضميرُه في القـو م إلاّ التِّــينَ والعنبا
جحدتَ أبــاك نسبتَه وأرجــو أن تفيــد أبا
أراك رغبت عــن كسرى ومــا عــن مثلهــم رُغبا

قال عليّ بن سليمان : وأنشدني محمد بن يزيد وأحمد بن يحيى جميعاً لعليّ بن الخليل في هذا الذكر ، وذكر ثعلب أنّ إسحاق بن إبراهيم أنشد هذه الأبيات لعليّ ، قال : [من السريع]

يـا أيّها الرّاغب عن أصله مـا كنتَ في موضعِ تهجينِ[4]
متـى تعرَّبـتَ وكنـت امرءاً مـن المـوالي صالحَ الدِّينِ
لـو كنتَ إذ صرتَ إلى دِعوة فزتَ مــن القـوم بتمكينِ[5]
لكَفَّ من وجدي ، ولكنّني أراك بــين الضَّبِّ والنُّـونِ
فلــو تــراه صارفــاً أنفَـه مــن ريح خِيريٍّ ونسرينِ[6]
لقلتَ : جِلفٌ من بنـي دارمٍ حَــنَّ إلى الشِّـحِ بِيَبْرِينِ
دُعْموصُ رمل زَلَّ عن صخرةٍ يعــاف أرواحَ البساتــينِ[7]
تنبـو عــن الفاقــم أعطافُـه والخَــزِّ والسِّنجابِ واللِّينِ[8]

[النظر الجميل والنظر الملح]

أخبرني جحظة ومحمد بن مزيد جميعاً ، قالا : حدّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه قال :

---

1 الحلب : اللبن المحلوب .
2 الجشب : الخشن الغليظ .
3 البرير : ثمر الأراك .
4 تهجين : تقبيح .
5 دِعوة : ادّعاء النسب .
6 الخيري : المنثور الأصفر .
7 دعموص : دويبة صغيرة .
8 السنجاب : فرو السنجاب .

كان عليّ بن الخليل جالساً مع بعض ولد المنصور ، وكان الفتى يهوى جارية لعُتبة مَولاة المهديّ ، فمرّت به عُتبة في موكِبها والجارية معها ، فوقفتْ عليه وسلّمتْ ، وسألت عن خبره ، فلم يوفِّها حقَّ الجواب ، لشغل قلبه بالجارية ، فلمّا انصرفتْ أقبل عليه عليّ بن الخليل ، فقال له : [من مجزوء الكامل]

راقِب بطَرْفك مَن تخا ف إذا نظرت إلى الخليلِ

فـإذا أمِنـتَ لِحاظَهمْ فعليـك بالنظـر الجميلِ

إنّ العيـون تـدُلّ بالـ ـنظر الملـحِّ على الدَّخيلِ

إمّـا عـلى حـبٍّ شديـ ـدٍ أو على بُغضٍ أصيلِ

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل تِينة قال : كان عليّ بن الخليل يَصحَب بعض ولد جعفر بن المنصور ، فكتب إليه والبةُ بنُ الحُباب يدعوه ، ويسأله ألاّ يشتغل بالهاشميّ يومَه ذلك عنه ، ويصف له طِيبَ مجلسه وغناءِ حصّله وغلاماً دعاه ، فكتب إليه عليّ بن الخليل : [من مجزوء الوافر]

أمـا ولحـاظِ جاريـة تُذيـب حُشاشة المُهَـجِ

وسحر جفونهـا المُضْنِيـ ـك بين الفَقْر والدَّعَجِ[1]

مليحـةُ كلِّ شيء مـا خلا مـن خُلْقها السَّمِجِ

وحُرْمـةِ دَنِّـك المبزو لِ والصهباءِ منـه تَجي[2]

كأنّ مجيئهـا في الكأ س حين تُصَبُّ من وَدَجِ[3]

لـو انعـرج الأنـام إلى بشاشة مجلسٍ بَهِـجِ

وكنـت بجانب جـدْبٍ لكان إليـك مُنعَرجي

وصار إليه في إثر الرقعة .

1 الدعج : سواد العين مع سعتها .

2 المبزول : المثقوب .

3 الودج : وريد في العنق .

[267] ـ أخبار محمد الزَّفّ

[نسبه وبعض صنعاته]

هو محمد بن عمرو مولى بني تميم ، كوفيّ الأصل والمولد والمنشأ ؛ والزّف : لقب غلب عليه ، وكان مغنّياً ضارباً طيّب المسموع ، صالح[1] الصنعة ، مليح النادرة ، أسرع خلق الله أخذاً للغناء ، وأصحّهم أداء له ، وأذكاهم ، إذا سمع الصوت مرّتين أو ثلاثاً أدّاه لا يكون بينه وبين مَن أخذه عنه فرق ، وكان يتعصّب على ابن جامع ، ويميل إلى إبراهيم الموصليّ وابنه إسحاق ، فكانا يرفعان منه يقدّمانه ويجتلبان له الرفد والصلات من الخلفاء ، وكانت فيه عربدة إذا سكر ، فعربد بحضرة الرشيد مرّة فأمر بإخراجه ، ومنعه من الوصول إليه ، وجفاه وتناساه ، وأحسبه مات في خلافته أو في خلافة الأمين .

أخبرني بذلك ذكاء وجه الرزة عن محمد بن أحمد بن يحيى المكّي المرتجِل .

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : غنّى ابن جامع يوماً بحضرة الرشيد : [من الطويل]

صوت

جَسورٌ على هجري ، جبانٌ عن الوصل ... كَذوب غـدا يستتبع الوعد بالمطلِ
مقـدِّمٌ رِجـل في الوصال مؤخِّـر ... لأخرى ، يشوب الجِدّ في ذاك بالهزلِ
يهمّ بنـا حتـى إذا قلتُ قـد دنـا ... وجاد ثَنـى عِطفاً ومـال إلى البخلِ
يزيد امتناعـاً كلّما زِدتُ صبـوةً ... وأزداد حرصـاً كلّمـا ضنّ بالبذلِ

فأحسن فيه ما شاء وأجمل ، فغمزت عليه محمداً الزَّفّ ، وفطن لما أردت ، واستحسنه الرشيد ، وشرب عليه ، واستعاده مرّتين أو ثلاثاً ، ثم قمت للصلاة وغمزت الزفّ وجاءني ، وأومأت إلى مخارِق وعلّويَه وعقيد فجاءوني ، فأمرته بإعادة الصوت ، فأعاده وأدّاه كأنّه لم يزل يرويه ، فلم يزل يكرّره على الجماعة حتى غنّوه ودار لهم ، ثم عدت إلى المجلس ، فلمّا انتهى الدَّور إليّ بدأت فغنّيته قبل كلّ شيء غنّيته ، فنظر إليّ ابن جامع محدِّداً نظره ، وأقبل عليّ

1 صالح في ل : صحيح .

الرشيد فقال : أكنت تروي هذا الصوت ؟ فقلت : نعم يا سيدي . فقال ابن جامع : كذب والله ، ما أخذه إلاّ منّي الساعة . فقلت : هذا صوت أرويه قديماً ، وما فيمن حضر أحد إلاّ وقد أخذه منّي ، وأقبلت عليه ، فغنّاه علّويَه ثم عقيد ثم مخارق ، فوثب ابن جامع فجلس بين يديه وحلف بحياته وبطلاق امرأته أنه لحن صنعه منذ ثلاث ليال ، ما سُمع منه قبل ذلك الوقت ، فأقبل عليّ فقال : بحياتي اصدقني عن القصة ، فصدَقتُه ، فجعل يضحك ويصفّق ويقول : لكلّ شيء آفة ، وآفة ابن جامعٍ الزَّفّ .

لحن هذا الصوت خفيف ثقيل أوّل بالبنصر ، والصنعة لابن جامع من رواية الهشاميّ وغيره .

[قوة حفظه وبراعته]

قال أبو الفرج : وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مزيد ، عن حماد عن أبيه بخلاف هذه الرواية ، فقال فيه : كان محمد الزَّفّ أروى خلق الله للغناء ، وأسرعَهم أخذاً لما سمعته منه ، ليست عليه في ذلك كلفة ، وإنّما يسمع الصوت مرّة واحدة وقد أخذه ، وكنّا معه في بلاء إذا حضر ، فكان من غنّى منّا صوتاً فسأله عدوٌّ له أو صديق أن يلقيه عليه ، فبخل ومنعه إيّاه ، سأل محمداً الزَّفَّ أن يأخذه ، فما هو إلاّ أن يسمعه مرّة واحدة حتى قد أخذه وألقاه على من سأله ، فكان أبي يَبرّه ويصله ويُجديه[1] من كل جائزة وفائدة تصل إليه ، فكان جانبنا عنده حِمى مصونا لا يقربه ، ولم يكن طيّب المسموع ، ولكنّه كان أطيب الناس نادرةً ، وأملَحهم مجلساً ، وكان مغرى بابن جامع خاصة من بين المغنّين لبخله ، فكان لا يفتح ابن جامع فاه بصوت إلاّ وضع عينه عليه ، وأصغى سمعَه إليه ، حتى يحكيه ، وكان في ابن جامع بخل شديد لا يقدر معه على أن يسعفه ببرّ ورِفد ، فغنّى يوماً بحضرة الرشيد : [من الخفيف]

صوت

أرسلت تُقرىء السَّلامَ الرَّبابُ	في كتابٍ وقد أتانا الكتابُ
فيـه : لـو زُرتَنا لزرناك ليـلاً	بمِنًـى حيث تستقلّ الركابُ
فأجبتُ الرَّباب : قد زرت لكن	ليَ منكم دون الحجاب حجابُ
إنّمـا دهرك العتاب وذمّي	ليس يُبقـي على المحبّ عتابُ

ولحنه من الثقيل الأوّل : فأحسن فيه ما شاء ، ونظرتُ إلى الزَّفّ فغمزتُه وقمت إلى الخلاء ، فإذا هو قد جاءني ، فقلت له : أي شيء عملت ؟ فقال : قد فرغت لك منه ، قلت : هاته ، فردّه

1 يجديه : يعطيه .

عليّ ثلاثَ مرّات ، وأخذتُه وعدت إلى مجلسي ، وغمزت عليه عقيداً ومخارقاً ، فقاما ، وتَبِعَهما فألقاه عليهما ، وابن جامع لا يعرف الخبر ، فلمّا عاد إلى المجلس أومأت إليهما أسألهما عنه ، فعرّفاني أنّهما قد أخذاه ، فلمّا بلغ الدَّور إليّ كان الصوت أوّل شيء غنّيته ، فحدّد الرشيد نظره إليّ ، ومات ابن جامع وسُقِط في يده ، فقال لي الرشيد : من أين لك هذا ؟ قلت : أنا أرويه قديماً ، وقد أخذه عنّي مخارق وعقيد ، فقال : غنّياه . فغنّياه ، فوثب ابن جامع فجلس بين يديه ثم حلف بالطلاق ثلاثاً بأنه صنعه في ليلته الماضية ، ما سبق إليه ابن جامع أحد ، فنظر الرشيد إليّ ، فغمزْته بعيني أنّه صدق ، وجدّ الرشيد في العبث به بقيّة يومه ، ثم سألني بعد ذلك عن الخبر ، فصدّقته عنه وعن الزّفّ ، فجعل يضحك ويقول : لكلّ شيء آفة ، وآفة ابن جامع الزّفّ ، قال حمّاد ، وللزّفّ صنعة يسيرة جيّدة منها في الرمل الثاني : [من الكامل]

صوت

لَمن الظعائن سيرُهنّ تزحُّفُ ... عَوْمَ السَّفِين إذا تقاعس مجذَفُ
مرّت بذي حُسُمٍ كأنّ حُمولَها ... نخل بيثربَ طلعها مُضَعَّفُ
فلئن أصابتْني الحروب لربّما ... أُدعى إذا مُنع الرِّدافُ فأردفُ
فأثير غاراتٍ وأشهد مَشْهَداً ... قلبُ الجبان به يَطيش فَيرجُفُ

قال : ومن مشهور صنعته في هذه الطريقة : [من الطويل]

صوت

إذا شئت غنّتني بأجراع بيشةٍ ... أو النخل من تَثْليثَ أو من يَلَمْلَما
مطوّقةٌ طَوْقاً وليس بحلْيةٍ ... ولا ضربَ صوّاغٍ بكفّيه دِرهما
تُبكّي على فرخٍ لها ثم تَغتدِي ... مدلَّهةً تَبغي له الدهرَ مَطعَما
تؤمل منه مؤنساً لانفرادها ... وتبكي عليه إن زَقا أو ترنَّما[1]

ومن صنعته في هذه الطريقة : [من مخلع البسيط]

صوت

يا زائرَيْنا من الخيامِ ... حيّاكما الله بالسلامِ
يَحزُنني أن أطعتُماني ... ولَم تَنالا سوى الكلامِ

---

1 زقا : صاح .

بُورِك هــارونُ من إمامٍ بطاعة الله ذي اعتصامِ
له إلى ذي الجلال قُربى ليست لعـدل ولا إمامِ

وله في هذه الطريقة : [من البسيط]

صوت

بان الحبيبُ فلاحَ الشَّيبُ في رأسي وبتُّ منفرداً وحـدي بِوَسْواسِ
ماذا لقيتُ فدتــكِ النفسُ بعدَكم مــن التبــرّم بالدُّنيـــا وبالناسِ
لو كان شيء يسلي النفسَ عن شَجَن سلّت فؤاديَ عنكم لذّةُ الكاسِ

[شعر لأبي الشبل البرجميّ]

صوت

[من مجزوء الرمل]

بأبي رِيــمٌ رَمــى قلـ ـبـي بألحــاظٍ مِراضِ
وحَمَى عينِـيَ أن تلـ ـتذَّ طِيبَ الإغتماضِ
كلَّما رُمْــت انبساطا كــفَّ بَسْطي بانقباضِ
أو تعــالى أمــلي فيـ ـه رَمَــاهُ بانخفاضِ
فمتى ينتصفُ المظلـ ـلُوم والظالمُ قاضي

الشعر لأبي الشِّبْل البُرْجُميّ ، والغناء لعَثعث الأسودَ ، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ، وفيه لكثير رمل ؛ ولِبُنان خفيف رمل .

[268] ـ أخبار أبي الشِّبل ونسبه[1]

[نسبه]

أبو الشبل اسمه عاصم بن وهب من البراجم ، مولده الكوفة ، ونشأ وتأدّب بالبصرة .

[مجونه واتصاله بالمتوكّل]

أخبرني بذلك الحسن بن عليّ ، عن ابن مَهْرُوَيْه ، عن عليّ بن الحسين الأعرابيّ .

وقدِم إلى سُرَّ مَن رأى في أيّام المتوكّل ومدحه ، وكان طبّاً نادراً ، كثير الغزل ماجناً ، فنفَق عند المتوكّل بإيثاره العَبَث ، وخدمه ، وخُصَّ به ، فأثرى وأفاد ، فذكر لي عمِّي عن محمد بن المرزُبان بن الفيرزان عن أبيه أنّه لمّا مدحه بقوله : [من مجزوء الرمل]

أقبِلي فالخيرُ مقبلْ ... واتركي قولَ المعلِّلْ
وثِقي بالنُّجح إذ أبـ ... ـصرت وجه المتوكِّلْ
ملِكٌ يُنصِف يا ظا ... لمتي فيكِ ويَعْدلْ
فهُو الغايةُ والمأ ... مول يرجوه المؤمِّلْ

أمر له بألف درهم لكلّ بيت ، وكانت ثلاثين بيتاً ، فانصرف بثلاثين ألفَ درهم .

[الغناء في هذه الأبيات لأحمد المكّي رمل بالبنصر]

أخبرني يحيى بن علي ، عن أبي أيّوب المديني ، عن أحمد بن المكّي قال : غنّيتُ المتوكّل صوتاً شعرُه لأبي الشبل البُرْجُميّ وهو : [من مجزوء الرمل]

أقبلي فالخير مقبلْ ... ودعي قول المعلِّلْ

فأمر لي بعشرين ألف درهم ، فقلت : يا سيّدي أسأل الله أن يبلّغك الهُنَيدة ، فسأل عنها الفتح فقال : يعني مائة سنة ، فأمر لي بعشرة آلاف أُخرى .

وحدَّثَنيه الحسن بن علي عن هارون بن محمد الزيات ، عن أحمد بن المكّي مثله .

[دعوة سكّر]

حدَّثني الحسن بن علي قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبو الشّبل عاصم بن وهب

---

1 ترجمة أبي الشبل في طبقات ابن المعتزّ : 379–380 ، ومعجم المرزباني ، واسمه فيه عُصْم بن وهب وسيرد هكذا في أبيات أحمد بن أبي النجم .

الشاعر ، وهو القائل :

أَقبِــلي فالخير مقبلْ ودعِي قــولَ المعلِّلْ

قال : كانت لي جارية اسمها سُكّر ، فدخلتُ يوماً منزلي ولبستُ ثيابي لأمضي إلى دعوة دُعيتُ إليها ، فقالت : أَقِم اليومَ في دعوتي أَنا ، فأقمتُ وقلت : [من مجزوء الرمل]

أنــا في دعــوةِ سُكَّرْ والهــوى ليس بمنكَرْ

كيف صبري عن غزالٍ وجهُــه دلــو مُقَيَّرْ

فلمّا سَمِعَت الأوّل ضحكتْ وسُرّت ، فلمّا أنشدتُها البيتَ الثانيَ قامت إليّ تضربني وتقول لي : هذا البيت الأَخير الذي فيه «دلوٌ» لِمالِكٍ ، لولا الفضول ؛ فما زالت ، يعلم الله ، تضربني حتى غُشي عليّ .

[يمدح ويذم مالك بن طوق]

وذكر ابن المعتزّ أنّ أبا الأَغرّ الأَسَدِيّ حدَّثه قال : مدح أَبو الشبل مالكَ بن طَوْق بمدح عجيب ، وقدَّرَ منه أَلفَ درهم ، فبعث إليه صُرَّةً مختومة فيها مائة دينار ، فظنَّها دراهم ، فردّها وكتب معها قوله في رقعة : [من الطويل]

فليت الذي جادت به كفُّ مالكٍ ومالك مَدسوسان في اسْت أمِّ مالِكِ

فكان إلى يـوم القيامـة في استها فأيسَرُ مفقــودٍ وأيسَرُ هـــالكِ

وكان مالك يومئذٍ أميراً على الأَهواز ، فلمّا قرأ الرقعة أمر بإحضاره ، فأُحضر ، فقال له : يا هذا ظلمتَنا واعتديتَ علينا ، فقال : قد قدَّرتُ عندَك أَلفَ درهم فوصلَتني بمائة درهم ، فقال : افتحها ، ففتحتُها فإذا فيها مائة دينار ، فقال : أَقلْني أيّها الأمير . قال : قد أَقلتُك ، ولك عندي كلّ ما تحبّ أبداً ما بقيتُ وقصدتني .

[الطبيب الأحمق]

حدَّثنا الحسن بن علي قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : قال لي أبو الشبل البُرْجُمِيّ : كان في جيراني طبيب أحمقُ ، فمات فرثيتُه فقلت : [من الخفيف]

قـد بكــاه بَولُ المريض بدمعٍ واكِفٍ فـوق مُقلتيـه ذَرُوفِ

ثـم شقَّت جيوبَهـن القواريـ ـرُ عليه ونُحْنَ نَوحَ اللَّهيفِ[1]

يا كسادَ الخِيـار شَنْبَرَ والأَقـ ـراصِ طرّاً ويا كسادَ السَّفوفِ

1 اللهيف : الملهوف .

كنتَ تمشي مع القويّ فإن جا ء ضعيفٌ لم تكترثْ بالضّعيفِ

لهفَ نفسي على صُنوفِ رَقاعا تِ تولّت منه وعقلٍ سخيفِ

[عبثه بخالد بن يزيد]

حدَّثنا الحسن قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا أبو الشبل قال : إن خالد بن يزيد بن هُبَيرة كان جاراً لنجاح وكان يشرب النبيذ ، فكان يغشانا ، وكانت له جارية صفراء مغنّية يقال لها لَهَب ، تغشانا معه ، فكنت أعبث بهما كثيراً ويشتُماني ، فقام مولاها يوماً إلى الخابية يَستقي نبيذاً ، فإذا قميصه قد انشقّ ، فقلت فيه : [من البسيط]

قالت له لهبٌ يوماً وجادَلَها بالشعر في باب فَعْلانٍ ومفعولِ

أمّا القميص فقد أودى الزمان به فليت شعري ما حال السراويلِ ؟

فبلغ الشعرُ أبا الجَهْم أحمد بن يوسف فقال : [من البسيط]

حالُ السراويل حالٌ غيرُ صالحة تَحكى طرائقُه نَسجَ الغرابيلِ

وتحته حفرة قَوْراء واسعة تسيل فيها مَيازيبُ الأحاليلِ

قال أبو الشبل : وكانت أمّ خالد هذا ضرّاطة ، تضرط على صوت العيدان وغيرها في الإيقاع ، فقلت فيه : [من المنسرح]

في الحيِّ مَن لا عدِمتُ خُلَّتَه فتًى إذا ما قطعتُه وَصَلا

له عجوز بالحَبْق أبصرُ مَنْ أبصرتَه ضارباً ومرتجلا[1]

نادمتُها مرّةً وكنت فتًى ما زلتُ أهوى وأشتهي الغزَلا

حتى إذا ما أمالَها سَكَرٌ يَبْعث في قلبها لها مَثَلا

اتّكأتْ يَسرةً وقد حَرَقتْ أشراجَها كي تقوِّم الرَّملا

فلَمْ تزلْ باستها تُطارِحني اسمَعْ إلى مَن يَسومُني العِللا

[المازنيّ يذم شعره]

حدَّثني الحسن قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبو الشبل قال : لما عَرَض لي الشعرُ أتيتُ جاراً لي نحوياً ، وأنا يومئذٍ حديث السنّ ، أظنّه قال إنّه المازنيّ ، فقلت له : إن رجلاً لم يكن من أهل الشعر ولا من أهل الرواية قد جاشَ صدرُه بشيء من الشعر ، فكره أن يُظهِرَه حتى تسمعَه . قال : هاتِه ، وكنتُ قد قلت شعراً ليس بجيّد ، إنّما هو قول مبتدىء ، فأنشدته

---

1 الحبق : الضراط .

إيّاه ، فقال : مَن العاضُّ بَظْرَ أُمِّه القائلُ لهذا ؟ فقمت خجلاً ، فقلت لأبي الشبل : فأي شيء قلت له أنت ؟ قال : قلت في نفسي : أعضَّك الله بَظْر أُمِّك ونهضت .

[بعض نوادره]

أخبرني عمِّي عن محمد بن المَرزُبان بن الفيرزان قال : كنت أرى أبا الشبل كثيراً عند أبي ، وكان إذا حضر أضحك الثَّكلى بنوادره ، فقال له أبي يوماً : حدِّثنا ببعضِ نوادِرك وطرائِفِك ؛ قال : نعم ، من طرائف أموري أنّ ابني زَنى بجارية سِنْدية لبعض جيراني ، فحبِلتْ وولدتْ ، وكانت قيمةُ الجارية عشرين ديناراً ، فقال : يا أبتِ ، الصبيُّ واللهِ ابني ، فساومتُ به ، فقيل لي : خمسون ديناراً ، فقلت له : ويلَك ! كنت تخبرني الخبر وهي حُبلى فأشتريها بعشرين ديناراً ، ونربح الفضل بين الثَّمَنَين ، وأمسكتُ عن المساومة بالصبيّ حتى اشتريتُه من القوم بما أرادوا . ثم أحبلها ثانياً فولدتْ له ابناً آخر ، فجاءني يسألني أن أبتاعه ، فقلت له : عليك لعنة الله ، أيش يحملك على أن تُحبِل هذه ؟ فقال : يا أبتِ لا أستحبّ العَزْل ، وأقبل على جماعة عندي يعجِّبهم منِّي ، ويقول : شيخ كبير يأمرني بالعَزْل ويستحلّه ! فقلت له : يا ابن الزانية ، تستحلّ الزّنا وتتحرّج من العَزْل ! فضحكنا منه .

[مع خمار يهودي]

وقلت له : وأيّ شيء أيضاً ؟ قال : دخلت أنا ومحمود الورّاق إلى حانة يهوديّ خمّار ، فأخرج إلينا منها شيئاً عجيباً ، فظننّاه خمراً بنتَ عشر ، قد أنضَجَها الهَجير ، فأخرج إلينا منها شيئاً عجيباً وشربنا ، فقلت له : اشرب معنا ، قال : لا أستحلّ شُربَ الخمر ، فقال لي محمود : وَيْحك ! رأيت أعجب ممّا نحن فيه . يهوديّ يتحرّج من شرب الخمر ، ونشربها ونحن مسلمون ! فقلت له : أجَلْ ، والله لا نُفلِح أبداً ، ولا يَعبأ الله بنا ، ثم شربْنا حتى سَكِرنا ، وقمنا في الليل فنكنا بنتَه وامرأتَه وأختَه ، وسرقْنا ثيابَه ، وخَرِينا في نقِيرات نبيذٍ له وانصرفْنا .

[هجاء هبة الله بن إبراهيم]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال : أخبرنا عون بن محمد الكِنْدِيّ ، قال : وقعتْ لأبي الشبل البُرْجُميّ إلى هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ حاجة فلم يَقْضِها فهجاه ، فقال : [من الرمل]

صَلَـفٌ تندقُّ منـه الرقبهْ ومَساوٍ لم تُطِقْهـا الكَتَبَهْ
كلَّما بادَرَه بـدرٌ بمـا يشتهيه منه نادى يـا أَبَهْ
ليتـه كان التوى الفَرْجُ به لم يزد في هاشمٍ هذي هِبَهْ

يعني غلاماً لهبة الله كان يسمّى بدراً ، وكان غالباً على أمره .

حدَّثني الصُّوليّ قال : حدَّثني القاسم بن إسماعيل قال : قال رأى أبو الشبل إبراهيمَ بن

العبّاس يكتب ، فأنشأ يقول : [من البسيط]

ينظِّـم اللؤلـؤَ المنثـورَ مَنطقُه … وينظِم الدرَّ بالأقلام في الكُتُبِ

[عبيد الله بن يحيى بن خاقان]

حدَّثنا الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبو الشبل البرجميّ قال : حضرتُ مجلسَ عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، وكان إليّ محسناً ، وعليّ مُفضِلاً ، فجرى ذكرُ البرامكة ، فوصفَهم الناس بالجود ، وقالوا في كرمهم وجوائزهم وصلاتهم فأكثَروا ، فقمتُ في وسط المجلس ، فقلت لعبيد الله : أيّها الوزير ، إنّي قد حكمتُ في هذا الخطب حكماً نظمته في بيتَيْ شعر لا يقدر أحد أن يردّه عليّ ، وإنّما جعلته شعراً ليدور ويَبقى ، فيأذن الوزير في إنشادهما قال : قل ، فرُبَّ صوابٍ قد قلتَه ، فقلت : [من الطويل]

رأيـتُ عبيدَ الله أفضـلَ سُؤدَداً … وأكرمَ مِن فضلٍ ويحيى بنِ خالدِ

أولئـك جادوا والزّمـانُ مُساعِدٌ … وقد جـاد ذا والدَّهرُ غيرُ مُساعدِ

فتهلّل وجهُ عبيد الله وظَهر السرور فيه ، وقال : أفرطـتَ أبـا الشِّبْل ، ولا كلّ هذا ، فقلت : والله ما حابيْتُك أيّها الوزير ، ولا قلت إلاّ حقّاً ، واتبعني القوم في وصفه وتقريظه ، فما خرجت من مجلسه إلاّ وعليّ الخِلَع ، وتحتي دابّة بسَرْجِه ولجامه ، وبين يديّ خمسةُ آلافِ درهم .

[الجاريتان الشاعرتان]

حدَّثني الحسن قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني علي بن الحسن الشيبانيّ قال : حدَّثني أبو الشِّبْل الشاعر قال : كنت أختلف إلى جاريتين من جواري النخّاسين كانتا تقولان الشعر ، فأتيت إحداهما فتحدّثتُ إليها ، ثم أنشدتُها بيتاً لأبي المستهلّ شاعر منصور بن المهديّ في المعتصم : [من المتقارب]

أقام الإمـامُ مَنـارَ الهُدى … وأخرَسَ ناقـوسَ عَمُّورِيَهْ

ثم قلت لها : أجيزي ؛ فقالت : [من المتقارب]

كساني المليـكُ جلابيبَه … ثيـابٌ عَلاهـا بسَمُّورِيَهْ

ثم دَعَتْ بطعام فأكلْنا ، وخرجتُ من عندها ، فمضيت إلى الأخرى ، فقالت : من أين يا أبا الشبل ؟ فقلت : مِن عندِ فلانة ، قالت : قد علمتُ أنّك تبدأ بها ، وصدقتْ ، كانت أجملهما فكنتُ أبدأ بها ، ثم قالت : أمّا الطعام فاعلم أنّه لا حيلة لي في أن تأكله ، لعلمي بأنّ تلك لا تَدعُك تنصرف أو تأكل . فقلت : أجل . قالت : فهل لك في الشراب ؟ قلت : نعم ، فأحضرْته

وأخذْنا في الحديث ، ثم قالت : فأَخبِرني ما دار بينكما ؟ فأخبرتُها ، فقالت : هذه المسكينة كانت تجد البرد ، وبيتُها أيضاً هذا الذي جاءت به يحتاج إلى سمّورية ، أفلا قالت : [من المتقارب]

فأضحى بـه الدِّين مستبشراً وأضحت زِنادُهمـا واريَهْ

فقلت : أنت والله أشعَرُ منها في شِعرِها ، وأنت والله في شعرك فوق أهل عصرك . والله أعلم .

[شعره في الشيب]

أخبرنا الحسن قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : أنشدني أبو الشبل لنفسه : [من الهزج]

عَذِيري مِن جَواري الحـ ـيّ إذ يَرغبن عن وصلي
رأيـن الشيبَ قـد ألبـ ـسني أُبَّهـةَ الكَهـْلِ
فأعرضْنَ وقـد كـنّ إذا قيـل أبـو الشبـلِ
تَساعَيْـن فرقَّعْـن الـ ـكُوى بـالأعيُن النُّجلِ

قال : وهذا سرقه من قول العُتْبيّ : [من الطويل]

رأين الغواني الشيب لاح بمَفرِقي فأعرضْن عنّي بالخدودِ النواضرِ
وكـنّ إذا أبصرنني أو سمعنني سعَيْن فرقّعن الكُوى بالمَحاجرِ

[بخل حاتم بن الفرج]

حدَّثني الحسن قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبو الشبل قال : كان حاتم بن الفرج يعاشرني ويدعوني ، وكان أهتم ، قال أبو الشبل : وأنا أهتم ، وهكذا كان أبي وأهل بيتي ، لا تكاد تَبقى في أفواههم حاكّة ، فقال أبو عمرو أحمد بن أبي النجم : [من السريع]

لِحاتـمٍ في بُخلـه فِطنةٌ أدقُّ حِسّاً من خُطا النملِ
قـد جعل الهُتمانَ ضيفانَه فصار في أمنٍ مـن الأكلِ
ليس على خبز امرىء ضَيعةٌ أكيلُه عُصْمٌ أبـو الشبلِ[1]
مـا قدرُ مـا يحملـه كفُّه إلى فـمٍ مـن سِنّه عُطْلِ
فحاتمُ الجُود أخـو طيء مضى وهـذا حاتمُ البخلِ

[الجارية السوداء]

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال : حدَّثني أبو العَيْناء قال : كانت لأبي الشبل

1 هكذا ورد اسمه في معجم المرزباني كما تقدّم .

البُرجُمِيّ جارية سوداء ، وكان يحبّها حبّاً شديداً ، فعوتب فيها ، فقال : [من المنسرح]

غـدتْ بطـولِ المـلام عاذلةٌ تلومُنـي في السواد والدَّعَـجِ
ويحكِ كيف السلوّ عن غُـرَرٍ مفترِقات الأرجـاء ، كالسَّبجِ[1]
يحملـن بـين الأفخاذ أسْنِمَةً تحـرق أوبارهـا مـن الوَهْجِ
لا عـذّب الله مسلِمـاً بهـمُ غيري ولا حـان منهمُ فَرَجِي
فإنّنـي بـالسوادِ مبتهِـجٌ وكنـتُ بـالبيض غيرَ مبتهجِ

[هجا جارية هاشم النحويّ]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أحمد بن الطيّب قال : حدَّثني أبو هريرة البصريّ النحويّ الضرير قال : كان أبو الشبل الشاعر البرجميّ يعابث قَينة لهاشم النحوي يقال له خَنْساء ، وكانت تقول الشعر ، فعبِث بها يوماً فأفرط حتى أغضبها ، فقالت له : ليت شعري ، بأيّ شيء تُدِلّ ؟ أنا والله أشعَرُ منك ، لئن شئت لأهجونّك حتى أفضحَك ، فأقبل عليها وقال : [من مخلع البسيط]

حسناءُ قـد أفرطتْ علينا فليس منهـا لنـا مجيرُ
تاهـت بأشعارهـا علينا كأنّمـا ناكَهـا جـريرُ

قال : فخجلتْ حتى بان ذلك عليها وأمسكتْ عن جوابه .

[ذم المطر]

قال عمِّي : قال أحمد بن الطيّب : حدَّثني أبو هريرة هذا قال : حدَّثني أبو الشبل أنّها وعدتْه أن تزورَه في يوم بعينه كان مولاها غائباً فيه ، فلمّا حضر ذلك اليوم جاء مطرٌ منَعها من الوفاء بالموعد ، قال : فقلتُ أذمّ المطر : [من البسيط]

دَع المواعيـدَ لا تَعرِض لوِجْهتها إنّ المواعيـد مقـرونٌ بهـا المطرُ
إنّ المواعيـد والأعيادَ قـد مُنِيَتْ منـه بأنكدِ مـا يُمْنى بـه بَشَرُ
أمّا الثياب فـلا يغررْك إن غسِلتْ صَحوٌ شديد ولا شمس ولا قمرُ
وفي الشخوص لـه نـوءٌ وبارقةٌ وإن تبيّت فذاك الفالـجُ الذكرُ[2]
وإن هممتَ بأن تدعـو مغنّيـةً فالغيث لا شكّ مقرونٌ به السَّحَرُ

---

1 مفترقات الأرجاء : مختلفات نواحي الحسن . والسبج : خرز أسود .

2 الشخوص : الخروج . تبيّت : تحبس . الفالج الذكر : الشلل الشديد .

[نسيم من كلب وخنزيره]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أحمد بن أبي طاهر قال : كان لعبيد الله بن يحيى بن خاقان غلام يقال له نسيم ، فأمره عبيد الله بقضاء حاجة كان أبو الشبل البُرْجُميّ سأله إيّاها ، فأخّرها نسيم ، فشكاه إلى عبيد الله ، فأمر عبيد الله غلاماً له آخرَ فقضاها بين يديه ، فقال أبو الشِّبل يهجو نسيماً : [من السريع]

قــل لنسيمٍ أنت في صوره خُلِقَتْ مــن كلــبٍ وخِنزيرَه
رَعَيت دهــراً بعــد أعفاجها في سَلْح مخمورٍ ومخمورَه[1]
حتى بدا رأسك مِن صَدْعِها زانيــــة بالفسق مشهــــورَه
لا تقــرب المــاء إذا أجنَبَتْ ولا تَــرى أن تقــربَ النُّورَه
ترى نباتَ الشَّعر حَولَ استها دَرابِزينــاً حــول مَقْصُــورَه

[يهجو محمد بن حماد]

حدَّثني عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قـال : كان أبـو الشبل يعاشر محمد بن حمّاد بن دلقيش ، ثم تهاجرا بشيء أنكره عليه ، فقال أبو الشبل فيه : [من مجزوء الرمل]

لابــن حمّــاد أيادٍ عندنــا ليست بدونِ
عنــده جاريــة تشـ ـفي مــن الداء الدفينِ
ولهــا في رأس مــولا هــا أكاليــلُ قُــرونِ
ذات صَدْعٍ حاتميّ الـ ـفعل في كِــن مَكينِ
لا يَرى مَنْعَ الذي يحـ ـوي ولــو أمَّ البنينِ

[رثاء السراج]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أحمد بن الطيب قال : حدَّثني أبو هريرة النحويّ قال : كان أبو الشبل البرجميّ قد اشترى كبشاً للأضحى ، فجعل يعلفه ويسمّنه ، فأفلت يوماً على قنديل له كان يُسرجه بين يديه ، وسراجٍ وقارورةٍ للزيت ، فنطحه فكسره ، وانصبّ الزيت على ثيابه وكتبِه وفِراشه ، فلمّا عاين ذلك ذبح الكبشَ قبلَ الأضحى ، وقال يرثي سراجَه : [من المنسرح]

يــا عــين بكّي لفقد مسْرَجةٍ كانــت عمود الضياء والنورِ

---

1 الأعفاج : الأمعاء .

كانت إذا مـا الظلام ألبسني ... من حِندِس الليل ثوبَ دَيْجورِ[1]
شقّـت بنبراسهـا غياطِلَـه ... شقّاً دَعا الليـلَ بالدَّياجيرِ[2]
صِينية الصين حـين أبدعها ... مصـوِّر الحسن بـالتصاويرِ
وقبـل ذا بدعـةٌ أتيـح لها ... مِن عُقَب الدهر قرنُ يَعْفورِ[3]
وصَكّها صكّـةً فمـا لبثت ... أنْ وَرَدت عسكـر المكاسيرِ
وإن تولَّت فقـدْ لها تركَتْ ... ذِكـراً سيبقى على الأعاصيرِ
مَـن ذا رأيتَ الزمـانَ ياسَرَه ... فلـم يَشُـب يُسرَه بتعسيرِ
ومن أبـاح الزمـانُ صفوتَه ... فلـم يشب صفـوَه بتكديرِ
مسْرجتي لو فديتِ ما بَخِلَتْ ... عنك يـدُ الجـود بالدَّنانيرِ
ليس لنـا فيـكِ ما نقدِّره ... لكنّمـا الأمـر بـالمقاديرِ
مسرجتي كم كشفتِ من ظُلَمٍ ... جلَّيـتِ ظلماءهـا بتنويرِ
وكم غـزال على يديـك نجا ... مـن دقّ خُصيبه بالطواميرِ[4]
مَن لي إذا ما النديمُ دبَّ إلى النّـ ... ـدمان في ظُلمـة الدَّياجيرِ
وقام هـذا يَبُوس ذاك ، وذا ... يُعْنِـق هـذا بغير تقديرِ[5]
وازدَوَج القومُ في الظلام فما ... تسمـعُ إلاّ الرِّشاءَ في البِيرِ
فما يُصلُّون عنـد خَلوتهـمْ ... إلاّ صـلاةً بغيـر تطهـيرِ
أوحشَتِ الدارُ من ضيائك والـ ... ـبيت إلى مطبـخ وتَنُّـورِ
إلى الرواقـين فالمجالسُ فالـ ... ـمِربَدُ مـذ غبتِ غيرُ معمورِ[6]
قلبـي حزين عليك إذ بخلتْ ... عليك بالدَّمـع عـينُ تنميرِ
إن كان أُودى بكِ الزمان فقد ... أُبقيتِ منك الحديثَ في الدُّورِ
دَع ذكرَها واهجُ قَرْنَ ناطِحِها ... واسرُد أحاديثَـه بتفسيرِ[7]

---

1 الحندس والديجور : الظلمة .
2 غياطل الليل : اشتداد سواده .
3 اليعفور : ظبي بلون التراب ، ويعني هنا أن قرن الكبش كان كقرن اليعفور .
4 الطوامير : جمع طومار أو طامور ، وهو الصحيفة .
5 يعنق : يعانق على غير قياس .
6 المربد : محبس الإبل .
7 أسرد في ل : وانشر .

كان حديثي أنّي اشتريتُ فما اشـ ـــتريت كَبْشاً سليـلَ خِنزيرِ
فلـم أَزَل بالنَّـوى أسمِّنـه والتبـن والقَـتِّ والأثاجيرِ[1]
أبـرِّد المـاء في القِلال لـه وأتَّقـي فيـه كلَّ محـذورِ
تخدِمُـه طـولَ كلّ ليلتهـا خِدمَـة عبـدٍ بالذل مأسورِ
وهي من التِّيه ما تكلّمني الـ ـفصيح إلاّ مـن بعد تفكيرِ
شمس كـأنّ الظـلام ألبَسها ثوباً من الزِّفت أو مـن القِيرِ
من جلدهـا خُفُّهـا وبرقعها حَـوراءُ في غير خِلقـة الحُورِ
فلم يزل يغتذي السرورَ ، وما الـ ـمحزونُ في عيشةٍ كمسرورِ
حتى عدا طَـورَه ، وحُقَّ لَمن يكفـرُ نُعمـى بقُرْبِ تغييرِ
فمـدَّ قرنيـه نحـو مسرجـةٍ تُعَـدُّ في صون كلِّ مذخورِ
شدَّ عليهـا بقَرْن ذي حَنَـقٍ معـوَّدٍ للنِّطـاح مشهورِ
وليس يَقـوى بِرَوْقِه جَبَلٌ صَلْدٌ مـن الشُّمَّخ المَذاكِيرِ[2]
فكيف تَقوى عليـه مِسرجَةٌ أَرقُّ مـن جَوهَـر القَواريرِ
تكسَّرتْ كسرةً لهـا أَلَمٌ وما صحيحُ الهوى كمكسورِ[3]
فأدركتْه شَعـوبُ فانشعبتْ بـالرُّوعِ والشِّلْوُ غير مقتورِ[4]
أُديـلَ منـه فأدركتْـه يـدٌ مـن المنايـا بحَـدٍّ مطرورِ[5]
يَلتهب المـوتُ في ظُباه كما تلتهـب النـارُ في المساعيرِ[6]
ومزّقته المُدى فمـا تركـت كفُّ القِرا منـه غيرَ تعسيرِ[7]
واغتاله بعـد كسرها قَـدَرٌ صيره نُهْـزَة السَّنـانيرِ
فمزّقَـتْ لحمَـه بَراثِنُهـا وبذَّرتْـه أشدَّ تبـذيرِ

---

1 الثجير : ثفل كل شيء يعصر .

2 الروق : القرن . والشمخ المذاكير : الشاهقة القوية .

3 تكسرت في ل : فانكسرت .

4 الشعوب : المنية . والروع : القلب . والشلو : الجسد .

5 حد مطرور : حد سكين محدّد .

6 المساعير : ما تسعر به النار .

7 تعسير : التضييق ويعني به القليل .

واختلسته الحِداءُ خَلْساً مع الـ ـغِرْبان لم تزدجرْ لتكبيرِ
وصار حظَّ الكلاب أعظُمُه تهشم أنحاءَها بتكسيرِ
كم كاسرٍ نحوَه وكاسرةٍ سلاحُها في شغا المناقيرِ
وخامعٍ نحوَه وخامعةٍ سلاحُها في شَبا الأظافيرِ[1]
قد جعلتْ حول شِلْوِه عُرُساً بلا افتقار إلى مزاميرِ
ولا مغنٍّ سوى هَماهِمِها إذا تمطّت لواردِ العِيرِ[2]
يا كبشُ ذق إذ كسرتَ مسرجتي لمدية الموت كأس تنحيرِ
بغيتَ ظُلماً والبغيُ مصرعُ مَن بَغى على أهله بتغييرِ
أُضحيَّة ما أظنّ صاحبها في قَسْمه لحمَها بمأجورِ

[رثاء قرطاس سرق]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني الحسن بن عليّ الشَّيبانيّ قال: دخلتُ على أبي الشبل يوماً فوجدتُ تحت مخدّته ثُلثَ قرطاس، فسرقتُه منه ولم يَعلَم بي، فلمّا كان بعد أيّام جاءني فأنشدني لنفسه يَرثي ذلك الثلثَ القرطاس: [من الخفيف]

فِكَر تعتري وحزنٌ طويلُ وسقيمٌ أنْحى عليه النُّحُولُ
ليس يبكي رَسْماً ولا طَلَلا مَـ ـحَّ كما تُنْدَب الرُّبا والطُّلولُ
إنّما حزنُه على ثُلْثِ قرطاسٍ لحاجاته فغالتْه غُولُ
كان للسر والأمانة والكتـ ـمان إن باح بالحديث الرسولُ
كان مثلَ الوكيل في كلّ سوق إنْ تلكَّا أو ملَّ يوماً وكيلُ
كان للهمِّ إن تراكَمَ في الصد ر فلم يُشْفَ من عليلٍ غليلُ
لم يكن يبتغي الحِجابَ من الحُجّا ب إن قيل ليس فيها دخولُ
إنْ شكا حاجباً تَشدَّد في الإذ ن فللحاجب الشقيِّ العويلُ
يُرفَع الخيرُ عنه والرزق والكسـ ـوةُ فهو المطرود وهو الذليلُ
كان يُثْنى في جَيب كلِّ فتاةٍ دونَها خَندقٌ وسُورٌ طويلُ

---

1 الخامع: الذي يعرج في مشيه، ويعني بها الضواري.
2 الهماهم: جمع همهمة. والعير: الإبل.

يقف الناس وهو أوّل مـن يد ـخلـه القصرَ غـادةٌ عُطْبولُ[1]
فإذا أبرزَتْه بـاح بـه في الـ ـقصر مسكٌ وعنبر مَعْلـولُ[2]
ولـه الحـبّ والكرامـة ممّن بـات صَبّاً والشمّ والتقبيلُ
ليس كالكاتب الذي بأبي الخـ ـطّاب يُكْنى قـد شابه التطفيلُ
ذا كريـمٌ يُدْعى ، وهذا طفيلـ ـيٌّ وهـذا وذا جميعاً دليلُ
ذاك بالبشر والكرامـة يُلقـى ولهـذا الحجـاب والتنكيلُ
لم يفِد وفدُه الزمانَ على الأل ـسن منـه عطفٌ ولا تنويلُ
كان مع ذا عدل الشهادة مقبو لاً إذا عَـزَّ شاهـداً تعديلُ
وإذا مـا التوى الهوى بالأليفيـ ـن فلم يَرْعَ واصلاً مَوْصولُ
فهـو الحـاكمُ الذي قولُه بيـ ـن الأليفَـين جائـزٌ مقبولُ
فلئن شَتَّت الزمانُ بـه شَمـ ـلَ دَواتي وحانَ منـه رحيلُ
لَقديماً مـا شَتَّت البينُ والأُلـ ـفَةُ من صاحبٍ ، فصبر جميلُ
لا تَلُمْني عـلى البكاء عليـه إنَّ فقـدَ الخليل خطبٌ جليلُ

قال : فرددتُه عليه ، وكان اتَّهم به أَبا الخطّاب الذي هجاه في هذه القصيدة ، فقال لي : ويلك ، جنيتَ ووقع أبو الخطّاب بلا ذنب ، ولو عرفتُ أنّك صاحبها لكان هذا لك ، ولكنّك قد سلمتَ .

---

1 العطبول : المرأة الفتية الجميلة الطويلة العنق .

2 معلول : مضاعف .

[269] ـ أخبار عَثْعَث

[نسبه]

كان عَثْعَث أسودَ مملوكاً لمحمد بن يحيى بن مُعاذ ، ظهر له منه طبع وحُسْنُ أخذٍ وأداء ، فعلّمه الغناء ، وخرّجه وأدّبه ، فبرع في صناعته ، ويكنى أبا دُلَيْجة وكان مأبوناً ؛ والله أعلم .

أخبرني بذلك محمد بن العبّاس اليزيديّ عن ميمون بن هارون قال : حدَّثني عثعث الأسود ، قال : مُخارق كنّاني بأبي دُلَيْجة ، وكان السبب في ذلك أنّ أوّل صوت سمعني أغنّيه : [من البسيط]

أبا دُلَيجةَ مَـنْ توصِـي بأرمَلـةٍ أم من لأشعثَ ذي طِمْرَين مِمحالِ[1]

فقال لي : أحسنت يا أبا دُليجَة ، فقبلتُها وقبّلت يده ، وقلتُ : أنا يا سيّدي أبا المُهنّا ؛ أتشرّف بهذه الكنية إذا كانت نِحلة منك . قال ميمون : وكان مخارق يشتهي غناءه ويَحزُنه إذا سمعه .

[ما وقع له في مجلس غناء]

قال أبو الفرج : نسختُ من كتاب عليّ بن محمد بن نصر بخطّه ، حدَّثني يعني بن حمدون قال : كنّا يوماً مجتمعين في منزل أبي عيسى بن المتوكّل ، وقد عزمْنا على الصَّبوح ومعنا جعفر بن المأمون ، وسليمان بنُ وهب ، وإبراهيم بن المدبِّر ، وحضرتْ عَريب وشارية وجواريهما ، ونحن في أتمّ سرور ، فغنَّت بدعة جارية عريب : [من الطويل]

أعاذلتـي أكثرتِ جَهْلا مـن العَذْلِ على غير شيءٍ من مَلامي وفي عَذْلِي[2]

والصنعة لعَريب ؛ وغنّت عِرفان : [من الطويل]

إذا رام قلبي هجرَهـا حالَ دونَه شَفيعان مِـنْ قلبـي لهـا جَدِلانِ

والغناء لشارية ، وكان أهل الظَّرْف والمتعانون في ذلك الوقت صنفين : عريبيّة وشارية ، فمال كلّ حزب إلى من يتعصّب له منهما من الاستحسان والطرب والاقتراح ، وعريب وشارية ساكتتان لا تَنطقان ، وكلّ واحدة من جواريهما تغنّي صنعةَ سِتّها لا تتجاوزها ، حتى

1 البيت لأوس بن حجر ورواية الديوان ص 103 : من يُوصى . . . طملالِ ، وهو الفقير .

2 البيت لجميل بن معمر كما سيأتي .

غنّت عرفان : [من الخفيف]

بأبي مَن زارني في منامي فدنا منّي وفيه نِفارُ

فأحسنتْ ما شاءت ، وشربْنا جميعاً ، فلمّا أمسكتْ قالت عريبِ لشارية : يا أختي لِمَن هذا اللحن ؟ قالت : لي ، كنت صنعتُه في حياة سيّدي ، تعني إبراهيم بنَ المهديّ ، وغنّيتُه إيّاه فاستحسنه ، وعَرَضَه على إسحاق وغيرِهِ فاستحسنوه ، فأسكتتْ عَريب ، ثم قالت لأبي عيسى : أحبّ يا بنيّ ، فديتك ، أن تَبعث إلى عَثعَث الأسود فتجيئني به ، فوجَّه إليه ، فحضر وجلس ، فلمّا اطمأنّ وشرِب وغنّى ، قالت له : يا أبا دليجة أو تذكر صوتَ زبير بن دَحْمان عندي وأنت حاضر ، فسألته أن يَطرحَه عليك ؟ قال : وهل تَنسى العَذْراء أبا عُذْرِها ، نعم ، والله إنّي لذاكرُه حتّى كأنّنا أمسِ افترقْنا عنه . قالت : فغَنّه ، فاندفع فغنَّى الصوتَ الذي ادّعتْه شارية حتى استوفاه وتضاحكتْ عَريب ، ثم قالت لجواريها : خذوا في الحقّ ، ودَعونا من الباطل ، وغنّوا الغناء القديم . فغنّت بدعة وسائر جواري عَريب ، وخجلتْ شارية وأطرقتْ وظهر الانكسار فيها ، ولم تنتفع هي يومئذٍ بنفسها ، ولا أحدٌ من جواريها ولا متعصّبيها أيضاً بأنفسهم .

[في مجلس المتوكّل]

قال : وحدَّثني يحيى بنُ حَمدون قال : قال لي عَثعَث الأسود : دخلتُ يوماً على المتوكّل وهو مصطبِح وابن المارقيّ يغنّيه قوله : [من الطويل]

أقاتلتي بالجِيد والقدِّ والخدّ وباللون في وجهٍ أرقَّ من الوردِ

وهو على البِركة جالس ، وقد طرِب واستعاده الصوتَ مراراً وأقبل عليه ، فجلست ساعةً ثم قمت لأبولَ ، فصنعت هزَجاً في شعر البحتريّ الذي يصف فيه البِركة : [من البسيط]

صوت

إذا النجومُ تراءت في جوانبها ليلاً حسبتَ سماءً ركّبت فيها
وإن عَلَتْها الصَّبا أبدت لها حُبُكاً مثلَ الجَواشن مصقولاً حواشيها[1]
وزادها زينةً من بعد زينتها أن اسمه يومَ يُدْعى من أساميها

فما سكت ابنُ المارقي سكوتاً مستوجباً حتى اندفعتُ أُغنّي هذا الصوت ، فأقبل عليّ وقال لي : أحسنتَ وحياتي ، أَعِدْ ؛ فأعدتُ ، فشرب قدحاً ، ولم يزل يستعيدُنِيه ويشرب

1 الجواشن : جمع جوشن وهو الدرع .

حتى اتّكأ ، ثم قال للفتح : بحياتي ادفع إليه الساعة ألف دينار وخِلْعة تامّة واحمله على شِهْري[1] فارِهٍ بسَرْجِه ولجامه ، فانصرفتُ بذلك أجمَعَ .

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

[من الطويل]

أعاذِلتـي أكثرتِ جهلاً مِن العَذْلِ   على غير شيءٍ من ملامي ولا عذلي
نأيتِ فلم يُحدِث لي النأي سَلوةً   ولم أُلفِ طول النأي عن خُلة يُسْلِي

عَروضُه من الطويل ، الشعر لجَميل ، والغناء لعَريب ، ثقيل أوّل بالبنصر .

صوت

[من الطويل]

إذا رامَ قلبي هجرَهـا حالَ دونَه   شفيعان مـن قلبي لهـا جَدِلانِ
إذ قلتُ لا ، قالا بـلى ، ثم أصبَحا   جميعـاً على الرأي الذيـن يَرَيانِ

عروضه من الطويل ، والناس يَنسُبون هذا الشعر إلى عُروة بن حِزام ، وليس له .

الشعر لعليّ بن عمرو الأنصاريّ ، رجل من أهل الأدب والرواية ، كان بسُرَّ مَن رأى كالمنقطع إلى إبراهيمَ بنِ المهدي ، والغناء لشارية ، ثقيل أوّل بالوسطى ، وقيل إنّه من صنعة إبراهيم ، ونَحَلها إيّاه ، وفيه لعَريبَ خفيفُ رملٍ بالبنصِر .

صوت

[من الخفيف]

بأَبـي مـن زارني في منامي   فدنـا منّـي وفيـه نِفـارُ
ليلـةً بعـدَ طُلـوعِ الثُّريّا   وليـالي الصّيـف بُتْر قِصارُ
قلت هُلكي أم صلاحي فعَطْفاً   دون هـذا منك فيـه الدَّمارُ
فدنـا منّـي وأعطى وأرضى   وشفـى سُقْمي ولـذَّ المَزارُ

لَم يقعْ إلينا لِمن الشعرُ ، والغناء لزُبَير بن دَحمان ، ثقيل أوّل بالوسطى ، وهو من جيّد صنعتِهِ وصدورِ أغانيهِ .

---

1 الشهري : ضرب من البراذين .

أُخبرني ابن عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا أُحمد بن طَيْفور قال : كتب صديق لأَحمدَ بن يوسف الكاتب إليه في يوم دَجْن : «يومُنا يومٌ ظريفُ النواحي ، رقيقُ الحواشي ، قد رَعَدتْ سماؤه وبَرَقتْ ، وحنّت وارجحنّت[1] ، وأنت قطبُ السرور ، ونِظامُ الأمور ، فلا تُفْرِدنا منك فنَقلّ ، ولا تنفردْ عنّا فنَذِلّ ، فإنّ المرءَ بأُخيه كثير ، وبمساعدته جدير» . قال : فصار أحمد بن يوسف إلى الرجل ، وحضرهم عَثعَث الأسود ، فقال أحمد : [من الوافر]

صوت

أُرى غَيْماً يؤلّفه جَنُوبُ ... وأحسَبه سيأتينا بهَطْلِ
فعينُ الرأي أن تدعو بِرِطْلٍ ... فتشربَه وتدعو لي بِرِطلِ
وتسقيه نَدامانا جميعاً ... فينصرفون عنه بغير عَقْلِ
فيوم الغَيْم يومُ الغَمّ إن لم ... تبادر بالمُدامة كلَّ شغلِ
ولا تُكْرِه محرِّمَها عليها ... فإنّي لا أُراه لها بأهلِ

قال : وغَنّى فيه عَثعَث اللحنَ المشهور الذي يغنّى به اليوم .

صوت

[من الطويل]

ترى الجُندَ والأعرابَ يغشَون بابَه ... كما وردت ماءَ الكُلاب هَوامِلُهْ
إذا ما أَتَوا أبوابه قال : مرحباً ... لِجُوا الدار حتى يقتلَ الجوعَ قاتلُهْ

عَروضُه من الطويل . الهوامل : التي لا رِعاء لها ، ولِجوا : ادخلوا ، يقال : ولج يَلِج وَلْجاً . وقوله : «حتى يقتل الجوع قاتله» : أي يطعمكم فيذهب جوعكم ، جعل الشِّبَع قاتلاً للجوع .

الشعر لعبد الله بن الزَّبِير الأسدي ، والغناء لابن سُرَيج ، رمل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق .

1 ارجحن السحاب : مال من ثقله .

[270] ـ أخبار عبد الله بن الزَّبِير ونسبه[1]

[نسبه]

عبد الله بن الزَّبير بن الأَشْيَم بن الأعشى بن بجْرة بن قيس بن مُنقِذ بن طَرِيف بن عمرو بن قُعَين بن الحرث بن ثعلبة بن دُودان بن أَسَد بن خزيمة .

أَخبرني بذلك أَحمد[2] عن الخرّاز عن ابن الأعرابيّ وعن ابن مَهْرُوَيْه عن أَبي مسلم عن ابن الأعرابيّ ، وهو شاعر كوفيّ المنشأ والمنزل ، من شعراء الدولة الأمويّة ، وكان من شيعة بني أميّة وذوي الهَوى فيهم والتعصّب لهم والنُّصْرة على عدوّهم ، فلمّا غلب مصعب بن الزُّبير على الكوفة أُتِيَ به أسيراً فمنّ عليه ووصله وأحسَنَ إليه ، فمدحه وأكثر ، وانقطع إليه ، فلم يزل معه حتى قُتِل مصعب ، ثم عَمِيَ عبدُ الله بن الزَّبير بعد ذلك ، ومات في خلافة عبد الملك بن مروان ، ويُكنى عبد الله أبا كثير ، وهو القائل يعني نفسَه : [من الوافر]

فقالت : ما فعلتَ أبا كثير   أصحّ الودّ أم أخلفتَ بَعدِي[3] ؟

وهو أحد الهَجائين للناس ، المرهوبِ شرّهم .

[خلافه مع عبد الرحمن بن أم الحكم]

قال ابن الأعرابيّ : كان عبد الرحمن بنُ أمّ الحَكَم على الكوفة من قِبَل خاله معاوية بن أَبي سفيان ، وكان ناس من بني علقمة بن قيس بن وهب بن الأعشى بن بجْرة بن قيس بن منقذ قتلوا رجلاً من بني الأَشْيَم ، من رهط عبد الله بن الزَّبير دِنيةً[4] ، فخرج عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم وافداً إلى معاوية ، ومعه ابنُ الزَّبير ورفيقان له من بني أَسَد ، يقال لأحدهما أكل[5] بن ربيعة من بني جذِيمة بن مالك بن نصر بن قُعَين ، وعديّ بن الحرث أحد بني العِدان من بني نصر ، فقال عبد الرحمن بن أمّ الحكَم لابن الزَّبير : خذْ من بني عمِّك دِيَتَين لقتيلك ، فأَبى

1 ترجمة عبد الله بن الزَّبير الأسدي في خزانة البغدادي 2 : 264–266 وشرح الحماسة للمرزوقي : 941–942 . وقد جمع د . يحيى الجبوري شعره ، فانظر مقدمته وأعلام الزركلي .

2 ل : عمي .

3 سيرد البيت بلفظ «أم أخلفت عهدي» .

4 دنية : لحاً .

5 لعلّه أُكَيل أو أكتل .

ابن الزَّبير ، وكان ابن أمّ الحكم يميل إلى أهل القاتل ، فغضب عليه عبد الرحمن وردّه عن الوفد من منزل يقال له فيّاض ، فخالف ابن الزَّبير الطريقَ إلى يزيد بن معاوية ، فعاذ به ، فأعاذه وقام بأمره ، وأمره يزيد بأن يهجو ابن أمِّ الحَكَم ، وكان يزيد يُبغضه وينتقصه ويَعيبه ، فقال فيه ابن الزَّبير قصيدةً أوّلها قولُه[1] : [من الطويل]

أبى الليـلُ بالمَـرَّان أن يتصرّمـا ... كأنّي أَسومُ العَينَ نومـاً مُحرَّما[2]

ورُدَّ بثنيَيْـه كأن نجومـه ... صُوارٌ تناهى مـن إرانٍ فقَوَّما[3]

إلى الله أَشكو لا إلى الناس أنّنـي ... أمُصّ بنـات الدرِّ ثديـاً مُصرَّما[4]

وسَوقَ نساء يسلبـون ثيابهـا ... يُهادُونها هَمْدانَ رِقّـاً وخَثْعَما[5]

على أيّ شيء يا لُؤَيُّ بن غالب ... تُجيبونَ مَـن أُجرى عليَّ وأَلجما[6]

وهاتـوا فقُصُّوا آيـة تقرؤونها ... أحلَّتْ بـلادِي أن تباح وتُظلَما

وإلاّ فأقصى الله بينـي وبينكـم ... وولّـى كثيرَ اللؤمَ مَـن كان ألأما

وقـد شهدَتْنا من ثقيفٍ رَضاعـةٌ ... وغيَّب عنها الحَـوْمَ قُوَّامُ زمزما[7]

بنـو هاشم لو صادفوك تجدُّهـا ... مججتَ ولم تملك حَيازيمَك الدما[8]

ستعلم إن زلَّتْ بك النعلُ زَلّـةً ... وكلّ امرىء لاقي الذي كان قدَّما

بأنّك قد ماطَلْتَ أنيـابَ حيّـةٍ ... تزجّـي بعينيها شُجاعـاً وأرقَما

وكم من عدوّ قـد أَراد مساءتي ... بغَيـبٍ ولـو لاقيتُـه لتندَّما

وأنتم بني حامٍ بنِ نُوح أَرى لكم ... شِفاهاً كأذناب المشاجـر وُرَّما[9]

فإن قلتَ خالي من قريش فلم أَجِد ... مـن الناس شرّاً من أَبيك وألأما

---

1 شعره : 126–129 عن الأغاني .

2 المران : موضع .

3 ثنيا الجبل : طرفاه . الصوار : القطيع من البقر . الأران : النشاط . وقومت الدابة : إذا أكلت وأعيت فوقفت ولم تسر .

4 الدر : اللبن . المصرم : المقطوع .

5 يهادونها في ل : يقيدونها .

6 أجرى : أي أجرى الخيل للغارة .

7 قوام زمزم : القائمون بسقاية الحاج .

8 تجدها : تقطعها . والحيزوم : وسط الصدر .

9 المشاجر : جمع مشجر وهو عود الهودج .

صغيراً ضغـا في خرقة فأمضّه ... مُربِّيه حتى إذ أهـمّ وأفطما[1]
رأى جلدةً مـن آل حـامٍ متينـةً ... ورأساً كأمثـال الجَرِيب مُؤَوّما[2]
وكنتم سقِيطاً في ثقيفٍ ، مكانكم ... بني العبد ، لا تُوفي دماؤكمو دما[3]

قال ابن الأعرابيّ : ثم عُزل ابنُ أمّ الحكم عن الكوفة ، ووليها عبيد الله بن زياد ، فقال ابن الزَّبير[4] : [من الطويل]

أبلغ عبيـدَ الله عنّـي فإنّنـي ... رميتُ ابن عَوذ إذ بدَتْ لي مقاتِلُهْ
على قفرةٍ إذ هابَـه الوفـدُ كلُّهم ... ولم أكُ أُشوِي القِرنَ حين أُناضِلُهْ[5]
وكان يُماري مِـن يزِيـدَ بوقعةٍ ... فما زال حتـى استدرجَتْه حَبائلُهْ
فتُقصيه من ميراث حربٍ ورَهْطِه ... وآلَ إلى مـا ورثَتْـه أوائِـلُهْ
وأصبحَ لمّـا أسلمتْـه حِبالُهـم ... ككلب القطار حُلَّ عنه جَلاجِلُهْ[6]

ونسخت من كتاب جدّي لأُمّي يحيى بن محمد بن ثوابة ، قال يحيى بن حازم وحدَّثنا عليّ بن صالح صاحب المصلَّى عن القاسم بن مَعْدان : أنّ عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم غضب على عبد الله بن الزَّبير الأسديّ لمّا بلغه أنّه هجاه ، فهَدَم داره وأخرجه ، فأتى معاوية فشكاه إليه ، فقال له : كم كانت قيمةُ دارك ؟ فاستشهد أسماءَ بن خارجة ، وقال له : سَلْه عنها ؛ فسأله ؛ فقال : ما أعرف يا أمير المؤمنين قيمتها ، ولكني رأيته بعث إلى البصرة بعشرة آلاف درهم للساج[7] ، فأمر له معاوية بألفٍ[8] درهم ، قال : وإنّما شهد له أسماء كذلك ليُرفده عند معاوية ، ولم تكن داره إلاّ خِصاص قَصَب .

وكان عبدُ الرحمن بن أمّ الحَكَم لمّا وَلِي الكوفةَ أساء بها السيرة ، فقدم قادمٌ من الكوفة إلى المدينة ، فسألتْه امرأة عبد الرحمن عنه ، فقال لها : تركتُه يسأل إلحافاً ، وينفِق إسرافاً ، وكان محمَّقاً ، ولاّه معاويةُ خالُه عدّة أعمال ، فذمَّه أهلُها وتظلّموا منه ؛ فعزله وأطرحه ، وقال له : يا

---

1 ضغا : ضج وصاح . أمضه : آلمه . أهم : جعل آله وذويه يهتمون به .
2 الجريب : مكيال . المؤوم : العظيم الرأس أو المشوه .
3 السقيط : الأحمق الناقص العقل ، واللئيم في حسبه ونفسه .
4 شعره : 118 عن الأغاني .
5 أشوي : أصيب ما ليس مقتلاً .
6 الجلاجل : السيور .
7 الساج : خشب أسود رزين .
8 سترد هذه الحكاية مرّة أخرى ولكن رقمي ثمن الساج والعطية سيصبحان عشرين ألفاً ومائة ألف .

بُنَيّ ، قد جَهَدتُ أن أنفّقك وأنت تزداد كساداً .

وقالت له أخته أُمُّ الحَكَم بنت أبي سُفْيان بن حرب : يا أُخي ، زَوِّج ابني بعضَ بناتِك ؛ فقال : ليس لهنّ بكفء ؛ فقالت له : زوّجني أبو سفيان أباه ، وأبو سفيان خير منك ، وأنا خير من بناتك ؛ فقال لها : يا أُخيَّة : إنّما فعل ذلك أبو سفيان لأنّه كان حينئذٍ يشتهي الزَّبيب ، وقد كثر الآن الزبيبُ عندنا ، فلن نزوّج إلاّ الأكفاء .

[مدح عمرو بن عثمان بن عفّان]

حدَّثنا الحسن بنُ الطيّب البَلْخي الشجاعيّ قال : حدَّثني أبو غسّان قال : بلغني أنّ أوّل من أخَذ بعِينةٍ[1] في الإسلام عمرو بن عثمان بن عفّان ، أتاه عبد الله بن الزّبير الأسديّ ، فرأى عمرو تحت ثيابه ثوباً رَثّاً ، فدعا وكيلَه وقال : اقترِض لنا مالاً ؛ فقال : هيهات ! ما يعطينا التجار شيئاً . قال : فأربِحْهم ما شاءوا ، فاقترض له ثمانية آلافِ درهم ، باثني عشرة ألف ، فوجّه إليه مع تخت ثياب ، فقال عبد الله بن الزّبير في ذلك[2] : [من الطويل]

سأشكر عمراً إن تراخت منيّتي أيادِيَ لم تُمْنَنْ وإن هي جَلّتِ
فتًى غير محجوبِ الغِنى عن صديقِهِ ولا مُظهِر الشكوى إذا النعلُ زَلَّتِ
رأى خَلّتي من حيثُ يَخفى مكانُها فكانت قَذى عينيه حتى تجلَّتِ[3]

[مدحه أسماء بن خارجة]

أُخبرني الحسينُ بنُ القاسم الكوكبيّ إجازةً قال : حدَّثني أحمد بنُ عرفة المؤدِّب قال : أُخبرني أبو المصبِّح عادية بن المصبِّح السَّلوليّ قال : أُخبرني أبي قال : كان عبد الله بن الزَّبير الأسديّ قد مدح أسماء بنَ خارجة الفَزاريَّ فقال : [من الطويل]

صوت

تــراه إذا مــا جئتَــه متهلّــلاً كأنّك تعطيــه الذي أنتَ نائلُهْ
ولو لَم يكن في كفِّــه غيرُ رُوحه لجــاد بهـــا فليتَّــقِ اللهَ سائلُهْ

[غنّى في هذين البيتين هزجاً بالبنصر]

فأثابه أسماء ثواباً لم يرضه ، فغضب وقال يهجوه[4] : [من الطويل]

---

1 العينة : الربا .

2 شعره : 142 . وقد جعلها جامعه في ما ينسب إلى ابن الزّبير وغيره . وفي وفيات الأعيان (3 : 478 ، 6 : 232) أن هذه الأبيات لإبراهيم بن العباس الصولي في عمرو بن مسعدة .

3 الخلة : الحاجة والفقر .

4 شعره : 93 .

بَنت لكـــمُ هنـدٌ بتلذيع بَظْرِها دكاكينَ من جِصٍّ عليها المَجالسُ

فواللهِ لــولا رَهْـزُ هند ببظرها لَعُـدَّ أبوهـا في اللئام العوابسِ[1]

فبلغ ذلك أسماء ، فركب إليه ، فاعتذَرَ من فعله بضِيقةٍ شكاها ، وأرضاه وجعل على نفسه وظيفةً في كلّ سنة ، واقتطعه جَنّتَيْهِ ، فكان بعد ذلك يمدحُه ويفضّله . وكان أسماء يقول لبنيه : والله ما رأيت قطّ جصّاً في بناءٍ ولا غيره إلاّ ذكرتُ بَظْرَ أُمّكم هند فخجلتُ .

[ابن أمّ الحكم يحبسه]

أخبرني عمّي عن ابن مَهْرُوَيْه ، عن أبي مسلم ، عن ابن الأعرابيّ قال : حبس ابن أُمّ الحَكَم عبد الله بن الزّبير وهو أمير في جناية وضَعَها عليه ، وضربه ضرباً مبرِّحاً لهجائه إيّاه ، فاستغاث بأسماء بن خارجة ، فلم يزل يَلطُف في أمره ، ويُرضي خصومه ويشفع إلى ابن أمّ الحَكَم في أمره حتى يخلِّصه ، فأطلق[2] شفاعته ، وكساه أسماءُ ووصله ! وجعل له ولعياله جرايةً دائمة من ماله ، فقال فيه هذه القصيدة التي أوّلها الصوت المذكور بذكر أخبار ابن الزَّبير ، يقول فيها[3] :

[من الطويل]

ألم تَـرَ أنّ الجُـودَ أُرسَلَ فانتقى حَليــفَ صفاءٍ وأْتَــلى لا يُزايلُهْ

تخيَّر أسماءَ بـنَ حِصنٍ فبُطّنتْ بفعــل العُــلا أيمانُه وشمائلُهْ

ولا مجـــدَ إلاّ مجدُ أسماءَ فوقه ولا جريَ إلاّ جريُ أسماءَ فاضِلُهْ

ومحتملٍ ضِغناً لأسماءَ لــو جرى بسَجْلَيْنِ من أسماءَ فارت أُباجِلُهْ[4]

عَوى يستجيشُ النابحـاتِ وإنّما بأنيابه صُــمُّ الصَّفـــا وجَنادِلُهْ[5]

وأقصَرَ عن مجـــراةِ أسمــاء سعيُه حَسيراً كما يلقى من التُّرب ناخلُهْ[6]

وفضَّل أسمــاءَ بــنَ حِصنٍ عليهمُ سماحةُ أسمـاء بـن حصن ونائلُهْ

فمَن مثْلُ أسماءَ بن حصن إذا غَدَت شآبيبُــــه أم أيُّ شيء يعـادِلُهْ

---

1 في البيت إقواء .

2 أطلق شفاعته : أي قبل شفاعته دون شرط أو استثناء .

3 شعره : 120–123 .

4 السجل : الشوط . الأباجل : جمع أبجل وهو العرق الأكحل في الذراع .

5 يستجيش النابحات : يستثير الكلاب النابحة . والصفا : الحجر الصلد . أي أنّه لا ينال منه إلاّ ما يناله العاض على الحجارة الصلدة .

6 حسير : كليل .

وكنت إذا لاقيت منهم حَطيطةً ... لقيتُ أبا حسّانَ تَنْدى أصائلُهْ[1]
تَضَيَّفُــه غسّانُ يَرجــون سَيْبَه ... وذو يَمَــنٍ أُحبُــوشُه ومَقاوِلُهْ[2]
فتًى لا يزال الدَّهر ما عاش مُخْصِباً ... ولو كان بالمَوْماة تَخْدِي رَواحِلُهْ[3]
فأصبح : ما في الأرض خَلقٌ علمتُه ... من النــاس إلاّ باعُ أسماءَ طائلُهْ
تــراه إذا مــا جئتَــه متهلّـلاً ... كأنّك تعطيه الذي أنت سائلُهْ[4]
ترى الجندَ والأعرابَ يغشَون بابه ... كما وردت مــاءَ الكُلاب نواهلُهْ
إذا مــا أَتَوا أبوابه قــال : مرحباً ... لِجُوا الباب حتى يقتلَ الجوعَ قاتلُهْ
تــرى البازِلَ البُخْتيَّ فوق خِوانه ... مقطَّعــةً أعضــاؤه ومفاصلُهْ
إذا مــا أتوا أسماءَ كان هو الذي ... تحلّــب كفّــاه النــدى وأناملُهْ
تراهــمْ كثيراً حــين يغشَون بابَه ... فتستُرهــم جُدْرانُــه ومنازِلُهْ

قال : فأعطاه أسماء حين أنشده هذه القصيدة ألفي درهم .

[عند عبيد الله بن زياد]

أخبرني هاشم بن محمد قال : حدَّثنا العبّاس بن ميمون طائع قال : حدَّثني أبو عدنان عن الهيثم بن عديّ ، عن ابن عيّاش ، وقال ابن الأعرابيّ أيضاً : دخل عبد الله بن الزّبير يوماً على عُبيد الله بن زياد بالكوفة وعنده أسماء بن خارجة حين قدِم ابن الزَّبير من الشام ، فلمّا مثل بين يديه أنشأ يقول[5] : [من البسيط]

حنَّت قَلوصيَ وَهْناً بعــد هَدْأتها ... فهيّجتْ مغرَمــا صَبّاً على الطَّرَبِ
حنّت إلى خيرِ مَن حُثَّ المطيُّ له ... كالبدرِ بــين أبي سفيان والعُتَبُ
تذكَّرَتْ بِقُــرى البَلقــاء نائلَه ... لقد تذكرتُــه مِــن نازحٍ عَزَبِ[6]
والله مــا كان بــي لــولا زيارته ... وأن أُلاقــي أبا حسان من أَرَبِ
حنّت لتَرجِعني خلفي فقلت لهــا ... هذا أُمامــك فالقَيْه فتــى العربِ

1 الحطيطة : النقص والبخس . وأبو حسان : كنية أسماء بن خارجة .
2 أحبوش : جماعة الحبش . والمقاول : جمع مقول والقيل ، وهو الملك من ملوك حمير دون الملك الأعلى .
3 الموماة : المفازة .
4 هذا البيت لزهير في ديوانه : 124 .
5 شعره : 60-61 .
6 العزب : البعيد .

لا يحسب الشرّ جاراً لا يفارقه ... ولا يعاقِب عند الحِلم بالغضبِ
مِن خير بيت عَلِمناه وأكرَمِهِ ... كانت دماؤهم تُشفي من الكَلَبِ

قال ابن الأعرابيّ : كانت العربُ تقول : مَن أصابه الكَلَب والجنونُ لا يَبرأ منه إلى أن يُسقى من دم مَلِك ، فيقول : إنّه من أولاد الملوك .

بقية أخبار عبد الله بن الزَّبير

[من الذي هدم دار أسماء]

أخبرني أحمد بن عيسى العجليّ بالكوفة قال : حدَّثنا سليمان بن الربيع البرجميّ قال : حدَّثنا مُضَرُ بن مُزاحم ، عن عمرو بن سعد ، عن أبي مِخنَف ، عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكَنُود ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا الحارث بن محمد قال : حدَّثنا ابن سعد عن الواقديّ ، وذكر بعض ذلك ابنُ الأعرابيّ في روايته عن المفضَّل ، وقد دخل بعضهم في حديث الآخرين ، أنّ المختار بن أبي عبيد خطب الناسَ يوماً على المِنبر فقال : «لتنزلنّ نار من السماء ، تسوقها ريح حالكة دَهْماء ، حتى تحرق دار أسماء وآلَ أسماء» . وكان لأسماء بن خارجة بالكوفة ذكرٌ قبيح عند الشيعة ، يعدّونه في قَتَلَة الحسين عليه السلام ، لِما كان من معاونته عبيدَ الله بنَ زياد على هانىء بن عُروة المُراديّ حتى قتل ، وحركتِه في نُصْرته على مسلم بن عقيل بن أبي طالب ، وقد ذكر ذلك شاعرُهم فقال[1] : [من الطويل]

أيركب أسماءُ الهماليجَ آمِنا ... وقد طلبْته مَذْحِجٌ بقتيلِ ![2]

يعني بالقتيل هانىءَ بنَ عروة المُراديّ ، وكان المختار يحتال ويدبِّر في قتله من غير أن يُغضب قيساً فتنصره ، فبلغ أسماء قول المختار فيه ، فقال : أوقَد سَجَع بي أبو إسحاق ؟ لا قَرارَ على زأْرٍ من الأسد[3] ، وهرب إلى الشام ، فأمر المختار بطلبه ، ففاته ، فأمر بهدم داره ، فما تقدّم عليها مضريّ بتّةً لموضع أسماء وجلالةِ قدرهِ في قيس ، فتولَّت ربيعةُ واليمنُ هدمَها ، وكانت بنو تَيْم الله وعبد القيس مع رجل من بني عجل كان على شرطة المختار ، فقال في ذلك عبد الله بن الزَّبير[4] : [من الطويل]

---

1 هذا البيت ينسب لابن الزَّبير ولغيره . انظر مجموع شعره : 115–117 .
2 في مجموع شعره : «بذحول» بدلاً من «بقتيل» .
3 المثل «لا قرار على زأر الأسد» في مجمع الميداني 2 : 226 وجمهرة العسكري 2 : 376 ومستقصى الزمخشري 2 : 380 ، وهو عجز بيت للنابغة :
أنبئت أن أبا قابوس أوعدني ... ولا قرار على زأر من الأسدِ
4 شعره : 74–78 .

نأوَّبَ عـينَ ابنِ الزّبيرِ سُهودُها ... ووَلّى على ما قد عراها هُجودُها
كأنّ سواد العـين أبطَـنَ نخلـةً ... وعاوَدَهـا ممّـا تَذكّـرُ عِيدُها[1]
مخصَّرةً مـن نخـل جَيْحانَ صعبةً ... لَـوى بجناحيها وليدٌ يَصيدُها[2]
من الليل وَهْنـاً ، أو شَظِيَّةَ سُنبلٍ ... أذاعت به الأرواحُ يُذرى حَصيدُها[3]
إذا طُرِفـت أذرَتْ دموعـاً كأنّها ... نَثِيرُ جُمانٍ بـانَ عنهـا فَرِيدُها[4]
وبـتُّ كأنّ الصدرَ فيـه ذُبالـةٌ ... شَبا حرَّها القِنديل ، ذاكٍ وَقُودُها
فقلتُ أُناجي النفسَ بيني وبينها ... كذاك الليـالي نحسُها وسُعودُها
فـلا تجزعـي ممّـا ألَمّ فإنّني ... أرى سَنةً لَم يَبقَ إلاّ شَرِيدُها[5]
أتـاني وعُرْضُ الشامِ بيني وبينها ... أحاديثُ والأنباءُ يَنمِي بعيدُها
بـأنّ أبـا حَسّانَ تهـدِم دارَه ... لُكَيزٌ سَعـت فُسَّاقُها وعَبيدُها[6]
جزَتْ مُضَراً عنّي الجوازِي بفعلها ... ولا أُصبحتْ إلاّ بشرٍّ جُدودُها
فمـا خيرُكم ؟ لا سيِّـداً تنصرونه ... ولا خائفاً إن جـاء يوماً طريدُها
أخذلانَــه في كلّ يـومٍ كَريهـةٍ ... ومسألة مـا إن ينادى وليدُها[7]
لأمِّكـم الوَيْـلاتُ أنّى أُتيتُـمُ ... جماعـات أَقـوامٍ كثيرٍ عديدُها
فيا لَيتَكم مِـن بعد خذلانِكُمْ له ... جوارٍ على الأعناق منها عُقودُها
ألَم تغضبوا تبّاً لكم إذ سَطَتْ بكم ... مَجُوسُ القُرى في داركم ويَهودُها !
تركتـمْ أَبـا حسّان تُهـدَم دارُه ... مشيَّـدةً أبوابهـا وحديـدُها
يهدِّمهـا العِجليّ فيكـمْ بشُرْطة ... كما نَبَّ في شِبْل التُّيوس عَتُودُها[8]
لعمري لقـد لـفَّ اليهوديُّ ثوبَه ... على غَـدرة شنعاءَ بـاق نَشِيدُها

1 عيدها : العيد هو ما اعتاده المرء من هم أو حزن أو مرض .
2 جيحان : نهر بالشام .
3 أذاعت به : ذهبت به . والأرواح : جمع ريح .
4 فريدها : نفيسها .
5 السنة : القحط .
6 لكيز : قبيلة .
7 من المثل : «هم في أمر لا ينادى وليده» ، أي في شدّة تنسى الأم وليدها فلا تناديه .
8 نب التيس : صاح عند الهياج . العتود من ولد الماعز : ما رعى وقوي حتى أتى عليه الحول .

فلو كان من قحطانَ أسماء شمَّرت كتائبُ من قحطانَ صُعْرٌ خدودُها
ففي رجب أو غُرَّةِ الشهر بعده تزوركُم حُمْرُ المنايا وسُودها
ثمانون ألفاً دِينُ عثمانَ دينُهم كتائبُ فيها جَبْرَئيل يقودُها
فمَن عاش منكم عاش عبداً ومَن يمت ففي النارِ سُقياه هناك صَدِيدُها

وقال ابن مَهْرُوَيْه : أخبرني به الحسن بن علي عنه ، حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني علي بن الصباح عن ابن الكلبيّ : أنّ مصعب بن الزّبير لمّا وليَ العراق لأخيه هرب أسماء بن خارجة إلى الشام ، وبها يومئذٍ عبد الملك بن مروان قد ولي الخلافة ، وقتل عمرو بن سعيد ، وكان أسماء أمَويّ الهوى ، فهدم مصعب بن الزّبير داره وحرقها ، فقال عبد الله بن الزَّبير في ذلك : [من الطويل]

تأوّب عين ابن الزَّبير سهودها

وذكر القصيدة بأسرها ، وهذا الخبر أصحّ عندي من الأوّل ، لأنّ الحسن بن علي حدَّثني قال : حدَّثنا أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال : حدَّثنا الزّبير بن بكّار قال : حدَّثني عمِّي مصعب قال : لمّا ولي مصعب بن الزّبير العراق ، دخل إليه عبد الله بن الزَّبير الأسديّ ، فقال له : إيهٍ يا ابن الزّبير ، أنت القائل : [من الطويل]

إلى رَجَب السبعينَ أو ذاك قبلَه تصبِّحكمْ حُمر المنايا وسُودُها
ثمانون ألفاً دين عثمان دينُهم كتائبُ فيها جَبْرَئيلُ يَقودُها

فقال : نعم أنا القائل لذلك ، وإنّ الحقِين ليأبى العِذْرة[1] ، ولو قدرت على جحده لجحدته ، فاصنع ما أنت صانع ؛ فقال : أما إنّي ما أصنع بك إلاّ خيراً ، أحسن إليك قوم فأحببتَهم وواليتَهم ومدحتَهم ، ثم أمر له بجائزة وكسوة ، وردّه إلى منزله مكرَّماً ، فكان ابنُ الزَّبير بعد ذلك يمدحه ويَشِيد بذكره ، فلمّا قتل مصعب بن الزُّبير اجتمع ابن الزَّبير وعبيد الله بن زياد بن ظبيانَ في مجلس ، فعرف ابنُ الزَّبير خَبره ، وكان عبيد الله هو الذي قتل مصعب بن الزُّبير ، فاستقبَلَه بوجهه وقال له : [من الطويل]

أبا مطر شَلَّت يمينٌ تفرَّعتْ بسيفك رأسَ ابنِ الحَوارِيِّ مصعبِ

فقال له ابنُ ظَبْيان : فكيف النجاة من ذلك ؟ قال : لا نجاة ، هيهات ! «سَبَق السيفُ

---

1 المثل «أبى الحقين العذرة» في مجمع الميداني 1 : 42 وجمهرة العسكري 1 : 28 ومستقصى الزمخشري 1 : 31 ، ومعناه أن اللبن المحقون يكذب الاعتذار بعدم وجود اللبن ، يُضرب للرّجل يعتذرُ ولا عُذْرَ له .

العَذَل[1]» ، قال : فكان ابن ظبيانَ بعد قتلِه مصعباً لا يَنتفع بنفسِه في نوم ولا يَقَظة ، كان يهوّل عليه في منامه فلا ينام ، حتى كَلَّ جسمُه ونُهِك ، فلم يزل كذلك حتى مات .

[عبيد الله بن زياد يجيزه]

وقال ابن الأعرابيّ : لمّا قدِم ابنُ الزَّبير من الشام إلى الكوفة دخل على عبيد الله بن زياد بكتاب من يزيد بن معاوية إليه يأمره بصيانته وإكرامه وقضاء دينه وحوائجه وإدرار عطائه ، فأوصله إليه ، ثم استأذنه في الإنشاد ، فأذِن له ، فأنشده قصيدته التي أوّلها[2] : [من الطويل]

صوت

أصَرْمٌ بليلى حادِثٌ أم تجنُّبُ ... أم الحبل منها واهِنٌ متقضّبُ

أم الودّ من ليلي كعهدي مكانه ... ولكنّ ليلى تستزيد وتَعتبُ

غَنّى في هذين البيتين حُنين ثاني ثقيل عن الهشاميّ . [من الطويل]

ألم تعلمي يا لَيْلَ أنّيَ ليِّنٌ ... هَضومٌ وأنّي عَنْبَسٌ حين أُغضبُ[3]

وأنّي متى أُنفقْ من المال طارِفاً ... فإنّيَ أرجو أن يَثُوبَ المثوّبُ

ألأنْ تَلِف المالُ التّلادُ بحقّه ... تَشَمَّسُ ليلى عن كلامي وتَقْطِبُ

عشيةَ قالت والركابُ مُناخةٌ ... بأكوارِها مشدودةً : أين تذهبُ ؟

أفي كلّ مصرٍ نازحٍ لك حاجةٌ ... كذلك ما أمرُ الفتى المتشعِّبُ

فوالله ما زالت تُلبِّثُ ناقتي ... وتقسم حتى كادت الشمسُ تغربُ

دعينيَ ما للموت عنّيَ دافعٌ ... ولا للذي ولّى من العيش مَطْلَبُ

إليك عبيدَ الله تَهوِي ركابُنا ... تَعسَّفُ مجهولَ الفلاة وتدأبُ

وقد ضمرت حتّى كأنّ عيونَها ... نِطافُ فَلاةٍ ماؤها متصبِّبُ

فقلت لها : لا تشتكي الأَيْنَ إنّه ... أمامَكِ قَرْمٌ من أُميّة مُصْعَبُ[4]

إذا ذَكروا فضلَ امرىء كان قبلَه ... ففضلُ عبيدِ الله أثرى وأطيَبُ

---

1 المثل «سبق السيف العذل» في مجمع الميداني 1 : 73 وفصل المقال 67 ومستقصى الزمخشري 2 : 115 وجمهرة العسكري 1 : 377 .

2 شعره : 49–51 .

3 الهضوم : المنفق لماله . والعنبس : الأسد .

4 الأين : الاعياء . ومصعب : مسوّد .

وأنّك لو يُشفِي بك القَرْحُ لم يُعد ... وأنت على الأعداء نابٌ ومِخلبُ
تصافى عبيدُ الله والمجدُ صفوةَ الـ ... ـحليفين ما أرسى ثَبيرٌ ويَثرِبُ
وأنـت إلى الخيرات أوّل سابق ... فأبشِر، فقد أدركتَ ما كنتَ تطلبُ
أعِنّي بسَجْل مـن سِجالك نافع ... ففي كلّ يوم قد سَرى لك مِحلبُ[1]
فإنّك لـو إيّاي تطلب حاجةً ... جرى لك أهلٌ في المقال ومَرْحَبُ

قال: فقال له عُبيد الله، وقد ضحك من هذا البيت الأخير: فإنّي لا أطلب إليك حاجة، كم السَّجل الذي يُرويك؟ قال: نوالُك أيّها الأمير يكفيني، فأمر له بعشرة آلاف درهم.

[الصديق المتغيّر]

قال ابن الأعرابيّ: كان نُعَيم بنُ دُجانة بنِ شَدّاد بن حُذَيفة بن بكر بن قيس بن مُنقِذ بن طَريف صديقاً لعبد الله بن الزّبير، ثم تغيَّر عليه، وبلغه عنه قول قبيح فقال في ذلك[2]: [من الوافر]

ألا طرقتْ رُوَيمةُ بعد هَدْءٍ ... تَخَطَّى هـولَ أنمـارٍ وأُسْدِ[3]
تجُـوس رحالنـا حتى أتتنا ... طُروقاً بـين أعرابٍ وجُنْدِ
فقالت: ما فعلتَ أبا كثيرٍ ... أصحَّ الودُّ أم أخلفتَ عهدي؟
كأنّ المسك ضمّ على الخُزامى ... إلى أحشائها وقضيبَ رَنْدِ
ألا مَن مُبْلِغ عنّي نُعيْما ... فسوف يجرِّبُ الإخوانَ بعدِي
رأيتك كالشموس تُرى قريباً ... وتمنـع مسحَ ناصيـةٍ وخَدِّ
فإنّي إن أَقَـعْ بـك لا أُهَلِّلْ ... كوقع السيف ذي الأَثْر الفِرِندِ[4]
فـأَوْلى ثـم أَوْلى ثـم أَوْلى ... فهـل للدَّرِّ يُحْلَب من مَرَدِّ؟

[قسوة عبد الله بن الزّبير على أخيه]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ قال: حدَّثني عيسى بنُ إسماعيل تِينة، وأخبرني عمّي قال: حدَّثنا الكُرانيّ قال: حدَّثني عيسى بن إسماعيل عن المدائنيّ عن خالد بنِ سعيد عن أبيه قال: كان عبد الله بن الزّبير صديقاً لعمرو بن الزّبير بن العوّام، فلمّا أقامه أخوه[5] ليُقتصّ منه بالغ كلّ ذي

1 السجل: الدلو العظيمة مملوءة.
2 شعره: 71–72 عن الأغاني.
3 أنمار وأسد: رجال شجعان كالنمور والأسود.
4 هلل عن الأمر: جبن وفزع.
5 أي عبد الله بن الزّبير.

حِقدٍ عليه في ذلك ، وتدسّس فيه من يتقرّب إلى أخيه ، وكان أخوه لا يسأل من ادّعى عليه شيئاً بيّنةً ، ولا يطالبه بحجّة ، وإنّما يقبل قوله ثم يُدخله إليه السجنَ ليقتصّ منه ، فكانوا يضربونه والقيْحُ ينتضِح من ظهره وأكتافِه على الأرض لشدّة ما يمرّ به ، ثم يُضرَب وهو على تلك الحال ، ثم أُمِر بأن يُرسَل عليه الجِعْلان ، فكانت تدِبّ عليه فتثقُب لحمه ، وهو مقيّد مغلول ، يستغيث فلا يغاث ، حتى مات على تلك الحال ، فدخل الموكَّل به على أخيه عبد الله بن الزَّبير وفي يده قدحُ لبن يريد أن يتسحَّر به وهو يبكي فقال له : ما لك ؟ أمات عمرو ؟ قال : نعم ، قال : أبْعده الله ، وشرب اللبن ، ثم قال : لا تُغسِّلوه ولا تكفِّنوه ، وادفنوه في مقابر المشركين ، فدُفِن فيها ، فقال ابن الزَّبير الأسديّ يرثيه ويؤنِّب أخاه بفعله ، وكان له صديقاً وخِلاً ونديماً[1] : [من الطويل]

أيـا راكِبـاً إمَّـا عَرَضْتَ فبلِّغَنْ ... كبيرَ بني العوّام إن قيل مَن تَعني
ستعلم ، إن جالت بك الحربُ جولةً ... إذا فَوّق الرامون ، أسهم مَن تُغْني
فأصبحتِ الأرحامُ حين وَليتها ... بكفَّيك أكراشاً تُجرُّ على دِمْنِ
عقدتمْ لعمرو عُقدةً وغَدرتُمُ ... بأبيضَ كالمصباح في ليلة الدَّجْنِ
وكبَّلتـه حَـوْلاً يجـود بنفسه ... تَنُوء بـه في ساقـه حَلَقُ اللَّبَنِ[2]
فما قـال عمرو إذ يجود بنفسه ... لضاربه ، حتى قضى نَحبَه : دَعْنِي
تحـدِّثُ مَـن لاقيتَ أنّك عائـذٌ ... وصرَّعتَ قَتلى بين زمزمَ والرُّكنِ[3]
جعلتم لضرب الظَّهرِ منه عِصيَّكم ... تُراوِحُـه ، والأَصْبَحيَّةُ للبطنِ[4]
تُعـذِّر منـه الآن لَمّـا قتلتَـه ... تَفاوُتَ أرجاءِ القليبِ مـن الشَّطْنِ[5]
فلَم أرَ وَفْـداً كان للغـدرِ عاقِـداً ... كوفدِكَ شدُّوا غيرَ مُوفٍ ولا مُسْنِي[6]
وكنتَ كذاتِ الفِسقِ لم تدرِ ما حَوَتْ ... تَخَيَّرُ حالَيْهـا أتسرق أم تـزني
جزى الله عنّي خالداً شرَّ مـا جَزى ... وعُروةَ شرّاً ، مِن خليلٍ ، ومن خِدنِ[7]

1 شعره : 133–136 .
2 اللبن : الضرب الشديد .
3 كان عبد الله بن الزَّبير يدعى العائذ لأنه عاذ بالبيت الحرام .
4 الأصبحية : السياط .
5 تعذر : تتكلّف العذر . والقليب : البئر . والشَطَن : الحبل الطويل .
6 أسناه : رفعه .
7 خالد وعروة أخوا عبد الله بن الزَّبير .

قتلتم أخاكم بالسِّياطِ سفاهةً ... فيا لَكَ لِلرأي المضلَّل والأَفْنِ[1]

فلو أنّكمْ أجهزتُم إذ قتلتُم ... ولكنْ قَتلتمْ بالسِّياطِ وبالسِّجْنِ

وإنّي لأرجو أن أرى فيك ما ترى ... به من عِقاب الله ما دونه يُغنِي

قطعتَ من الأرحام ما كان واشِجاً ... على الشَّيبِ ، وابتعتَ المخافةَ بالأَمنِ

وأصبحت تَسعى قاسِطاً بكتيبةٍ ... تهدِّمُ ما حول الحَطِيم ولا تبني[2]

فلا تَجْزَعَنْ من سُنَّةٍ قد سَنَنْتَها ... فما للدماء الدهرَ تُهْرَق مِن حَقْنِ[3]

[رثاء يعقوب بن طلحة]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني الخرّاز عن المدائنيّ قال : قتل يعقوب بن طلحة بن عبيد الله يوم الحَرَّة ، وكان يعقوب ابن خالة يزيد بن معاوية فقال يزيد : يا عجباً قاتلني كلّ أحد حتى ابن خالتي ! قال : وكان الذي جاء بنعيه إلى الكوفة رجل يقال له الكَرَوَّس ، فقال ابن الزَّبير الأَسَديّ يرثيه[4] : [من الطويل]

لعمرك ما هذا بعيش فيُبْتَغى ... هنيء ولا موتٍ يُريحُ سريعِ

لعمري لقد جاء الكَرَوَّسُ كاظماً ... على أمرِ سَوْءٍ حين شاع فظيعِ

نعى أسرةً يعقوبُ منهم فأقفرتْ ... منازلُهم من رُومةٍ فبَقِيعِ[5]

وكلّهمُ غيثٌ إذا قُحِط الورى ... ويعقوبُ منهم للأنامِ ربيعُ[6]

وقال ابن الأعرابيّ : كان على ابن الزَّبير دَين لجماعة ، فلازَموه ومنعوه التصرّف في حوائجه ، وألحّ عليه غريم له من بني نَهْشَل يقال له : ذئب ، فقال ابن الزَّبير[7] : [من الطويل]

أحابِسَ كيدِ الفيل عن بطن مكّةٍ ... وأنتَ على ما شئتَ جمُّ الفواضلِ[8]

أرِحْني من اللائي إذا حَلّ دَينُهم ... يمشُّون في الدارات مشيَ الأراملِ[9]

---

1 الأفن : ضعف العقل والرأي .
2 قاسط : ظالم جائر .
3 تهرق في ل : ما عشت .
4 شعره : 96–97 .
5 رومة : أرض بالمدينة . والبقيع : مقبرة أهل المدينة .
6 في البيت إقواء .
7 شعره : 113–114 عن الأغاني .
8 حابس كيد أصحاب الفيل عن مكّة هو الله . فهذا دعاء .
9 هذا البيت شاهد على استعمال «اللائي» بمعنى الذين .

إذا دخلوا قالوا : السلام عليكم ... وغير السلام بـالسلام يُحـاوِلُ[1]
أَلِـينُ إذا اشتدّ الغريــم وأَلتوِي ... إذا استدّ حتى يُدركَ الدينَ قابلُ[2]
عرضت على «زَيْد» ليأخذ بعض ما ... يحاولــه قبـل اشتغال الشواغلِ[3]
تثاءب حتــى قلتُ : داسِع نفسِه ... وأَخــرجَ أنيابـاً لـــه كالمَعاوِلِ[4]

[دخوله المدينة مع مروان بن الحكم]

وقال ابن الأعرابيّ : استجار ابن الزَّبير بمروانَ بنِ الحكم وعبد الله بن عامر لما هجا عبد الرحمن بن أمّ الحَكَم ، فأجاراه وقاما بأمره ، ودخل مع مروان إلى المدينة ، وقال في ذلك[5] : [من الطويل]

أجِدِّي إلى مَــرْوانَ عَدْواً فَقَلِّصي ... وإلاّ فرُوحي واغتــدِي لابن عامرِ
إلى نفــرٍ حَــول النبــيِّ بيوتُهـم ... مكاريمُ للعــافي رِقــاقُ المَآزِرِ[6]
لهمْ سورة في المجد قد عُلِمتْ لهم ... تُذَبذِبُ بــاعَ المتعَــب المتقاصِرِ
لهم عامــر البَطْحاء من بطن مكّة ... ورُومــة تسقى بالجمال القياسِرِ[7]

[حبسه زفر لأمويته]

وقال ابن الأعرابيّ : عرض قوم من أهل المَدْراء[8] لابن الزَّبير الأسديّ في طريقه من الشام إلى الكوفة وقد نزل بقَرْقِيسِياء[9] ، فاستعدَوا عليه زُفَرَ بن الحارث الكِلابيّ وقالوا : إنّه أُمويّ الهوى ، وكانت قيس يومئذ زُبَيْرية ، وقَرقيسيِاء وما والاها في يد ابن الزّبير ، فحبسه زفر أيّاماً وقيّده ، وكان معه رفيق من بني أميّة يقال له : أبو الحَدْراء ، فرحل وتركه في حبسه أيّاماً ، ثم تكلّمتْ فيه جماعة من مُضَر ، فأُطلق ، فقال في ذلك[10] : [من الطويل]

---

1 في البيت هذا والذي بعده إقواء .
2 في مجموع الشعر : «إذا لان حتى يدرك الدين قابلي» وهي رواية التاج .
3 في مجموع الشعر : «عرضت على ذئب» وهو أقرب إلى الصواب .
4 داسع : فاعل من الدسع وهو الدفع ، ودسعه كدفعه وزناً ومعنى .
5 شعره : 90 عن الأغاني .
6 رقاق المآزر : كناية عن النعيم والترف .
7 القياسر : الإبل الضخمة القوية .
8 أهل المدراء : الحضر .
9 قرقيسياء : بلد على الفرات .
10 شعره : 67–68 عن الأغاني .

أغـادٍ أبـو الحَـدْراء أم متروِّحُ ؟ كذاك النّـوى ممّـا تُجِدّ وتَمزحُ
لعمري لقد كانـت بلادٌ عريضةٌ لي الرَّوْحُ فيهـا عنك والمتسرَّحُ[1]
ولكنّه يدنـو البغيضُ ويبعد الـ ـحبيبُ وينأى في المَـزارِ وينزَحُ
ألا ليت شعري هل أتى أُمَّ واصلٍ كُبُولٌ أعَضُّوها بساقَـيَّ تَجْرَحُ
إذا ما صرفتُ الكعبَ صاحت كأنّها صريفُ خَطاطيفٍ بدَلوين تَمتَحُ[2]
تُبَغّـي أباهـا في الرفـاق وتنثني وألوى به في لُجَّةِ البحر تِمْسَحُ[3]
أمرتحِلٌ وفـدُ العـراق وغُودِرت تحِـنُّ بأبـواب المدينـة صَيْدَحُ[4]
فإنّـكِ لا تدريـن فيمـا أصابني أريثُكِ أم تعجيـلُ سَيرِكِ أنجَحُ
أظنّ أبـو الحدراء سَجني تجارةً ترجّى ومـا كلّ التجارة تَربحُ !

[القتل أو اللحاق بالمهلّب]

أخبرني محمد بن عمرانَ الصَّيرفيُّ قال : حدَّثنا الحسن بن عُلَيل قال : حدَّثني محمد بن معاوية الأسديّ قال : لما قدم الحجّاج الكوفة والياً عليها صعِد المِنبرَ ، فخطَبَهم فقال : يا أهل العراق ، يا أهل الشقاق والنفاق ، ومساوىء الأخلاق ، إنّ الشيطان قد باض وفرّخ في صدوركم ، ودبَّ ودَرج في حُجوركم ، فأنتم له دِين ، وهو لكم قرِين ، ﴿وَمَنْ يَكُن الشَّيْطانُ لَهُ قَرِيناً فَساءَ قَرِيناً﴾ . ثم حثّهم على اللَّحاق بالمهلَّب بن أبي صُفرة ، وأقسم ألاّ يجدَ منهم أحداً اسمُه في جريدة المهلّب بعد ثالثة بالكوفة إلاّ قتله ، فجاء عُمَير بن ضابىء البُرْجُميّ فقال : أيّها الأمير ، إنّي شيخ لا فضل فيَّ ، ولي ابنٌ شابٌّ جَلْد ، فاقبله بدلاً منّي ؛ فقال له عَنبسة بن سعيد بن العاص : أيّها الأمير ، هذا جاء إلى عثمان وهو مقتول ، فرفَسَه وكسرَ ضِلْعين من أضلاعه ، وهو يقول :

أين تركتَ ضابئاً يـا نَعْثَلُ

فقال له الحجّاج : فهلاّ يومئذ بعثتَ بديلاً ، يا حَرَسيّ ! اضربْ عنقه ، وسمع الحجّاج ضَوءضاء ، فقال : ما هذا ؟ فقال : هذه البراجم جاءت لِتنصُر عميراً فيما ذكرَت ، فقال :

---

1 الروح : الراحة . والمتسرح : انفراج الضيق .
2 صرفت : حركت . والخطاطيف : جمع خطاف وهو حديدة حجناء في جانبي البكرة . والصريف : صوت البكرة عند الاستسقاء .
3 تمسح : تمساح .
4 صيدح : اسم ناقة ذي الرمة ، ويبدو أنه اسم ناقة ابن الزّبير أيضاً .

أتحفوهم برأسه ، فرموهم برأسه ، فولّوا هاربين ، فازدحم الناسُ على الجِسر للعُبور إلى المهلّب حتى غرق بعضُهم ، فقال عبد الله بن الزَّبير الأسديّ[1] : [من الطويل]

أقــول لإبراهيــمَ لمّــا لقيتُــه أرى الأَمر أَمسى واهيــاً متشعبا[2]

تخيرْ فإمّا أن تزور ابن ضابىءٍ عميراً وإمّا أن تـــزور المهلّبــا

هما خُطَّتا خَسْفٍ نَجاؤك منهما ركوبُك حَوْليّاً من الثلج أشهبا[3]

فأَضحى ولو كانت خُراسانُ دونَه رآها مكان السَّوقِ أَو هـــي أَقربا

[مصعب لا يقبل مديحه]

أَخبرني عيسى بنُ الحسين الورّاق قال : حدَّثنا الزّبير بن بكّار قال : حدَّثني علي بن عَثّام الكلابيّ قال : دخل عبد الله بن الزَّبير الأسديُّ على مصعب بن الزُّبير بالكوفة لمّا وَلِيَها وقد مدحه ، فاستأذنه الإنشاد ، فلمْ يأذن له ، وقال له : أَلَم تُسقِط السماء علينا وتمنعْنا قَطْرها في مديحك لأسماءَ بن خارجة ؟ ثم قال لبعض من حضر : أَنشِدْها ، فأنشَدَه[4] : [من الوافر]

إذا مات ابنُ خارجةَ بن حِصنٍ فلا مَطَرتْ على الأرض السماءُ

ولا رجعَ الوُفود بغُنم جيشٍ ولا حَملتْ على الطُّهر النساءُ

ليَــومٌ منــك خيرٌ مــن أُناسٍ كثيرٍ حَولَهــم نَعَـــمٌ وشاءُ

فبُــورِك في بنيــك وفي أَبيهمْ إذا ذُكروا ونحــن لك الفداءُ

فالتفت إليه مصعب وقال له : اذهب إلى أسماء ، فما لك عندنا شيء ، فانصرف ، وبلغ ذلك أسماء ، فعوّضه حتى أرضاه ، ثم عوّضه مصعب بعد ذلك ، وخُصّ به ، وسمع مديحَه ، وأَحسن عليه ثوابَه .

[مع بشر بن مروان]

قال ابن الأعرابيّ : لِما وِلي بشر بن مروانَ الكوفةَ أَدنى عبدَ الله بنَ الزّبير الأسديّ وبرَّه وخصَّه بأنسه ، لعلمه بهواه في بني أميّة ، فقال يمدحه[5] : [من الطويل]

---

1 شعره : 54–56 .

2 في رواية :

أقــول لعبد الله يــــوم لقيتـــه أرى الأمر أمسى منصباً متشعبا

3 أي هناك أمران فيهما الهوان والهلاك ، ولا ينجي منهما إلاّ اللجوء إلى جبل يغطيه الثلج طوال العام .

4 شعره : 47–48 .

5 شعره : 80 عن الأغاني .

أَلَمْ تَـرَنِي والحمـد لله أنّنـي برئـت وداواني بمعْروفِـه بِشرُ
رعـى مـا رعى مروانُ مِنّيَ قَبلَه فصحَّت له منّي النصيحة والشكرُ[1]
ففي كلّ عام عاشَه الدهرَ صالحاً عليّ لـربّ العالَمـين لـه نَذْرُ
إذا مـا أَبو مـروان خَلّى مكانَه فلا تَهنـأ الدنيا ولا يُرسَل القطرُ
ولا يَهنِيء النـاسَ الولادةُ بينهم ولا يَبقَ فوق الأرض من أَهلها شَفْرُ[2]
فليس البحـور بالتـي تخبرونني ولكن أَبو مروان بشرٌ هـو البحرُ

وقال فيه أيضاً فذكر أمّه قُطْبة بنت بشر بن مالكٍ مُلاعب الأسنّة[3] : [من الكامل]

جاءت بـه عُجُـزٌ مقابَلـةٌ مـا هن مِن جَرْم ومن عُكْلِ[4]
يا بشرُ يـا ابن الجعفريّة ما خَلَـق الإلـهُ يديْك للبُخلِ
أنتَ ابـن سادات لأَجمَعِهِم في بطـن مكّـةَ عـزّةُ الأَصلِ
بحـر مـن الأعياصِ جُدْن به في مغـرِسٍ للجُـودِ والفضلِ
متهلّـلٌ تَنْـدى يَـداه إذا ضنَّ السحاب بوابـلٍ سَجْلِ

[خبره مع الحجاج]

أُخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكرانيّ قال : حدَّثنا العمريّ ، عن الهيثم بن عديّ عن عبد الله بن عيّاش قال : أخبرني مشيخةٌ من بني أسد أن ابن الزَّبير الأسديَّ لمّا قفل من قتال الأزارقة صُوِّب[5] بعثٌ إلى الرَّيّ ، قال : فكنتُ فيه ، وخرج الحجّاج إلى القنطرة يعني قنطرةَ الكوفة التي بزُبارَةَ ليَعرِض الجيشَ ، فعرضهم ، وجعل يسأل عن رجلٍ رجلٍ من هو ؟ فمرّ به ابنُ الزّبير ، فسأله من هو ؟ فأخبره ، فقال أَنت الذي تقول : [من الطويل]

تَخيَّرْ فإمّا أَن تزور ابنَ ضابىءٍ عُمَيراً ، وإمّـا أن تزور المهلَّبا

قال ، بلى ، أَنا الذي أَقول[6] : [من الطويل]

1 النصيحة في ل : الصنيعة .
2 شفر : أحد ، وفي رواية «سفر» .
3 شعره : 107–108 .
4 عجز : جمع عجوز . مقابلة : كريمة النسب من الأب والأم وجرم وعكل : بطنان من عرب اليمن . وعكل ترمى بالغباوة وقلّة الفهم .
5 صوب : أرسل .
6 شعره : 69–70 .

أَلَم تَــرَ أنّي قــد أُخــذتُ جَعِيلةً   وكنتُ كمَن قاد الجَنيبَ فأسمَحا[1]

فقال له الحجّاج : ذلك خير لك ، فقال : [من الطويل]

وأوقَدَتِ الأعداء يـا مَـيَّ فاعلَمِي   بكلّ شَرًى نـاراً فلَمْ أرَ مَجْمَعا[2]

فقال له الحجّاج : قد كان بعض ذلك ، فقال : [من الطويل]

ولا يَعدَم الدّاعي إلى الخير تابعــاً   ولا يَعدَم الدّاعي إلى الشرّ مَجْدَحا[3]

فقال له الحجّاج : إن ذلك كذلك ، فامض إلى بَعْثِك ، فمضى إلى بعثه فمات بالرّيّ .

[سبب هجائه ابن أمّ الحكم الأسديّ]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزّبير بن بكّار قـال : حدَّثـني عمّي قال : لما وليَ عبدُ الرحمن ابن أمّ الحكم الكوفة ، مدحه عبد الله بن الزّبير الأسدي فلم يُثِبه ، وكان قدِم في هيئة رثّة ، فلمّا اكتسب وأثرى بالكوفة تاه وتجبّر ، فقال ابن الزّبير فيه[4] : [من الطويل]

تبقّلْت لمـا أن أُتيتَ بلادكمْ   وفي مصرنا أنت الهمام القَلَمَّسُ[5]

ألستَ ببغـــل أمّــه عربيّــة   أبـوك حمار أدبرُ الظهرِ يُنخَسُ

قال : وكان بنو أميّة إذا رأوا عبدَ الرحمن يلقّبونه البغلَ ، وغلبتْ عليه حتى كان يشتم من ذكر بغلاً ، يظنّه يعرّض به .

[تشفيه بقتل عبد الله بن الزّبير]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكُرانيُّ عن العُمَريّ عن العُتْبيّ قال : لمّا قُتِل عبد الله بن الزُّبَير صلب الحَجّاج جسدَه ، وبعث برأسه إلى عبد الملك ، فجلس على سريره وأذِن للناس فدخلوا عليه ، فقام عبدُ الله بن الزّبير الأسديّ فاستأذنه في الكلام ، فقال له : تكلّم ولا تقل إلاّ خيراً ، وتوخّ الحقَّ فيما تقولُه ، فأنشأ يقول[6] : [من الطويل]

مشى ابن الزُّبَير القَهْقَرى فتقدّمت   أميّــة حتّــى أحرزوا القَصَبَاتِ

---

1 الجعيلة : ما يجعل للمرء على عمله . الجنيب : الذي يقاد إلى الجنب . وأسمحَ : لان وانقاد .

2 الشرى : الطريق والناحية . ومجمح : مفر ومهرب .

3 جدح السويق : لته . ومجدع : خشبة يحرك بها .

4 شعره : 94 . وفيه «تثعلبت» بدلاً من «تبتلت» .

5 تبقّلت في مجموع شعره : بثعلبت . القلمس : البحر ، والرجل الخير المعطاء والسيد العظيم .

6 شعره : 64 .

وجئتَ المجَلّي يا ابنَ مروان سابقاً أمامَ قريش تنفُض العُذُراتِ[1]
فلا زلتَ سبّاقاً إلى كلّ غاية من المجد نجّاءً من الغَمَراتِ[2]

[في المُحِلّ الحجّاج]

قال : فقال له : أحسنت فسل حاجتك : فقال له : أنت أُعلى عيناً بها وأرحَبُ صَدْراً يا أمير المؤمنين ؛ فأمر له بعشرين ألف درهم وكسوة ، ثم قال له : كيف قلت ؟ فذهب يعيد هذه الأبيات ، فقال : لا ، ولكن أبياتك في المُحِلّ[3] فيّ وفي الحجّاج التي قلتَها : فأنشده[4] : [من الطويل]

كأنّي بعبد الله يركب رَدْعَه وفيه سنان زاعِبيٌّ محَرَّبُ[5]
وقد فرّ عنه الملحِدون وحلَّقتْ به وبمن آساه عَنقاءُ مُغْرِبُ[6]
تولَّوا فخلَّوه فشالَ بشِلوه طويل من الأجذاع عارٍ مُشذَّبُ
بكفّيْ غلام من ثقيفٍ نَمَت به قريش وذو المجد التليدُ مُعتَّبُ

فقال له عبدُ الملك : لا تقل غلام ، ولكن هُمام ، وكتب له إلى الحجّاج بعشرة آلاف درهم أُخرى ؛ والله أعلم .

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن الهيثم بن عديّ ، عن مجالد قال : قَتَل ابنُ الزُّبير من شيعة بني أميّة قوماً بلغه أنّهم يتجسّسون لعبد الملك ، فقال فيه عبد الله بنُ الزُّبير في ذلك يهجوه ويعيِّره بفعله[7] : [من الرمل]

أيّها العائذ في مكّة كَمْ من دمٍ أهرَقْتَه في غير دمْ[8]
أيَدٌ عائذةٌ معصمةٌ ويد تقتل مَن حلَّ الحَرَمْ ![9]

---

1 العذرة : الناصية .
2 الغمرة : الشدّة .
3 كان عبد الله بن الزُّبير يدعى «المحل» لاحلاله القتل في الحرم .
4 شعره : 52 .
5 يقال للقتيل «ركب ردعه» إذا خر لوجهه على دمه . والسنان المحرب : المحدد . والزاعبي : المنسوب إلى زاعب ، ولعلّه اسم رجل أو بلد ، وهو الرمح الذي إذا هز تدافع كلّه (اللسان ـ زعب) .
6 عنقاء مغرب : أي التي أغربت في البلاد فنأت ولم تحس ولم ترَ .
7 شعره : 132 .
8 أهرقته في شعره : أجريته .
9 حلّ في شعره : جاء .

[مدائحه في بشر بن مروان]

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ فيه إصلاحات بخطّه ، والكتاب بخطّ النضر بن حديد من أُخبار عبد الله بن الزّبير وشعرِه ، قال : دخل عبد الله بن الزّبير على بشر بن مروانَ وعليه ثياب كان بشرٌ خلَعَها عليه ، وكان قد بلغ بشراً عنه شيء يكرهه ، فجفاه ، فلمّا وصل إليه وقف بين يديه ، وجعل يتأمّل مَن حَوالَيه من بني أميّة ، ويجيل بصرَه فيهم كالمتعجّب من جمالهم وهيئتهم ، فقال له بشر ، إن نظرك يا ابن الزَّبير ليدلّ أنّ وراءَه قولاً ؛ فقال : نعم ، قال : قل ؛ فقال[1] : [من الوافر]

كأنّ بنــي أُميّــة حــول بشر ... نجومٌ وَسْطَهــا قمــر منيرُ
هــو الفرع المقدَّم مــن قريش ... إذا أخذتْ مآخِذَهــا الأمورُ
لقــد عمت نوافلُـه فأُضحى ... غنيّــاً مِــن نوافلــه الفقيرُ
جبَرْتَ مَهيضَنا وعَدَلْتَ فينــا ... فعــاش البائس الكَلُّ الكَسِيرُ[2]
فأنت الغيثُ قد علمتْ قريش ... لنــا ، والواكِفُ الجَوْنُ المَطِيرُ[3]

قال : فأمر له بخمسة آلاف درهم ورضيَ عنه ، فقال ابن الزَّبير[4] : [من الطويل]

لِبشرِ بنِ مــروانٍ على الناس نعمة ... تــروح وتغــدو لا يطــاقُ ثوابُها
بــه أمّن الله النفوسَ مــن الرّدى ... وكانــت بحــال لا يَقَــرُّ ذُبابُها[5]
دمغْتَ ذوي الأضغان يا بشر عَنوةً ... بسيفك حتى ذَلَّ منهــا صِعابُها
وكنت لنا كهفاً وحِصناً ومَعقِلاً ... إذا الفِتنة الصَّمّاء طارت عُقابُها[6]
وكم لك يا بشر بنَ مروانَ من يدٍ ... مهذَّبــةٍ بيضــاءَ راسٍ ظِرابُها[7]
وَطَدْتَ لنــا ديــنَ النبيّ محمــدٍ ... بحلمك إذ هرَّت سَفاهاً كِلابُها
وسُدتَ ابنَ مروانٍ قريشاً وغيرَها ... إذا السنةُ الشهباءُ قــلَّ سَحابُها[8]

---

1 شعره : 82–83 .
2 هاض العظم : كسره بعد أن جبر أوكاد .
3 الجون هنا : السحاب الأسود .
4 شعره : 62–63 .
5 الذباب : الشر .
6 الكهف : الملجأ . والفتنة الصماء : التي لا سبيل إلى تسكينها .
7 الظراب : الجبل المنبسط .
8 السنة الشهباء : المجدبة .

رَأَيْتَ ثَآنا واصطنعتَ أياديـاً ... إلينا ونـارُ الحـربِ ذاكٍ شِهابُها[1]

قال النضر بن حديد في كتابه هذا : ودخل عبد الله بنُ الزَّبير إلى بشر بنِ مروان متعرّضاً له ويُسمِعَه بيتاً من شعره فيه ، فقال له بشر : أراك متعرّضاً لأن أسمع منك ، وهل أبقى أسماء بن خارجة منك أو من شعرك أو من ودّك شيئاً ؟ لقد نزحتَ فيه بحرَك يا ابنَ الزَّبير ؛ فقال : أصلح الله الأمير ، إن أسماء بن خارجة كان للمدح أهلاً ، وكانت له عندي أيادٍ كثيرة ، وكنتُ لمعروفه شاكراً ، وأيادي الأمير عندي أجلّ ، وأمَلِي فيه أعظم ، وإن كان قولي لا يحيط بها ففي فضل الأمير على أوليائه ما قبِل به ميسورهم ، وإن أذن لي في الإنشاد رجوتُ أن أوفَّق للصواب . فقال : هات ، فقال[2] : [من الطويل]

تداركنـي بشرُ بنُ مـروانَ بعدما ... تعاوَتْ إلى شِلوِي الذئابُ العواسِلُ[3]

غِياث الضعاف المُرمِلين وعصمةُ الـ ... ـيتامى ومَـنْ تأوي إليهِ العباهلُ[4]

قَريعُ قريشٍ والهمـامُ الذي لـه ... أقرَّت بنـو قحطان طُرّاً ووائلُ[5]

وقيسُ بن عَيـلانٍ وخِنْدِفُ كلُّها ... أقرّت وجِنُّ الأَرض طُرّاً وخابِلُ[6]

يداك ابنَ مروان يـدٌ تقتل العدا ... وفي يدك الأُخرى غياثٌ ونائلُ[7]

إذا أمطرَتْنا منك يومـاً سحابةٌ ... رَوِينا بمـا جادت علينا الأناملُ

فلا زلت يا بشر بن مروانَ سيّداً ... يُهـلّ علينـا منـك طَلٌّ ووابلُ

فأنت المصفّى يا ابن مروانَ والذي ... توافـت إليـه بالعطـاء القبائلُ

يرجُّون فضلَ اللهِ عنـد دعائكمْ ... إذا جمَعتكـمْ والحجيجَ المنازلُ

ولولا بنـو مروان طاشت حُلومنا ... وكنّـا فَراشاً أحرقتْهـا الشعائلُ

[ثناء وتعرّض]

فأمر له بجائزة وكساه خِلعة ، وقال له : إنّي أريد أن أوفِدَكَ على أمير المؤمنين ، فتهيّأ لذلك يا ابنَ الزَّبير ، قال : أنا فاعل أيّها الأمير ، قال : فماذا تقول له إذا وفدتَ عليه ولقيته إن

---

1 الثأى : الإفساد .
2 شعره : 101–102 .
3 الذئب العاسل : المضطرب في عدوه .
4 المرمل : الفقير أو الذي نفد زاده . والعباهلة : الذين أُقروا على ملكهم لا يُزالون عنه .
5 القريع : السيد .
6 الخابل : الجن .
7 غياث في ل : عقاب .

شاء الله . فارتجل من وقته هذه القصيدة ثم قال[1] : [من الطويل]

أقــول : أميرَ المؤمنــين عَصَمتَنا ... ببشر من الدَّهــر الكثير الزَّلازلِ[2]

وأطفـأتَ عنّـــا نـــارَ كلّ منافق ... بأبيضَ بُهلــولٍ طويـل الحمائلِ[3]

نَمَتْـــهُ قُــرومٌ مــن أميّــة للعلا ... إذا افتخـر الأقــوام وَسْط المحافلِ

هــو القائد الميمونُ والعِصمة التي ... أتى حقُّهــا فينـــا على كلّ باطلِ

أقــام لنـــا الديــنَ القويــمَ بحلمِه ... ورأي لـــه فضـــلٌ على كلّ قائــلِ

أخــوك أمير المؤمنــين ومن بــه ... نُجادُ ونُسقى صَوْبَ أسحَم هاطِلِ

إذا مـــا سألنا رِفــده هَطَلَت لنا ... سحابـــة كفَّيــه َبجَـــوْدٍ ووابِلِ

حليمٌ على الجُهّــال منّـــا ورحمــةٌ ... على كلّ حـــافٍ من مَعَدٍّ وناعلِ

[شعر الفرزدق في بشر بن مروان]

فقال بشر لجلسائه : كيف تسمعون ؟ هذا والله الشعر ، وهذه القدرة عليه ! فقال له حَجّار بن أبجر العجليّ ، وكان من أشراف أهل الكوفة ، وكان عظيم المنزلة عند بشر : هذا أصلَح الله الأميرَ أشعرُ الناس وأحضَرُهم قولاً إذا أراد ، فقال محمد بن عمير بن عطارِد ، وكان عدوّاً لحجّار ، أيّها الأمير ، إنّه لشاعر ، وأشعَرُ منه الذي يقول[4] : [من الطويل]

لبشرِ بـــنِ مــروانٍ على كلّ حالةٍ ... من الدَّهرِ فضلٌ في الرخاء وفي الجهدِ

قريــع قريش والذي بـــاع مالــه ... ليَكسِب حَمْداً حين لا أحدٌ يُجْدِي[5]

ينافس بشر في السماحة والنّدى ... ليُحرز غايـــاتِ المَكـــارمِ بالحمدِ

فكم جبرتْ كفّاك يا بِشرُ من فتًى ... ضَريكٍ ، وكم عيَّلت قوماً على عَمَدِ[6]

وصيّرتَ ذا فقــرٍ غنيّاً ، ومثريـــاً ... فقيراً ، وكلاًّ قد حذوتَ بلا وعدِ

فقال بشر : من يقول هذا ؟ قال : الفرزدق ، وكان بشر مُغضَباً عليه ، فقال : ابعثْ إليه

1 شعره : 111-112 .

2 الزلازل : البلايا والشدائد .

3 أبيض : نقي العرض من الدنس والعيوب ، ولا يراد به اللون . والبهلول : السيد الجامع لكلّ خير . الحمائل : جمع حمالة ، وهي علاقة السيف . وطول الحمالة كناية عن طول القامة .

4 ديوان الفرزدق 1 : 179 .

5 يجدي : يعطي .

6 الضريك : الفقير .

فأحضِرْه ، فقال له : هو غائب بالبصرة ، وإنّما قال هذه الأبيات وبعث بها لأُنشِدَكَها ولتَرضى عنه ، فقال بشر : هيهات ! لست راضياً عنه حتى يأتيَني ، فكتب محمد بن عمير إلى الفرزدق ، فتهيّأ للقدوم على بشر ، ثم بلغه أن البَصْرة قد جُمِعتْ له مع الكوفة ، فأقام وانتظر قدومَه ، فقال عبد الله بن الزَّبير لمحمّد بن عُمَير في مجلسه ذلك بحضرة بِشر : [من الطويل]

بني دارمٍ هل تعرفون محمداً ... بِدعوَته فيكم إذا الأمر حُقِّقا[1]
وساميتُم قوماً كراماً بمجدكم ... وجاء سُكَيْتاً آخر القوم مخفِقا
فأصلُك دُهْمان بنُ نصرٍ فردَّهم ... ولا تك وَغْداً في تميم معلَّقا
فإن تميماً لستَ منهم ولا لهمْ ... أخاً يا ابن دُهمانٍ فلا تك أحمقا
ولولا أبو مروان لاقَيْتَ وابِلاً ... من السوط يُنسيك الرَّحيق المعتَّقا
أحينَ عَلاكَ الشيبُ أصبحتَ عاهراً ... وقلت اسقني الصَّهباء صِرفا مروَّقا
تركت شرابَ المسلمين ودينَهم ... وصاحبتَ وَغْداً من فَزارة أُزرقا[2]
تبيتان من شُرب المدامةِ كالذي ... أُتيح له حبلٌ فأضحى مخنَّقا

فقال بشر : أقسمتُ عليك إلاّ كففتَ ، فقال : أفعلُ أصلحك الله ، والله لولا مكانك لأنفذتُ حِضْنَيْه[3] بالحقّ ، وكفّ ابن الزَّبير وأحسن بشر جائزته وكسوته ، وشمِت حجّار بن أبجر بمحمد بن عمير ، وكان عدوَّه ، وأقبلت بنو أسد على ابن الزَّبير فقالوا : عليك غضب الله ، أشمتَّ حجّاراً بمحمد ، والله لا نرضى عنك حتى تهجوَه هجاءً يَرضى به محمد بن عمير عنك ، أو لست تعلم أنّ الفرزدق أشعَرُ العرب ؟

قال : بلى ، ولكن محمداً ظلمني وتعرّض لي ، ولم أكن لأحلُمَ عنه إذ فعل ، فلم تزل به بنو أسد حتى هجا حجّاراً ، فقال[4] : [من الطويل]

سليلَ النّصارى سُدّتَ عِجلاً ولم تكن ... لذلك أهْلاً أن تسود بني عِجْلِ
ولكنّهم كانوا لئاماً فَسُدْتَهمْ ... ومثلُك من ساد اللئامَ بلا عَقْلِ
وكيف بِعجلٍ إن دنا الفِصْحُ واغتدتْ ... عليك بَنُو عجل ومِرجَلُكم يَغْلي

---

1 دِعوة : ادّعاء النسب إلى غير الأب أو العشيرة .
2 أزرق : أي أزرق العينين ، وكانت الزرقة مكروهة عند العرب لأنها من صفات الروم .
3 الحضن : الجنب .
4 شعره : 109 عن الأغاني .

وعندك قِسّيس النصارى وصُلْبُها وعانيّةٌ صَهْباءُ مثلُ جَنى النحلِ[1]

قال : فلمّا بلغ حجّاراً قوله شكاه إلى بشر بن مروان ، فقال له بشر : هجوت حجّاراً ؟ فقال : لا والله أعزّ الله الأمير ، ما هجوتُه ، لكنّه كذب عليّ ، فأتاه ناس من بني عجل وتهدّدوه بالقتل ، فقال فيهم[2] : [من الطويل]

تُهدِّدني عجلٌ ، وما خِلتُ أنّني خَلاةٌ لعجلٍ والصليبُ لها بعلُ
وما خِلتُني والدَّهرُ فيه عجائبٌ أُعمَّر حتى قد تهدّدني عِجلُ
وتُوعِدُنِي بالقتل منهم عصابةٌ وليس لهم في العزّ فرعٌ ولا أصلُ
وعجلٌ أُسود في الرخاء ، ثعالبٌ إذا التقت الأبطال واختلف النَّبلُ
فإن تَلْقَنا عِجلٌ هناك فمالنا ولا لهمُ مِ الموتِ مَنْجًى ولا وَعْلُ[3]

[لجوؤه إلى سويد بن منجوف]

وقال النضر في كتابه : لمّا منع عبد الرحمن بن أُمّ الحَكَم عبد الله بن الزَّبير الخروجَ إلى الشام ، وأراد حبسه ، لجأ إلى سُوَيد بن مَنْجوف ، واستجار به ، فأخرجه مع بني شيبانَ في بلادهم ، وأجازه[4] عَمل ابن أُمّ الحكم ، فقال يمدحه[5] : [من الطويل]

أليس ورائي إن بلادٌ تجهَّمتْ سويدُ بنُ مَنْجُوفٍ وبكر بن وائلِ
حصونٌ بَراها الله لم يُرَ مِثلُها طِوالٌ أعاليها شِدادُ الأسافلِ
هُم أصبَحوا كَنْزي الذي لَسْتُ تاركاً ونَبْلي التي أعددتُها للمُناضِلِ

[منعه حاجب بشر]

وقال أيضاً في هذا الكتاب : جاء عبد الله بن الزَّبير يوماً إلى بشر بنِ مروان ، فحجبه حاجبُه ، وجاء حجّار بن أبجرَ فأذِن له ، وانصرف ابن الزَّبير يومئذٍ ، ثم عاد بعد ذلك إلى بشر وهو جالس جلوساً ، فدخل إليه ، فلمّا مثل بين يديه أنشأ يقول[6] : [من الطويل]

ألم تَرَ أنّ الله أعطى فَخَصَّنا بأبيضَ قَرمٍ من أميّةَ أزهرا

---

1 العانية : الخمر المنسوبة إلى عانة بلدة بالعراق .
2 شعره : 103 عن الأغاني .
3 الوعل : الملجأ .
4 أجازه : سهل له اجتياز حدود ولايته .
5 شعره : 110 عن الأغاني .
6 شعره : 85–86 .

طَلوع ثنايا المجد ، سامٍ بطَرفه ... إذا سُئل المعروفَ ليس بأَوْعرا
فلولا أَبو مروان بِشْرٌ لقد غدت ... ركابيَ في فَيْف من الأَرْضِ أَغبرا[1]
سِراعاً إلى عبد العزيز دوائباً ... تَخلّلُ زَيتونا بمصر وعَرْعَرا
وحاربتُ في الإسلام بكرَ بنَ وائل ... كحربِ كليب أو أمرَّ وأَمْقَرا[2]
إذا قادتِ الإسلامَ بَكر بن وائلٍ ... فهَبْ ذاك دِينا قد تغيَّر مُهتَرا[3]
بأيّ بلاءٍ أم بأيّ نصيحةٍ ... تُقدِّم حَجّاراً أَمامي ابنَ أَبجَرا
وما زلتُ مذ فارقتُ عثمان صادِياً ... ومروانَ مُلتاحاً عن الماء أزورا[4]
أَلا ليتني قُدِّمتُ واللهِ قَبْلَهُمْ ... وأن أُخي مَرْوان كان المؤخّرا
بهم جُمِعَ الشمل الشَّتيتُ ، وأُصْلَح الـ ... ـإله ، وداوى الصَّدْعَ حتّى تَجَبَّرا
قضى الله : لا ينفكّ منهم خليفةٌ ... كريم يسوس الناسَ يركبُ مِنبرا

فاعتذر إليه بشرٌ ووصلَه وحمله ، وأنكر على حاجبه ما تشكّاه ، وأَمر أن يأذن له عند إذنه لأخصِّ أَهله وأوليائه .

[الزُّبير بن الأشيم شاعر]

وقال النضر في كتابه هذا : كان الزَّبير بن الأَشْيَم ، أَبو عبد الله بن الزَّبير شاعراً ، وكان لعبد الله بنِ الزّبير ابن يقال له الزَّبير شاعر ، فأمّا أَبوه الزّبير بن الأشيم فهو الذي يقول : [من الطويل]

أَلا يا لقَومي للرّقاد المؤرِّقِ ... وللرَّبْع ، بعد الغِبْطة ، المتفرِّقِ
وهمٍّ الفتى بالأَمْرِ من دون نَيْله ... مراتبُ صعباتٌ على كُلّ مُرْتَقي
ويوم بصحراء البَدِيدَيْنِ قِلته ... بمنزلة النُّعمان وابن محرِّقِ
وذلك عيش قد مَضَى كان بَعْدَه ... أمورٌ أشابَتْ كلَّ شأن ومَفرَقِ
وغيَّر ما استنكرتِ يا أمّ واصلٍ ... حوادثُ إلاّ تَكْسر العظم تَعرِقِ
فراقُ حبيبٍ أَو تغيُّر حالةٍ ... من الدَّهرِ أَورامٍ لشخصي مُفوِّقِ

---

1 الفيف : المفازة .
2 أمقر : أمرّ .
3 أُهتر الرجل : ذهب عقله فهو مهتر .
4 الملتاح : المتغير .

على أنّني جَلْـدٌ صبورٌ مرزَّأ   وهل تتركُ الأيّـامُ شيئاً لمشفِقِ ؟

[شعر لابن عبد الله]

وأمّا ابنه الزّبير بن عبد الله بن الزّبير ، فهو القائل يمدح محمد بنَ عيينة بنِ أسماء بن خارجة الفَزاريّ : [من مجزوء الكامل]

قالـت عبيدَةُ مَوْهِـناً   أيـن اعْتَراكَ الهـمُّ أينَهْ
هـل تبلغنَّ بـك المُنى   مـا كنت تأمُل في عُيينهْ
بـدرٌ لـه الشِّيَم الكرا   ئـم كامـلاتٌ فاعتَلَيْنَهْ
والجـوعُ يَقتُله النّـدى   منـه إذا قَحْـطٌ ترينَهْ
فهنـاك يَحْمَدُه الورى   أخلاق غيركم اشتكينهْ

قال : وهو القائل في بعض بني عمّه : [من الطويل]

ومولى كَداءِ البَطْنِ أو فوق دائه   يزيدُ موالي الصدّقِ خيراً وينقصُ
تلوّمتُ أرجـو أن يَثُوب فيرْعَوِي   بـه الحلمُ حتّى استيأسَ المتربِّصُ

[هرب إلى معاوية]

وقال النضر في كتابه هذا : لمّا هرب ابن الزّبير من عبد الرحمن بن أم الحَكَم إلى معاوية ، أحرق عبدُ الرحمن داره[1] ، فتظلّم منه وقال : أحرق لي داراً قد قامت عليّ بمائة ألف درهم ، فقال معاوية : ما أعلم بالكوفة داراً أنفق عليها هذا القدر ، فمَن يعرف صحّة ما ادّعيت ؟ قال : هذا المنذر بن الجارود حاضر ويعلم ذلك ، فقال معاوية للمنذر : ما عندك في هذا ؟ قال : إنّي لم آبَهْ لنفقته على داره ومبلغها ، ولكنّي ما دخلت الكوفة وأردت الخروج عنها ، أعطاني عشرين ألف درهم وسألني أن أبتاع له بها ساجاً من البصرة ، ففعلت ، فقال معاوية : إنّ داراً اشتري لها ساج بعشرين ألف درهم لحقيق أن يكون سائر نفقتها مائة ألف درهم ! وأمر له بها ، فلمّا خرجا أقبل معاوية على جلسائه ، ثم قال لهم : أيّ الشيخين عندكم أكذب ؟ والله إنّي لأعرف داره ، وما هي إلاّ خِصاص قصب ، ولكنّهم يقولون فنسمع ، ويخادعوننا فننخدع ، فجعلوا يعجبون منه .

[مدح إبراهيم بن الأشتر فأجازه]

أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن يحيى قالا : حدّثنا محمد بن زكريّا الغِلابيّ عن عبد الله بن الضحاك ، عن الهيثم بن عديّ قال : أتى عبدُ الله بن الزّبير إبراهيم بن الأشتر النّخَعيّ فقال له : إنّي قد مدحتك بأبيات فاسمعهنّ ، فقال : إنّي لست أعطي الشعراء ، فقال : اسمعْها منّي وترى

1 تقدّمت هذه الحكاية بشكل مختلف .

رأيك ، فقال : هات إذاً ، فأنشده قوله[1] : [من الكامل]

اللهُ أَعْطاكَ المهابَةَ والتُّقى ... وأَحَلَّ بيتَكَ في العَدِيدِ الأَكْثرِ
وأَقرَّ عينَكَ يوم وقْعَةِ خازِرٍ ... والخيلُ تعثُر بالقَنا المتكسِّرِ[2]
إنّي مدحتُك إذ نَبا بيَ منزلي ... وذممتُ إخوانَ الغِنى مِنْ مَعْشَرِ
وعرفتُ أنّك لا تخيّب مِدْحتي ... ومتى أُكن بسبيل خيرٍ أَشكرِ
فهلمّ نحوي من يمينك نَفحةً ... إنّ الزمان ألحّ يا ابنَ الأشْتَرِ

فقال : كم ترجو أن أُعطيكَ ؟ فقال : ألف درهم أُصلِح بها أَمرَ نفسي وعيالي ، فأمر له بعشرين ألف درهم .

صوت

[من الكامل]

ما هاجَ شوقَكَ من بُكاء حَمامَةٍ ... تَدْعُو إلى فَنَنِ الأَراكِ حَماما
تَدعو أَخا فَرْخين صادَفَ ضارِياً ... ذا مِخلبين من الصُّقُورِ قَطاما
إلاّ تَذَكُّرُكَ الأَوانسَ بَعْدَما ... قطعَ المطيُّ سَباسِباً وهُياما

الشعر لثابت قُطْنة ؛ وقيل إنّه لكعب الأشقريّ ، والصحيح أنّه لثابت ، والغناء ليحيى المكّي ، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر ، من رواية ابنه والهشاميّ أيضاً .

---

1 شعره : 91 عن الأغاني .

2 خازر : نهر بين اربيل والموصل كانت عنده معركة قتل فيها عبيد الله بن زياد . وكان إبراهيم بن الأشتر قد خرج مع المختار الثقفيّ .

[271] ـ أَخبار ثابت قطنة[1]

[نسبه]

هو ثابت بن كعب ، وقيل ابن عبد الرحمن بنِ كعب ، ويكنى أَبا العَلاء ، أَخو بني أَسد بن الحارث بن العَتِيك ؛ وقيل : بل هو مولى لهم ، ولقّب قطنةَ لأنّ سهماً أَصابه في إحدى عينيه فذهب بها في بعض حروب التّرك ، فكان يجعل عليها قطنة . وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأمويّة ، وكان في صحابة يزيد بن المهلّب ، وكان يولّيه أعمالاً من أَعمال الثغور ، فيُحمد فيها مَكانُه لكفايته وشجاعته .

فأَخبرني إبراهيم بن أَيّوب قال : حدَّثنا عبد الله بن مُسْلِم بن قُتَيبة ، وأَخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن يزيد قال : كان ثابت قطنة قد ولي عملاً من أَعمال خراسان ، فلمّا صعد المنبر يوم الجمعة رام الكلام ، فتعذَّر عليه وحَصِر ، فقال : ﴿سَيَجْعَلُ اللّٰهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ ، وبعد عِيٍّ بَياناً ، وأنتم إلى أَمير فعّال ، أَحوجَ منكم إلى أَمير قوّال : [من الطويل]

وإلاّ أَكـن فيكـمْ خطيباً فإنّني ... بسَيْفِي إذا جـدّ الوغى لخطيبُ

فبلغت كلماتُه خالدَ بنَ صَفْوان ، ويقال الأَحنفَ بن قيس ، فقال : والله ما علا ذلك المِنبَر أَخطبُ منه في كلماته هذه ، ولو أنّ كلاماً استخفّني ، فأَخرجني من بلادي إلى قائله استحساناً له ، لأخرجتْني هذه الكلمات إلى قائلها ، وهذا الكلام بخالد بن صفوان أَشبهُ منه بالأحنف .

[هجاء حاجب الفيل له]

أَخبرني محمّد بن خلف وكيع قال : حدَّثني أَحمد بن زهير بن حرب ، عن دعبل بن علي ، قال : كان يزيد بن المهلّب تقدّم إلى ثابت قطنة في أن يصلّي بالناس يوم الجمعة ، فلمّا صعد المِنبر ولم يُطِق الكلام ، قال حاجبُ الفيل يهجوه : [من البسيط]

أَبـا العَـلاء لقد لُقِّيتَ معضلةً ... يومَ العَروبة مـن كربٍ وتخنيقِ
أمّا القُران فلـم تخلَـق لمحكَمه ... ولم تسدَّد مـن الدنيـا لتوفيقِ
لّمـا رمتْكَ عيـونُ الناس هِبتَهـمُ ... فكـدتَ تَشرَق لّمـا قمتَ بالرِّيقِ

---

1 لثابت قطنة ترجمة في الشعر والشعراء : 526 وفي وفيات الأعيان 6 : 307 وخزانة البغدادي 9 : 582 . وقد جمع شعره ماجد أَحمد السامرائي ولكن لم تتيسر لنا نسخة منه .

تلوِي اللسان وقد رُمْتَ الكلام به كما هَوى زَلِقٌ مِن شاهقِ النِّيقِ[1]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني عليّ بن الصباح قال : كان سبب هجاء حاجب بن ذبيان المازنيّ ، وهو حاجب الفيل ، والفيل لقب لقّبه به ثابت قطنة وكعب الأشقريّ ، أنّ حاجباً دخل على يزيد بن المهلّب ، فلمّا مثل بين يديه أنشده : [من الطويل]

إليك امتطيتُ العِيسَ تسعين ليلة أرجِّي نـدى كفَّيكَ يا ابن المهلّبِ
وأنتَ امـرؤٌ جـادَتْ سماءُ يمينِهِ على كلِّ حـيٍّ بين شَرْق ومَغْربِ
فَجُـدْ لي بطِرْف أعوَجِيٍّ مشهَّرٍ سَليم الشَّظا عَبْلِ القوائم سَلْهَبِ[2]
سبوحٍ طموح الطَّرف يَسْتَنُّ مِرْجَمٍ أُمِـرَّ كإمـرار الرِّشاء المشذَّبِ[3]
طوى الضُّمرُ منه البطنَ حتى كأنّه عقاب تدلَّت من شماريخ كَبكَبِ[4]
تُبادر جُنْـحَ الليلِ فَرْخـين أَقْوَيا من الزادِ في قَفْرٍ من الأرض مجدِبِ[5]
فلمّـا رأت صَيْداً تدلّتْ كأنها دَلاةٌ تَهاوى مَرْقَبـاً بعد مَرقَبِ[6]
فشكّت سوادَ القلب من ذئبِ قَفرةٍ طويلِ القَرا عارِي العظامِ معصَّبِ[7]
وسابغةٍ قد أتْقَن القَـينُ صنعَها وأسمـرَ خَطِّـيٍّ طويـلٍ مُحَرَّبِ[8]
وأبيضَ مـن مـاء الحديدِ كأنّه شِهابٌ متى يَلْقَ الضَّرِيبةَ يَقْضِبِ[9]
وقل لي إذا ما شئت في حَوْمة الوغى تقدَّمْ أو اركبْ حومةَ الموت أركبِ
فإنّـي امـرؤٌ مـن عُصْبَةٍ مازِنيّةٍ نَماني أبٌ ضخمٌ كريـمُ المركَّبِ

---

1 النيق : أرفع موضع في الجبل .
2 أعوجي : نسبة إلى أعوج وهو فحل تنسب إليه الخيل العتاق . والشظا : عظم لاصق بالركبة . والعبل : الضخم . والسلهب : ما عظم وطالت عظامه .
3 سبوح : يسبح في سيره . يستن : يقمص ويعدو من النشاط . مرجم : يرجم الأرض بحوافره . أمر الحبل : أحكم فتله .
4 كبكب : جبل بعرفات . والشماريخ : رؤوس الجبال .
5 أقوى : افتقر .
6 الدلاة : الدلو . والمرقب : الموضع المشرف .
7 القرا : الظهر . والمعصب : الجائع .
8 وسابغة : معطوف على «طرف» .
9 يقضب : يقطع .

قال : فأمر له يزيدُ بدِرع وسيف ورُمح وفرس ، وقال له : قد عرفتَ ما شرطْتَ لنا على نفسك ؟ فقال : أصلح الله الأمير ، حجّتي بيّنة ، وهي قول الله عزَّ وجلّ : ﴿ والشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الغاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ في كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ . وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ﴾ . فقال له ثابت قطنة : ما أَعجَبَ ما وَفدتَ به من بلدك في تسعين ليلة ! مدحتَ الأمير ببيتين ، وسألته حوائجك في عشرة أبيات ، وختمتَ شِعرَك ببيت تفخَر عليه فيه ، حتى إذا أعطاك ما أردتَ حِدتَ عمّا شرطتَ له على نفسك فأكذَبْتَها كأنّك كنت تخدعه . فقال له يزيد : مَهْ يا ثابت ، فإنّا لا نُخدَع ، ولكنّا نتخادع ، وسوّغه ما أعطاه ، وأمر له بألفَي دِرهم . ولجّ حاجب يهجو ثابتاً فقال فيه : [من البسيط]

لا يعرفُ الناسُ مِنْه غيرَ قُطنَتِه ... وما سِواها من الأنسابِ مَجهُولُ

[تهاجي ثابت وحاجب]

قال : ودخل حاجب يوماً على يزيد بن المهلّب ، وعنده ثابتُ قطنة وكعب الأشقريّ ، وكانا لا يفارقان مجلسَه ، فوقف بين يديه فقال له : تكلّم يا حاجب ، فقال : يأذن لي الأمير أن أُنشِده أبياتاً ، قال : لا حتى تبدأ فتسأل حاجتك ؛ قال : أيّها الأمير ، إنّه ليس أحد ولو أطنب في وصفِك موفِّيك حقّك ، ولكنّ المجتهد محسن ، فلا تهجني بمنعي الإنشادَ ، وأذِن لي فيه ، فإذا سمعتَ فجودُك أوسعُ من مسألتي . فقال له يزيد : هات ، فما زلتَ مُجيداً محسِناً مجمِلاً . فأنشده : [من الكامل]

كم من كِميٍّ في الهِياجِ تركتَه ... يَهوِي لِفيه مُجدَّلاً مقتولا
جلّلتَ مفرِقَ رأسِه ذا رَونق ... عضْبَ المهزّة صارِماً مصقولا
قُدْتَ الجِيادَ وأنت غِرٌّ يافعٌ ... حتى اكتهلتَ ولم تزل مأمولا
كم قد حَرَبْت وقد جَبَرت مَعاشراً ... وكم امتننت وكم شفَيتَ غليلا

فقال له يزيد : سَلْ حاجتَك ، فقال : ما على الأمير بها خفاء ، فقال : قل ، قال : إذاً لا أقصر ولا أستعظم عظيماً أسأله الأمير أعزّه الله مع عظم قدره ؛ قال : أجل ، فقل يُفعَل ، فلستَ بما تصير إليه أغبَطَ منّا ؛ قال : تحمِلني وتُخدِمُني وتجزِل جائزتي ، فأمر له بخمسة تخوتِ ثيابٍ وغلامين وجاريتين وفرس وبغل وبِرْذَوْن وخمسة آلاف درهم ، فقال حاجب : [من الطويل]

شِمِ الغَيْثَ وانظُرْ وَيْك أين تبعَّجتْ ... كُلاه تَجِدْها في يَدِ ابن المهلّبِ
يداه يدٌ يُخزي بها الله مَن عصى ... وفي يَدِهِ الأُخرى حياةُ المعصَّبِ

قال : فحسده ثابتُ قُطْنة وقال : والله لو على قدر شِعرك أُعطاك لما خرجتَ بملء كفّك نوًى ، ولكنّه أُعطاك على قدره ، وقام مغضَباً ؛ وقال لحاجبِ يزيدَ بن المهلّب : إنّما فعل الأُمير هذا ليضع منّا بإجزاله العطيّة لمثل هذا ، وإلاّ فلو أنّا اجتهدنا في مديحه ما زادَنا على هذا ، وقال ثابت قطنة يهجو حاجباً حينئذٍ : [من الطويل]

أَحاجبُ لولا أنّ أصْلَكَ زَيِّفٌ وأنّك مطبوعٌ على اللؤمِ والكفرِ
وأنّيَ لو أكثرتُ فيك مقصِّرٌ رميتُك رمياً لا يَبيد يَدَ الدَّهرِ
فقل لي ولا تكذِبْ فإنّيَ عالِمٌ بمثْلِكَ هل في مازنٍ لك من ظَهرِ ؟
فإنّك مِنْهمْ غيرَ شكٍ ولم يَكُنْ أَبوكَ من الغُرِّ الجحاجِحَة الزُّهرِ
أَبوكَ دِيافيٌّ وأُمُّك حُرَّةٌ ولكنَّها لا شَكّ وافيةُ البَظْرِ[1]
فلست بهاج ابنَ ذُبيان إنّني سأُكْرِمُ نفسي عن سِبابِ ذوي الهُجْرِ

فقال حاجب : والله لا أَرضى بهجاء ثابتٍ وحدَه ، ولا بهجاء الأزدِ كلِّها ، ولا أَرضى حتى أُهجو اليمن طُرّا ؛ فقال يهجوهم : [من الطويل]

دعُونِي وقحطاناً وقولوا لثابتٍ تنحَّ ولا تقرَبْ مُصاوَلة البُزْلِ
فلِلزِنّج خيرٌ حين تُنْسَب والداً من ابناء قحطانَ العفاشلةِ الغُرْلِ[2]
أُناسٌ إذا الهيجاء شَبّتْ رأيتَهمْ أَذَلَّ على وَطْءِ الهَوانِ من النَّعْلِ
نساؤُهم فوضى لِمَن كان عاهِراً وجِيرانهمْ نَهبُ الفَوارِسِ والرَّجْلِ

[ثابت يهجو نفسه]

أَخبرني وكيع قال : حدَّثنا أَحمد بن زهير قال : وحدَّثني دِعبِل قال : بلغني أنّ ثابت قطنة قال هذا البيت في نفسه وخطر بباله يوماً فقال : [من البسيط]

لا يَعْرِف الناسُ منه غيرَ قطنته وما سِواها من الأَنْسابِ مجهولُ

وقال : هذا بيت سوف أُهجى به أَو بمعناه ، وأَنشده جماعة من أَصحابه وأَهل الرواية وقال : اشهدوا أنّي قائله ، فقالوا : ويحك ما أَردت إلاّ أن تهجو نفسك به ، ولو بالغ عدوُّك ما زاد على هذا . فقال : لا بدّ من أن يقع على خاطر غيري ، فأَكون قد سبقتُه إليه ، فقالوا له : أما هذا فشرّ قد تعجّلته ، ولعلّه لا يقع لغيرك ، فلمّا هجاه به حاجبُ الفيل استشهدَهم

1 ديافي : نسبة إلى قرية دياف ، وكان أهلها من النبط .
2 العفاشلة في ل : التنابلة . الغرل : غير المختونين .

على أنّه هو قائله ، فشهدوا على ذلك ، فقال يردّ على حاجب : [من البسيط]

هَيْهاتَ ذلك بيتٌ قد سُبقت به ... فاطلبْ له ثانياً يـا حاجبَ الفيلِ

[قوله بالإرجاء]

أخبرني أحمد بن عثمان العسكريّ المؤدّب قال : حدَّثنا الحسن بنُ عُلَيل العَنَزيّ قال : حدَّثنا قُعْنُب بن المحرز الباهليّ عن أبي عبيدة قال : كان ثابت قطنة قد جالس قوماً من الشُّراة وقوماً من المرجئة كانوا يجتمعون فيتجادلون بخُراسان ، فمال إلى قول المرجئة وأحبّه ، فلمّا اجتمعوا بعد ذلك أنشدهم قصيدةً قالها في الإرجاء : [من البسيط]

يا هِندُ إنّي أظنُّ العيشَ قـد نفِدا ... ولا أرى الأمرَ إلاّ مُدْبـرا نَكِدا

إنّي رَهينَـةُ يـومٍ لستُ سابقـه ... إلاّ يكن يومُنا هـذا فقـد أفِدا[1]

بايعتُ ربّـيَ بيعاً إن وفيتُ بـه ... جاورتُ قتلى كراماً جاوَروا أُحُدا

يـا هنـدُ فاستمعي لي إنّ سيرتَنا ... أن نَعْبُـد اللهَ لَمْ نشركْ بـه أحَدا

نُرجِي الأُمـورَ إذا كانتْ مشبَّهة ... ونَصدُق القولَ فيمن جارَ أو عندا[2]

المسلمون عـلى الإسلام كلّهـم ... والمشركونَ أُشتُّوا دِينهـم قِدَدا[3]

ولا أرى أنّ ذنبـاً بالـغٌ أحَـداً ... مِ الناسِ شِركاً إذا ما وحَّدوا الصمَدا

لا نَسفِك الدمَ إلاّ أن يـراد بنا ... سَفْكُ الدماءِ طريقاً واحداً جدَدا[4]

مَـن يتّقِ اللهَ في الدُّنيـا فإنّ لـه ... أجـرَ التقيِّ إذا وَفّى الحسابَ غدا

وما قَضى اللهُ مـن أمرٍ فليسَ لـه ... رَدٌّ ، وما يَقضِ من شيءٍ يكن رَشَدا

كلّ الخَوارجِ مُخْـطٍ في مَقالَتِـه ... ولـو تَعَبَّـد فيما قـالَ واجْتَهَدا

أمـا عـليٌّ وعثمـانٌ فإنّهمـا ... عَبْدان لَم يُشرِكا باللهِ مـذ عَبَدا

وكان بينهما شَغْب وقـد شهِـدا ... شقَّ العصا ، وبعيْنِ اللهِ مـا شَهِدا

يُجزى عـليٌّ وعثمـانٌ بسَعْيِهما ... ولستُ أدري بحـقٍّ أيّـةً وَرَدا

اللهُ يعلـم مـاذا يَحضُرانِ بـه ... وكلُّ عبـد سيلقـى اللهَ منفردا

1 أفدا : دنا .

2 عند عن الطريق : مال .

3 أشتوا : فرقوا .

4 الطريق الجدد : المستوي .

قال أبو الفرج : ونسخت من كتاب بخطّ المُرهبيّ الكوفيّ في شعر ثابت قطنة ، قال : لمّا وليَ سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحَكَم بن أبي العاص بن أميّة خراسان بعد عزل عبد الرحمن بن نُعَيم ، جلس يَعرِض الناسَ وعنده حميد الرُّؤاسي وعُبادة المحاربيّ ؛ فلمّا دُعِيَ بثابت قطنة تقدّم ، وكان تامَّ السلاح ، جَوادَ الفرس ، فارساً من الفرسان ؛ فسأل عنه ، فقيل : هذا ثابتُ قطنة ، وهو أحد فُرسان الثغور ، فأمضاه وأجاز على اسمه ؛ فلمّا انصرف قال له حميد وعبادة : هذا أصلحك الله الذي يقول : [من الكامل]

إنا لضرّابون في حَمَس الوَغـى ... رأْسَ الخليفـة إن أراد صدودا[1]

فقال سعيد : عليّ به ، فردّوه وهو يريد قتله ، فلمّا أتاه قال له : أنت القائل :

إنّا لضرّابـون في حَمَس الوغى

قال : نعم ، أنا القائل : [من الكامل]

إنّا لضرّابون في حَمَس الوغى ... رأسَ المتـوَّجِ إنْ أَراد صُدُودا
عـن طاعـة الرحمن أو خُلَفائه ... إن رام إفساداً وكـرَّ عُنُودا

فقال له سعيد : أُولى لك ، لولا أنّك خرجتَ منها لضربتُ عنقكَ ، قال : وبلغ ثابتاً ما قاله حُميد وعُبادة ، فأتاه عبادة معتذراً ، فقال له : قد قبلت عذرك ، ولم يأته حميد ، فقال ثابت يهجوه : [من الوافر]

ومـا كان الجُنَيد ولا أخـوه ... حميـدٌ مـن رؤوسٍ في المعالي
فإن يكُ دَغْفَلٌ أمسى رهيناً ... وزيـدٌ والمقيـم إلى زوالِ
فعندكُمُ ابـن بشرٍ فاسْألوه ... بمـرو الرُّوذِ يَصدُق في المقالِ
ويخبـر أنّـه عبـدٌ زَنيـمٌ ... لئيـم الجدّ مـن عَـمٍّ وخالِ

قال : واجتاز ثابت قطنة في بعض أسفاره بمدينةٍ كان أميرُها محمد بن مالك بن بدر[2] الهَمدانيّ ثم الخيوانيّ ، وكان يُغمَز في نسبه ، وخطب إلى قوم من كِنْدة فردّوه ، فعرف خبر ثابت في نزوله ، فلم يُكرمه ، ولا أمَر له بِقرًى ، ولا تفقّده بنُزلٍ ولا غيره ، فلمّا رحل عنه قال يهجوه ويعيِّره بردّ من خطب إليه : [من المتقارب]

لـو آنّ بَكيـلاً هـمُ قومُـه ... وكان أبـوه أبـا العاقِبِ[3]

1 حمس الوغى : شدّة الحرب .
2 ل : يزيد .
3 بكيل : حي من همدان . العاقب : الذي يخلف السيد .

لأكرمَنا إذ مَرَرْنا بهِ كرامةَ ذي الحَسبِ الثاقبِ
ولكنّ خيوانَ هُمْ قومُه فبئس هم القومُ للصَّاحِبِ[1]
وأنتَ سَنِيدٌ بهم مُلصَقٌ كما أُلصِقتْ رُقعةُ الشاعبِ[2]
وحَسْبُك حَسْبُك عند الثَّنا بأَفعال كِندةَ من عائبِ
خَطبتَ فجازَوْك لما خطبتَ جزاء يَسارٍ من الكاعِبِ[3]
كذبتَ فزيّفْتَ عقدَ النكاحِ لِمَتِّكَ بالنَّسَب الكاذبِ
فلا تخطبنْ بعدها حُرَّةً فتُثنى بوَسْمٍ على الشاربِ

[يهجو قتيبة بن مسلم وقومه]

قال أَبو الفرج : ونسخت من هذا الكتاب قال : كان لثابت قطنة راويةٌ يقال له النضر ، فهجا ثابتُ قطنةُ قتيبةَ بنَ مسلم وقومَه ، وعيّرهم بهزيمةٍ انهزموها عن التُّرْك ، فقال : [من الطويل]

توافتْ تميمٌ في الطِّعان وعرّدتْ بُهَيْلةُ لّما عاينتْ معشراً غُلْبا[4]
كُماة كُفاة يرهَب الناسُ حدَّهم إذا ما مشَوْا في الحربِ تَحْسَبهم نُكْبا[5]
تُسامون كعباً في العُلا وكِلابَها وهيهاتَ أن تلقَوْا كِلاباً ولا كَعْبا

قال : فأفشى عليه راويتُه ما قاله ، فقال ثابت فيه وقد كان استكتمه هذه الأبيات : [من البسيط]

يا ليت لي بأخي نضرٍ أَخا ثقةٍ لا أَرهب الشرَّ منه غابَ أَم شهدا
أصبحتُ منك على أسبابِ مَهْلكةٍ وزَلّةٍ خائفاً منك الرّدى أَبدا[6]
ما كنتَ إلاّ كذئب السُّوءِ عارضَهُ أَخوه يَدْمَى فَفَرّى جِلْدَه قِدَدا
أَو كابن آدم خَلّى عن أَخيه وقد أَدمى حَشاهُ ولم يبسط إليْهِ يدا[7]

---

1 هم القوم للصاحب في ل : أخو القوم والصاحب .

2 سنيد : دعيّ . الشاعب : من يصلح الإناء المصدوع .

3 المثل : «لقي ما لاقى يسار الكواعب» في مجمع الميداني 2 : 412 وجمهرة العسكري 1 : 446 . ويسار عبد أسود دميم الخلقة ظن أن زوجة مولاه (أو ابنته) تريده ، فأوهمته أنها تريد أن تبخّره ، وقطعت مذاكيره ، فقال : صبراً على مجامر الكرام .

4 عردت : هربت . بهيلة : تصغير باهلة ، قوم قتيبة .

5 نكب : جمع نكباء ، وهي كل ريح انحرفت عن إحدى الجهات الأربع .

6 منك الرّدى في ل : من شرها .

7 إشارة إلى قصة قابيل وهابيل .

أهم بالصَّرْفِ أحياناً فيمنعني حيّاً ربيعةَ والعَقْدُ الذي عَقَدا

[رثاء المفضل بن المهلّب]

ونسخت منه أيضاً قال : لمّا قتل المفضل بن المهلّب دخل ثابت قطنة على هند بنت المهلّب ، والناس حولها جلوس يعزّونها ، فأنشدها : [من البسيط]

يا هند كيف بِنُصْبٍ بات يَبْكيني وعائرٍ في سَواد الليل يؤذيني[1]
كأنّ لَيْلِيَ والأصداءُ هاجدةٌ ليلُ السَّليم ، وأَعيا من يُداويني[2]
لمّا حنى الدَّهرُ من قَوْسي وعذّرني شيبي وقاسيت أمرَ الغلْظ واللّين[3]
إذا ذكرتُ أبا غسّانَ أرّقني همٌّ إذا عَرَّس السَّارُونَ يُشجيني[4]
كان المفضّل عِزّاً في ذوي يَمنٍ وعِصمةً وثِمالاً للمساكينِ[5]
ما زلتُ بعدَكَ في همٍّ تجيش به نَفْسي وفي نَصَب قد كادَ يُبليني
إنّي تذكّرتُ قتلى لو شهدتُهُمُ في حَوْمَةِ الموت لم يَصلَوْا بها دُوني
لا خَيرَ في العَيْشِ إن لم أَجْنِ بعدَهم حرباً تُبيءُ بهم قتلى فيشفوني

فقالت له هند : اجلس يا ثابت ، فقد قضيتَ الحقّ ، وما من المرثية بُدٌّ ، وكم من مِيتةِ ميّتٍ أشرفُ من حياةِ حَيّ ، وليست المصيبة في قتل من قتل واستشهد ذاباً عن دينه ، مطيعاً لربّه ، وإنّما المصيبة فيمن قلّت بصيرته ، وخَمل ذكرُه بعد موته ، وأَرجو ألاّ يكون المفضَّل عند الله خاملاً ، يقال : إنّه ما عُزّي يومئذٍ بأَحسن من كلامها .

[ردّه على ابن الكواء]

قال أبو الفرج : ونسخت من كتابه أيضاً قال : كان ابن الكوّاء اليشكريّ مع الشُّراة والمهلّب يحاربهم ، وكان بعض بني أخيه شاعراً فهجا المهلّب وعمَّ الأَزْد بالهجاء ، فقال لثابت : أجِبه فقال له ثابت : [من البسيط]

كلُّ القبائلِ من بكرٍ نعدُّهُم واليشكُريّون منهم ألأمُ العَرَبِ
أثرى لجيم وأثرى الحصن إذ قعدتْ بيشكرٍ أمُّه المَعرورة النَّسبِ

---

1 النصب : الداء والبلاء . والعائر : ما أعل العين والرمد والقذى .
2 السليم : الملدوغ .
3 عذرني : هدني .
4 عرّس السارون : نزل المسافرون في الليل للاستراحة .
5 ثمال : غياث .

نَحّاكُمُ عن حياضِ المجدِ والدُكَمْ فما لكم في بني البَرْشاء من نسبِ
أنتم تَحلُّون مـن بكـرٍ إذا نُسبوا مثل القُراد حَوالَيْ عُكْوَة الذَّنبِ[1]
نُبِّئت أن بنـي الكَوّاء قد نبحوا فِعلَ الكلاب تتلّى اللَّيث في الأشبِ[2]
يَكـوِي الأُبَيْجر عبد الله شيخكم ونحن نُبري الذي يكوى من الكَلَبِ[3]

[يحرض يزيد بن المهلّب]

ونسختُ من كتابه أيضاً قال : كتب ثابت قطنة إلى يزيد بن المهلّب يحرّضه : [من الكامل]

إن امـرءاً حدبـت ربيعةُ حولَـه والحيُّ مـن يَمَنٍ وهابَ كؤودا[4]
لَضعيفُ ما ضمّت جوانحُ صدرِه إن لم يَلُـفَّ إلى الجُنودِ جنودا
أيزيـد كُنْ في الحَرْبِ إذ هيّجتَها كأَبيـك لا رَعِشاً ولا رِعْديدا
شاوَرْتَ أَكْـرَم من تناول ماجدٍ فرأَيتُ هَمَّـك في الهموم بعيدا
مـا كان في أَبويك قادحُ هُجْنة فيكون زنـدُك في الزناد صَلودا[5]
إنّا لضرّابونَ في حَمَس الوَغـى رأس المتـوَّج إنْ أَراد صُدودا
وقُرٌ إذا كَفَـر العَجاج تَرى لنا في كلّ معركـة فـوارسَ صِيدا
يـا ليـت أُسْرتك الذين تَغيَّبوا كانـوا ليومك بالعِـراق شُهودا
وتـرى مواطنهم إذا اختلف القنا والمشرفيَّـة يلتظـين وقـودا

فقال يزيد لما قرأ كتابه : إنّ ثابتاً لغافل عمّا نحن فيه ، ولعمري لأطيعنّه ، وسَيَرى ما يكون ، فاكتبوا إليه بذلك .

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ عن العمريّ عن الهيثم بن عديّ قال : أُنشِدَ مَسلمةُ بنُ عبد الملك بعد قتل يزيد بن المهلَّب قولَ ثابت قطنة : [من الكامل]

يـا ليت أُسْرتك الذين تَغَيَّبوا كانوا ليومك يـا يزيد شُهودا

فقالَ مَسلمة : وأنا والله لودِدت أنّهم كانوا شهوداً يومئذٍ ، فسقيتُهم بكأسه ، قال : فكان مَسلمةُ أَحَد من أجاب شعراً بكلام منثورٍ فغلَبَه .

---

1 عكوة الذنب : أصله .
2 الأشب : شدّة التفاف الشجر .
3 الأبيجر : تصغير الأبجر ، وهو العظيم البطن .
4 الكؤود : المرتقى الصعب .
5 الزناد الصلود : الذي لا يورى .

[سفيره يخطب لنفسه]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدَّثني عبيد الله بن أحمد بن محمد الكوفيّ قال : حدَّثني محمد القحذميّ عن سليمان بن ناصح الأسديّ قال : خطب ثابت قطنة امرأةً كان يميل إليها ، فجعل السفير بينه وبينها جُوَيْبِر بن سعيد المحدِّث ، فاندسّ فخطبها لنفسه ، فتزوّجها ودفع عنها ثابتاً ، فقال ثابت حين بان له الأمر : [من الكامل]

أفْشى عليّ مقالةً ما قلتها ... وسعى بأمرٍ كان غيرَ سديدِ
إنّي دعوت الله حين ظلمتَني ... ربِّي وليس لَمن دعا ببعيدِ
أن لا تزال متيَّماً بخريدةٍ ... تَسبي الرجال بمقلتين وجِيدِ
حتى إذا وجب الصّداق تلبّستْ ... لك جلدَ أُغْضَفَ بارزٍ بصعيدِ[1]
تدعو عليك الحاريات مُبِرّة ... فتَرى الطلاق وأنت غيرُ حميدِ[2]

قال : فلقِيَ جُوَيْبِرُ كلَّ ما دعا عليه ثابت به ، ولحقه من المرأة كلُّ شرّ وضُرّ حتى طلّقها بعد أن قبضتْ صداقَها منه .

[رثاء يزيد بن المهلّب]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان ثابت قطنة مع يزيد بن المهلّب في يوم العُقْر[3] ، فلمّا خذله أهل العراق وفرّوا عنه فقتل ، قال ثابتُ قطنةَ يرثيه : [من الكامل]

كلّ القبائل بايَعوك على الذي ... تدعو إليه وتابَعوك وساروا
حتى إذا حَمِس الوَغى وجعلتهم ... نصبَ الأسِنّة أسلموك وطاروا
إن يقتلوك فإنّ قتلَك لم يكن ... عاراً عليك ، وبعضُ قتلٍ عارُ

[هجاؤه ربيعة]

قالِ أبو الفرج : ونسخت من كتاب المرهِبيّ قال : كانت ربيعة لما حالفت اليمن وحشدت مع يزيد بن المهلّب تنزل حواليه هي والأزد ، فاستبطأته ربيعة في بعض الأمر ، فشغِبت عليه حتى أرضاها فيه ، فقال ثابت قطنة يهجوهم : [من الطويل]

---

1 أغضف : كلب .

2 الحاريات : جمع حارية ، وهي الأفعى التي كبرت ونقص جسمها فصارت من أخبث الأفاعي ؛ ويقال : رماه الله بالحارية . ومبرة : غالبة قاهرة .

3 العقر : موضع قرب كربلاء كانت فيه الوقعة بين مسلمة بن عبد الملك ويزيد بن المهلّب .

عصافير تَنْزُو في الفساد ، وفي الوغى ... إذا راعَها رَوْعٌ جماميحُ بَرْوَقِ

الجماميح : ما نبت على رؤوس القصب مجتمعاً ، وواحده جماح ، فإذا دُقّ تَطاير . وبَرْوَق : نبت ضعيف . [من الطويل]

أأحلمُ عن ذِبّان بكر بن وائلٍ ... ويعلق من نفسي الأذى كلّ مَعلَقِ

ألم أكُ قد قلّدتكم طوقَ خِزيَةٍ ... وأنكلتُ عنكمْ فيكمُ كلَّ مُلصَقِ[1]

لعمركَ ما استخلفتُ بكراً ليَشغَبوا ... عليّ ، وما في حِلفكم من مُعلّقِ[2]

ضممتكُم ضمّاً إليّ وأنتمُ ... شَتاتٌ كفَقْع القاعة المتفرّقِ[3]

فأنتم على الأدنى أسودُ خفيّةٍ ... وأنتم على الأعداءِ خِزّانُ سَمْلَقِ

[سخاء يزيد بن المهلّب]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدَّثني أبو بكر العامريّ قال : قال القَحْذميّ : دخل ثابت قطنة على بعض أمراء خراسان ، أظنّه قتيبة بن مسلم ، فمدحه وسأله حاجة ، فلم يقضها له ، فخرج من بين يديه وقال لأصحابه : لكن يزيد بن المهلّب لو سألته هذا أو أكثر منه لم يردّني عنه ، وأنشأ يقول : [من الطويل]

أبا خالدٍ لم يَبْقَ بعدك سُوقةٌ ... ولا مَلكٌ ممّن يُعين على الرِّفْدِ[4]

ولا فاعلٌ يرجو المقلّون فضله ... ولا قائلٌ يَنْكا العدوَّ على حقدِ[5]

لو انّ المَنايا سامحتْ ذا حَفيظة ... لأكرمنه أو عُجْن عنه على عمدِ

[عتابه قومه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : حدَّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : عتب ثابت قطنة على قومه من الأزد في حال استَنصرَ عليها بعضهم فلم ينصره فقال في ذلك : [من الطويل]

تعفّفتُ عن شَتم العشيرة إنّني ... وجدتُ أُبَيّ قد عَفّ عن شَتمها قَبْلِي[6]

حليمٌ إذا ما الحلمُ كان مروءةً ... وأجهَلُ أحياناً إذا التمسوا جهلي

---

1 أنكلت : دفعت .

2 من معلق : أي ما يتعلّق به ويعتمد عليه .

3 المثل «أذل من فقع بقاع» في مستقصى الزمخشري 1 : 134 والدرة الفاخرة 1 : 203 .

4 أبو خالد : يزيد بن المهلّب .

5 فضله في ل : رفده .

6 عَفَّ في ل : كف .

[حمق أمية بن عبد الله بن خالد]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني العَنزيّ عن مسعود بن بشر قال : كان ثابت قطنة بخراسان ، فوليها أميّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد لعبد الملك بن مروان ، فأقام بها مدّة ، ثم كتب إلى عبد الملك : «إن خراجَ خُراسان لا يفي بمطبخي» ، وكان أميّة يحمَّق ، فرفع ثابتُ قُطنة إلى البريد رقعة وقال : أوصِل هذه معك ، فلمّا أتى عبد الملك أوصل إليه كتابَ أمية ، ثم نَثَل[1] كنانَتَه بين يديه فقرأ ما فيها ، حتى انتهى إلى رقعة ثابت قطنة ، فقرأها ثم عزله عن خُراسان .

صوت

[من الوافر]

طَرِبتُ وهاجَ لي ذاك اذكارا بكَشٍّ وقد أطلْت به الحِصارا[2]

وكنتُ الَذّ بعضَ العيش حتى كبِرتُ وصار لي همِّي شِعارا

رأيتُ الغانيات كرِهن وصلي وأبديــن الصَّريمة لي جِهارا

الشعر لكعب الأشقريّ ، ويقال إنّه لثابث قطنة ، والصحيح أنّه لكعب ، والغناء للهُذليّ ، ثاني ثقيل بالوسطى عن عَمرو بن بانة ، وذكر في نسخته الثانية أنّ هذا اللحن لقَفا النجّار .

1 نثل كنانته : نثر ما فيها .

2 كش : قرية من قرى أصبهان .

[272] ـ أخبار كعب الأشقريّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو كعب بن مَعْدان الأشقريّ ، والأشاقر : قبيلة من الأَزْد ، وأمّه من عبد القيس ، شاعر فارس خطيب معدود في الشجعان ، من أصحاب المهلّب والمذكورين في حروبه للأزارقة ، وأوفده المهلّب إلى الحجّاج ، وأوفده الحجّاج إلى عبد الملك .

[شعراء الإسلام الأربعة]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدَّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال : حدَّثنا أَبي قال حدَّثنا وهب بن جرير قال : حدَّثنا أَبي عن قتادة قال : سمعت الفرزدق يقول : شعراء الإسلام أربعة : أنا ، وجرير ، والأَخطل ، وكعب الأشقريّ .

أخبرني وكيع قال : حدَّثني أَحمد بن أَبي خيثمة قال : حدَّثنا أَبي قال : حدَّثنا وهب بن جرير قال : حدَّثنا أَبي عن المتلمِّس قال : قلت للفرزدق : يا أَبا فراس ، أَشعرتَ أنّه قد نبغ من عمان شاعر من الأَزد يقال له «كعب» ؟ فقال الفرزدق : «إي والذي خلَق الشِّعر» .

[وقعة المهلّب مع الأزارقة]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثنا محمد بن يزيد ، وأخبرني عمِّي ، قال : حدَّثنا الكُرانيّ قال : حدَّثنا العُمَريّ عن العُتْبيّ ، واللفظ له وخبره أتمّ ، قال : أوفد المهلَّب بن أبي صُفرة كعباً الأشقريَّ ومعه مُرّة بنُ التلِيد الأزدي إلى الحجّاج بخبر وقعةٍ كانت له مع الأزارقة ، فلمّا قدِما عليه ودخَلا دارَه بَدَرَ كعب بن مَعدانَ فأنشد الحجّاج قولَه : [من البسيط]

يـا حفْصَ إنّي عَداني عنكُم السَّفَرُ ... وقـد سهِـرتُ فـآذَى عينيَ السَّهَرُ
عُلِّقتَ يا كعـبُ بعد الشَّيب غانيةً ... والشيب فيـه عـن الأهـواء مزدجرُ
أممسِكٌ أنـتَ منهـا بالذي عهدتْ ... أم حبلُهـا إذ نَأَتْكَ اليـومَ منبترُ
ذكـرتُ خَوْداً بأَعلى الطَّفِّ منزلُها ... في غُرفـةٍ دونَهـا الأَبوابُ والحجرُ
وقـد تركـتُ بشطِّ الزَّابِيَيْنِ لهـا ... داراً بهـا يَسعَد البـادُونَ والحَضَرُ[2]
واخترتُ داراً بهـا قـوم أُسَرُّ بِهِمْ ... مـا زال فيهم لَمن تَختارهـم خِيَرُ

---

1 لكعب الأشقريّ ترجمة في أمالي القالي 1 : 265 ومعجم المرزباني : 236 وتاريخ الطبري وسمط اللآلي : 588 وانظر أعلام الزركلي .

2 الزابياذ : نهران بالعراق .

أبـا سعيـدٍ فإنّـي سرتُ منتجعـاً ... وطالـبُ الخَيْـرِ مُرْتـادٌ ومنتظِرُ[1]
لـولا المهلَّـب مـا زُرْنـا بلادَهمُ ... مـا دامتِ الأرضُ فيها الماء والشجرُ
وما مـن الناس مـن حـيٍّ علمتُهمُ ... إلاّ يُـرى فيهُـم مـن سَيْبِكـم أثرُ

وهي قصيدة طويلة قد ذكرها الرُّواة في الخبر ، فتركتُ ذكرَها لطولها[2] ، يقول فيها : [من البسيط]

فمـا يجاوز بـابَ الجسْرِ مـن أحدٍ ... قد عضَّتِ الحربُ أهلَ المصر فانْجَحَروا
كنّا نهـوِّن قبـل اليـوم شأنهمُ ... حتـى تفاقَـم أمـرٌ كان يُحتَقـرُ[3]
لمّـا وَهَنَّـا وقـد حلُّـوا بساحتنا ... واستنفرَ النـاسُ تاراتٍ فمـا نَفَروا
نادى امـرؤٌ لا خـلافٌ في عشيرته ... عنـه وليس بـه عـن مثلهـا قِصَرُ

حتى انتهى إلى قوله بعد وصفه وقائعهم مع المهلَّب في بلدٍ بلد ، فقال : [من البسيط]

خبُّـوا كمينَهمُ بـالسَّفْح إذ نزلـوا ... بكـازَرُونَ فمـا عَزّوا وما نَصَروا[4]
باتـتْ كتائبُنـا تَـردِي مسوَّمـةً ... حـولَ المهلَّـب حتـى نـوّر القمرُ[5]
هناك ولّوا خَزايا بعـد مـا هُزِموا ... وحـال دُونَهُـمُ الأنهـارُ والجُدُرُ
تأبـى علينـا حـزازاتُ النفوس فما ... نُبقـي عليهـمْ ولا يُبقون إن قَدروا

فضحك الحجّاج وقال له : إنّك لمنصف يا كعب[6] ، ثم قال الحجّاج : أخطيب أنت أم شاعر ؟ فقال : شاعر وخطيب . فقال له : كيف كانت حالُكم مع عدوّكم ؟ قال : كنّا إذا لقِيناهم بعفونا وعفوِهم ، أنسنا منهم ، فإذا لقِيناهم بجهدنا وجهدِهم طمعنا فيهم ؛ قال : فكيف كان بنو المهلّب ؟ قال : حماة للحريم نهاراً ، وفرسانٌ بالليل أيقاظاً ، قال : فأين السماع من العيان ؟ قال : السماع دون العِيان ؛ قال : صفهم رجلاً رجلاً ، قال : المغيرة فارسُهم وسيّدهم ، نار ذاكية ، وصَعْدة[7] عالية ، وكفى بيزيد فارساً شجاعاً ، ليثُ

---

1 أبو سعيد : المهلّب بن أبي صفرة .
2 انظر القصيدة في تاريخ الطبري 6 : 304 .
3 اليوم في ل : الموت .
4 كازرون : مدينة بفارس .
5 تردي : تضرب الأرض بحوافرها .
6 ل : كعيب .
7 الصعدة : القناة المستوية .

غاب ، وبحرٌ جمُّ العُباب ، وجَوادُهم قَبيصة ، ليث المَغار ، وحامي الذِّمار ، ولا يستحي الشجاع أن يفرّ من مُدرِك ، فكيف لا يفرّ من الموت الحاضر ، والأسد الخادر ، وعبد الملك سمٌّ ناقع ، وسيف قاطع ، وحبيب الموتُ الذُّعاف ، إنّما هو طَوْد شامخ ، وفخر باذخ ، وأبو عيينة البطل الهمام ، والسيف الحسام ، وكفاك بالمفضّل نجدة ، ليثٌ هدّار ، وبحْرَ موّار ، ومحمد ليث غاب ، وحسامُ ضِراب ، قال : فأيّهم أفضل ؟ قال : هم كالحلقة المفرَغة لا يُعرف طرفاها ؛ قال : فكيف جماعة الناس ؟ قال : على أحسن حال ، أدركُوا ما رجَوْا ، وأَمِنوا ممّا خافوا ، وأرضاهم العدل ، وأغناهم النّفل[1] ، قال : فكيف رضاهم عن المهلّب ؟ قال : أحسن رضا ، وكيف لا يكونون كذلك وهم لا يعدمون منه رضا الوالد ، ولا يعدم منهم برَّ الولد ؟ قال : فكيف فاتكم قَطَريّ ؟ قال : كدناه فتحوّل عن منزله وظنّ أنّه قد كادنا ؛ قال : فهلاّ تبعتموه ! قال : حالَ الليلُ بيننا وبينه ، فكان التحرّز ، إلى أن يقع العيان ، ويعلم امرؤٌ ما يصنع ، أحزم ، وكان الحدّ عندنا آثر من الفَلّ ، فقال له : المهلّب كان أعلَم بك حيث بعثك وأمَر له بعشرة آلاف درهم ، وحمله على فرس ، وأوفده على عبد الملك بن مروان فأمر له بعشرة آلاف أخرى .

[شعره في المهلّب وولده]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال : حدّثني أبو عمرو بُنْدار الكرجيّ قال : حدّثنا أبو غسّان التميميّ عن أبي عبيدة قال : كان عبد الملك بن مروان يقول للشعراء : تشبّهوني مرّة بالأسد ، ومرّة بالبازيّ ، ومرّة بالصقر ، ألا قلتم كما قال كعب الأشقريّ في المهلّب وولده : [من الوافر]

بَــراكَ الله حِـينَ بَـراكَ بحْراً ... وفَجَّـر مِنْـكَ أنهــاراً غِزارا
بنوك السابقــون إلى المعــالي ... إذا مــا أُعظَم الناسُ الخِطارا[2]
كأنَّهُمُ نجــومٌ حــولَ بَـدْر ... دَرارِيٌّ تَكمَّــل فــاسْتَدارا
ملــوك ينزلــون بكلّ ثَغْــرٍ ... إذا مــا الهامُ يــومَ الرَّوْع طارا
رِزانٌ في الأمــور تَـرى عليهم ... مِن الشَّيخ الشمائلَ والنجارا[3]
نجومٌ يُهتَدى بهــمُ إذا مــا ... أخو الظَّلْماء في الغَمَرات حارا

1 النفل : الغنيمة .
2 الخطار : المرهنة .
3 النجار : الأصل والحسب .

وهذه الأبيات من القصيدة التي أوّلها :

طربتُ وهاج لي ذاك ادّكارا

التي فيها الغناء .

[تهاجيه مع زياد الأعجم]

أخبرني محمد بن الحسين الكنديّ قال : حدّثنا غسّان بنُ ذَكْوانَ الأهوازيّ قال : ذكر العُتْبيّ أنّ زياداً الأعجم هاجى كعباً الأشقريّ ، واتّصل الهجاء بينهما ، ثم غلبه زياد ، وكان سبب ذلك أنّ شرّاً وقع بين الأزد وبين عبد القيس ، وحرْباً سكّنها المهلّب وأصلَحَ بينهم ، وتحمّل ما أحدثه كلٌّ فريق على الآخر ، وأدّى دِياته ، فقال كعب يهجو عبد القيس : [من البسيط]

إنّي وإن كنتُ فرعَ الأزْد قد عَلموا ... أخزى إذا قيل عبدُ القيس أخْوالي

فَهْمٌ أبو مالكٍ بالمجد شرّفني ... ودنّس العبدُ عبدُ القيسِ سِرْبالي

قال : فبلغ قوله زياداً الأعجم فغضب وقال : يا عجباً للعبد بن العبد بنِ الحِيتان والسَّرطان ، يقول هذا في عبد القيس ، وهو يعلم موضعي فيهم ! والله لأدعنّه وقومَه غَرَضاً لكل لسان ، ثم قال يهجوه : [من البسيط]

نبِّئت أشقرَ تَهجُونا فقلتُ لهمْ ... ما كنتُ أحسبهمْ كانوا ولا خُلِقوا

لا يَكثرون وإن طالت حياتُهمُ ... ولو يبول عليهمْ ثعلبٌ غَرِقوا

قومٌ من الحَسَب الأدنى بمنزلةٍ ... كالفَقْع بالقاع لا أصْلٌ ولا وَرَقُ

إنّ الأشاقرَ قد أضحَوْا بمنزلة ... لو يُرهَنون بنَعلَيْ عبدِنا غَلِقوا[1]

قال : وقال فيه أيضاً : [من المنسرح]

هل تَسمع الأزْد ما يقال لها ... في ساحة الدّار أم بها صَمَمُ ؟

اختَتَن القومُ بعد ما هَرِموا ... واستَعربوا ضَلَّةً وهمْ عَجَمُ

قال : فشكاه كعبٌ إلى المهلّب وأنشده هذين البيتين ، وقال : والله ما عَنى بهما غيرَك ، ولقد عمَّ بالهجاء قومَك ، فقال المهلَّب : أنت أسمعتَنا هذا وأطلقتَ لسانه فينا به ، وقد كنتَ غنيّاً عن هجاء عبد القيس وفيهم مِثلُ زياد ، فاكفف عن ذكره ، فإنّك أنت بدأته ، ثم دعا بزياد فعاتبه ، فقال : أيّها الأمير ، اسمع ما قال فيّ وفي قومي فإن كنتُ ظلمتُه فانتصِر ، وإلاّ

1 غلق الرهن : استحقّ الوفاء .

فالحجة عليه ، ولا حُجّة على امرىءٍ انتَصَر لنفسه وحسَبِه وعشيرتِه ، وأنشده قولَ كعب فيهم : [من الطويل]

لعلّ عُبيدَ القيس تَحسَب أنّها ... كتغلبَ في يوم الحفيظة أو بكرِ
يُضَعضِع عبدَ القيس في النّاس مَنصِبٌ ... دنيءٌ وأحسابٌ جُبِرن على كَسرِ
إذا شاع أمرُ الناس وانشقّت العصا ... فإنّ لُكَيزاً لا تَريشُ ولا تَبري[1]

فقال المهلّب : قد قلتَ له أيضاً ، قال : لا والله ما انتصَرْتُ ، ولولاك ، ما قصَّرت وأيّ انتصار في قولي له : [من البسيط]

يا أيّها الجاهلُ الجاري ليُدركَني ... أقصِرْ فإنّكَ إن أدركتَ مصروعُ
يا كعبُ لا تَكُ كالعَنْز التي بَحثتْ ... عن حَتْفِها وجَنابُ الأرض مَرْبوع

وقولي : [من البسيط]

لئن نَصبتَ لي الرَّوْقين مُعْتَرِضاً ... لأرمينَّكَ رمْياً غيرَ ترفيعِ
إنّ المآثرُ والأحسابَ أورَثني ... منها المَجاجِيعُ ذِكراً غيرَ مَوْضوعِ

يعني مَجاعة بن مرّة الحنفيّ ، ومَجاعة بن عمرو بن عبد القيس ، فأقسم عليهما المهلَّب أن يصطلحا ، فاصطلحا وتكافّا ، وممّا هجا كعبٌ الأشقريُّ عبد القيس به قوله : [من الوافر]

ثَوى عامين في الجِيَف اللواتي ... مطرَّحة على باب الفصيلِ
أَحَبُّ إليّ من ظِلٍّ وكِنٍّ ... لعبد القيس في أصل الفَسِيلِ[2]
إذا ثارَ الفُساءُ بهمْ تَغَنَّوْا . ... أَلَم تَربَعْ على الدِّمَن المُثولِ
تَظَلّ لها ضَباباتٌ علينا ... موانعُ من مَبِيتٍ أو مَقِيلِ

[هجاء ربيعة واليمن]

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب للنضر بن حديد : كانت ربيعةُ واليمنُ متحالِفةً ، فكان المهلّب وابنه يزيدُ يُنزلان هاتين القبيلتين في محلتهما ، فقال كعبٌ الأشقريّ ليزيد : [من البسيط]

لا ترجَونَّ هِنائيّا لصالحةٍ ... واجعلهمُ وهَداداً أسوةَ الحمُرِ[3]

---

1 من المثل «كالباحثة عن حتفها بظلفها» .
2 الكن : الستر . الفسيل : النخلة الصغيرة .
3 هنائي : من بني هناء . وهداد : حي من اليمن .

حَيّانِ مالهما في الأَزْد مأثُرةٌ غيرُ النَّواكة والإفراطِ في الهَذرِ[1]
واجعل لُكَيزاً وراءَ الناس كلِّهم أهلَ الفُساء وأهلَ النَّتْن والقَذَرِ
قومٌ علينا ضَبابٌ من فُسائهمُ حتى تَرانا له مِيداً من السُّكُرِ[2]
أَبلغ يزيدَ بأنا ليس يَنْفَعُنا عيشٌ رَغيدٌ ولا شيءٌ من العِطرِ
حتى تُحِلَّ لُكَيْزا فوق مَدْرَجةٍ من الرِّياح على الأَحياء مِنْ مُضَرَ
ليأْخُذُوا لِنِزار حَظَّ سُبَّتِها كما أخذنا بحظِّ الخِلْف والصِّهرِ

[شعره في المهلّب أمام رسول الحجّاج]

أَخبرني محمد بنُ خلف وكيع قال : حدّثنا أَحمد بن زهير بن حرب قال : حدَّثنا أَبي قال : كتب الحجّاج بن يوسف إلى المهلَّب يأمره بمناجزَة الأزارقة ويستبطئه ويضعِّفه ، ويعجِّزه في تأخيره أمرَهم ومطاولَتهم ، فقال المهلّب لرسوله : قل له : إنّما البلاء أنّ الأمر إلى مَن يَملِكه لا إلى من يعرفه ، فإن كنتَ نصبتَني لحرب هؤلاء القوم على أن أدبِّرها كما أَرى ، فإن أمكنتْني الفرصة انتهزتُها ، وإن لم تُمْكِنِّي توقّفت ، فأنا أدبر ذلك بما يُصلحه ، وإن أردتَ منّي أن أَعمل وأَنا حاضر برأيك وأنت غائب ، فإن كان صواباً فلك ، وإن كان خطأً فعليّ ، فابعث من رأيتَ مكاني ، وكتب من فَوْره بذلك إلى عبد الملك ، فكتب إليه عبد الملك : لا تُعارض المهلَّب فيما يراه ولا تُعجِلْه ، ودَعْه يدبّر أَمره ، وقام الأشقريّ إلى المهلّب فأنشده بحضرة رسول الحجّاج : [من الكامل]

إن ابنَ يوسف غرّه من غزوِكمْ خفضُ المُقام بجانب الأَمصارِ
لو شاهَدَ الصَّفَّين حين تَلاقَيا ضاقت عليه رَحيبةُ الأقطارِ
من أَرض سابُورِ الجُنودِ ، وخَيْلُنا مِثْلُ القِداح بَرَيْتَها بشِفارِ
من كلّ خنذيذ يُرى بلَبانِه وَقْعُ الظُّباة مع القنا الخَطّارِ[3]
ورأَى معاوَدَة الرِّباعِ غنيمةً أزمانَ كان محالفَ الإقتارِ
فدع الحروبَ لشيبها وشَبابها وعليك كلّ خريدةٍ مِعطارِ

فبلغت أبياتُه الحجّاج ، فكتب إلى المهلّب يأمره بإشخاص كعب الأشقريّ إليه ، فأَعلَم المهلّبُ كعباً بذلك ، وأوفده إلى عبد الملك من تحت ليلته ، وكتب إليه يستوهبه منه ،

---

1 النواكة : الحماقة .
2 ميد : ما يصيب الإنسان من الدوار .
3 الخنذيذ : الفرس الطويل الصلب .

فقدم كعب على عبد الملك ، واستنشدَه فأعجبه ما سمع منه ، فأوفده إلى الحجّاج ، وكتب إليه يُقسم عليه أن يعفوَ عنه ويُعرِض عمّا بلغه من شعره ، فلمّا وصل إليه ودخل عليه قال : وإيه يا كعب .

ورأى معـاوَدَة الرِّبـاعِ غنيمةً

فقال له : أيّها الأمير ، والله لقد ودِدتُ في بعض ما شاهدتُه في تلك الحروب وأزماتها ، وما يُورِدُناه المهلَّب من خطرها ، أن أنجوَ منها وأكونَ حجَّاماً أو حائكاً ، فقال له الحجّاج : أولى لك ، لولا قَسمُ أمير المؤمنين لما نفعك ما أسمعَ ، فالحقْ بصاحبك ، وردَّه من وقته .

[هروبه إلى عُمان]

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب النضر بن حديد : لمّا عُزِل يزيد بن المهلّب عن خراسان ووَلِيَها قتيبةُ بن مسلم ، مدحه كعب الأشقريّ ، ونال من يزيد وثَلَبه ، ثم بلغتْه وِلايةُ يزيدَ على خراسان ، فهربَ إلى عُمانَ على طريق الطَّبَسَيْن وقال : [من الوافر]

وإنّي تـاركٌ مَـرْواً ورائي   إلى الطَّبَسَيْن معتامٌ عُمـانا
لآوي معقِلاً فيها وحِرْزاً   فكنّا أهـل ثروَتهـا زمانا[1]

فأقام بعُمانَ مدّة ثم اجتواها[2] ، وساءت حالُه بها ، فكتـب إلى المهلّب معتذراً : [من البسيط]

بئس التبـدُّل من مَـرْوٍ وساكِنِها   أرضُ عُمـانَ وسُكنى تحت أطوادِ
يُضحِي السحابُ مَطيراً دونَ مُنصِفِها   كأنّ أجبالَهـا عُلّـت بفِرصادِ[3]
يا لهف نفسي على أمرٍ خطِلت به   وما شَفَيتُ به غِمْري وأحقادي[4]
أفنيتُ خمسين عاماً في مديحكمُ   ثم اغتررتُ بقـول الظالم العادي
أبلغ يزيدَ قريـنَ الجُود مألُكةً   بـأنّ كعبـاً أسيرٌ بـين أصفادِ
فإن عفوتَ فبيتُ الجـود بيتُكُـم   والدَّهـرُ طَوْران من غَـيٍّ وإرشادِ
وإن مننتَ بصفحٍ أو سمحـتَ بـه   نزعـتُ نحـوَك أطنابي وأوتادي

وذكر المدائنيّ أنّ يزيد بن المهلّب حبسه ودسّ إليه ابن أخ له فقتله .

1 الثروة : الكثرة من المال والناس .
2 اجتواها : كرهها .
3 المنصف من كل شيء : وسطه . علت : سقيت . والفرصاد : صبغ أحمر .
4 الغمر : الحقد .

[مقتل بني الأهتم]

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب النَّضر أيضاً أنّ الحجّاج كتب إلى يزيد بن المهلّب يأمره بقتل بني الأهتم ، فكتب إليه يزيد : إنّ بني الأهتم أصحابُ مَقال وليسوا بأصحاب فَعال ، فلا تُقدِّرْ أن نُحدِث فيهم ضرراً ، وفي قتلهم عار وسُبّة ؛ واستوهَبَهم منه ، فتغافَلَ عنهم ، ثم انضمّوا إلى المفضل بنِ المهلّب ، فكتب إليه الحجّاج يأمره بقتلهم ، فكتب إليه بمثل ما كتب به أخوه ، فأعفاهم ، ثم ولي قتيبةُ بن مسلم ، فخرجوا إليه والتَقوا معه ، وذكروا بني المهلّب فعابوهم ، فقبلهم قتيبةُ واحتوى عليهم ، فكانوا يُغرون الجندَ عليه ويَحمِلونهم على سُوء الطاعة ، فكتب يشكوهم إلى الحجّاج ، فكتب إليه يأمره بقتلهم ، فقتلهم جميعاً ، فقال كعب الأشقريّ في ذلك : [من الكامل]

قــل للأهاتم من يَعُود بفَضْله ... بعد المفضَّل والأَغَـرِّ يزيـدِ
رَدّا صحائفَ حَتْفِكم بمَعاذرٍ ... رجعتْ أشائمَ طيرِكم بسعودِ
رَدّا على الحجّـاج فيكمْ أمرَه ... فجَزيتـمُ إحسانَـه بجحـودِ
فاليوم فاعتبِروا فَعـالَ أخيكمُ ... إنّ القياس لِجاهـل ورشيدِ

[هجاء عمرو بن عمير]

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتابه أيضاً قال : وَلّى يزيدُ بنُ المهلَّب رجلاً من اليَحْمَد يقال له عمرو بنُ عُمَير الزِّمَّ ، فلقيه كعب الأشقريّ فقال له : أنت شيخ من الأزد يولّيك الزِّمَّ . ويولّي ربيعةَ الأعمالَ السنيّة ، وأنشده : [من الوافر]

لقـد فـازَتْ ربيعةُ بالمَعـالي ... وفـازَ اليَحْمديُّ بعهْـدِ زَمٍّ[1]
فإن تَـكُ راضياً منهمْ بهـذا ... فـزادَك ربُّنـا غمّـاً بغَـمِّ
إذا الأزْدِيُّ وَضَّـح عارِضاه ... وكانت أُمُّه مِـنْ حيٍّ جَرْمٍ[2]
فثَـمَّ حماقـةٌ لا شكَّ فيهـا ... مُقابلـةٌ فمـن خـالٍ وعَمٍّ[3]

فردَّ اليَحمديّ عهد يزيد عليه ، فحلف لا يستعمله سنة ، فلمّا أجحفتْ به المؤونة قال لكعب : [من البسيط]

---

1 زم : بلد على نهر جيحون .
2 وضّح : ابيضّ شعره . والعارضان : جانبا الوجه .
3 مقابلة : أي من طرف الأب والأم .

لـو كنتَ خلّيتَني يا كعبُ متّكئاً ... في دُور زَمَّ لما أَقفرتُ مِن عَلفِ
ومن نبيذٍ ومـن لحـمٍ أُعَلُّ بـه ... لكنّ شِعرَك أمـرٌ كان من حِرفي
إنّ الشقيّ بمروٍ مَـن أقـام بهـا ... يُقارع السُّوقَ من بَيْع ومن حَلفِ

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال : حدَّثني الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال : قال كعب الأشقريّ يهجو زياداً الأعجم : [من الطويل]

وأقلفَ صلَّى بعـد مـا ناكَ أُمَّه ... يَرى ذاك في دِين المَجوسِ حَلالا

فقال له زياد : يا ابن النّمامة أهي أخبرتْك أنّي أقلف ؟ فغلبه زياد . والقصيدة التي أوّلها :

طربتُ وهـاج لي ذاك ادّكارا

[قصيدته في المهلّب]

وفيه الغناء المذكور بذكرِه خبرُ كعب الأشقريّ ، يمدح بها المهلَّب بن أَبي صُفرة ويذكر قتالَه الأزارقة ، وفيها يقول بعد الأبيات الأربعة التي فيها الغناء : [من الوافر]

غَرِضْن بمجلِسي وكرِهْنَ وَصلِي ... أوانَ كُسِيتُ مـن شَمَطٍ عِذارا[1]
زَرَيْـن عـليَّ حـين بَدا مَشيبي ... وصارت ساحَتـي للهـمّ دارا[2]
أتـاني والحديـثُ لـه نَمـاءٌ ... مقالـةُ جائـر أحفـى وجارا
سلـوا أَهـلَ الأَباطِحِ من قريشٍ ... عـن العـزّ المؤبَّـدِ أيـن صارا
ومَـن يَحمي الثغورَ إذا استحرّت ... حـروبٌ لا يَنـون لهـا غِرارا[3]
لقومي الأزد في الغَمَرَات أمضى ... وأوفـى ذِمّـةً وأعـزُّ جـارا
هـمُ قادوا الجيـادَ على وَجاهـا ... مـن الأَمْصار يقذِفْـن المِهـارا[4]
بكـلّ مَفـازة وبكـلّ سَهْـبٍ ... بَسابِسَ لا يَـروْنَ لهـا مَنارا[5]
إلى كِرمـانَ يحملـن المنايـا ... بكـلّ ثنيّـة يوقِـدن نـارا
شَوازب لم يصِبن الثـار حتـى ... رددناهـا مكلَّمـةً مِـرارا[6]

1 غرضن : مللن .
2 زرين : عبن .
3 لا ينون : لا يفترون . غرار : غافلون .
4 الوجى : الحفا .
5 المفازة والسهب : الفلاة ، وكذلك البسبس . والمنار : العلم .
6 الشوازب : الخيل الضامرة . ومكلمة : مجرحة .

ويشجرن العــوالي السُّمْر حتــى ... تَــرى فيهــا على الأَسَل ازوِرارا[1]
غــداةَ تَركن مصرعَ عَبــدَ ربٍّ ... يُثرن عليــه مــن رَهَجٍ عِصارا[2]
ويوم الزحــف بالأَهــواز ظِلْنــا ... نــروِّي منهــمُ الأَسَل الحِــرارا[3]
فقــرّت أعيُــنٌ كانــت حديثــاً ... ولم يــك نومهـــا إلاّ غِــرارا
صنائعنـــا السَّوابــغ والمَذاكــي ... ومَــن بـالمِصر يحتلــب العِشارا[4]
فهــنّ يبحـــن كلَّ حِمًى عزيزٍ ... ويَحمـــين الحقائـــقَ والذِّمـــارا
طُــوالاتُ المُتــون يُصَـــنَّ إلاَّ ... إذا سار المهلَّـب حيــث سارا
فلــولا الشَّيخ بالمِصْرَيــن يَنفِي ... عدوَّهمُ لقــد تَركــوا الديــارا[5]
ولكنْ قــارعَ الأبطــالَ حتــى ... أَصابوا الأَمــنَ واجتنبوا الفــرارا
إذا وَهَنــوا وحَــلَّ بهــمْ عظيمُ ... يَــدُقّ العظــمَ كان لهــمْ جبارا
ومُبْهَمَــةٍ يَحيــد النــاسُ عنهــا ... تَشُبُّ المــوتَ شَدَّ لهــا الإزارا
شِهــابٌ تَنجلِــي الظَّلمــاء عنــه ... يَــرى في كلّ مبهمــةَ مَنارا
بــل الرحمــنُ جـــارُك إذ وَهنَّا ... بِدفعِــك عــن مَحارِمنا اختْيارا
بَــراك اللهُ حــين بَــراك بَحْـراً ... وفجّــر منــك أنهـــاراً غِزارا

وقد مضت هذه الأبيات متقدِّمةً فيما سلف من أَخبار كعبٍ وشعرِه .

[مزيد من شعره في المهلّب وولده]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثنا محمد بن سعد الكُرانيّ قال : حدَّثني العُمَريّ عن العُتْبيّ قال : قال عبد الملك بن مُروان : يا معشر الشعْراء ، تشبِّهوننا بالأَسد الأبخر ، والجَبَل الوَعْر ، والمِلْح الأُجاج ؟ ألا قلتم كما قال كعبٌ الأشقريّ في المهلب وولدِه : [من الوافر]

براك الله حين براك بحـراً ... وفجـر منـك أنهاراً غزارا

---

1 السمر والأسل : الرماح . والعوالي : الرماح المستقيمة .
2 عبد ربّه : قائد الخوارج بعد قطري بن الفجاءة . الرهج : الغبار . والعصار : الغبار الشديد .
3 الحرار : العطشى .
4 السوابغ : الدروع . والمذاكي : الخيل التي مضى على قروحها سنة أو سنتان . والعشار : التي مضى لحملها عشرة أشهر .
5 المصران : البصرة والكوفة .

شهاب تنجلي الظلماء عنه   يـرى في كلّ مبهمة منارا

قال النضر : وكان لكعب الأشقريّ ابن أخ شاعر فمدح رجلاً من بني عجل كان مع يزيد بن المهلّب يقال له عمرو . فأمر له بشعير فقال ابن أخي كعب يهجوه : [من الطويل]

لقد خـاب أقوامٌ سَرَوْا ظُلَمَ الدُّجى   يَؤُمّـون عَمـراً ذا الشعيرِ وذا البُرِّ
يؤمُّون مَـن نـال الغِنـى بعد شَيْبِه   وقاسى وَليـداً مـا يقاسي ذوو الفقرِ
فقل لُلجَيْـمٍ يـا لَبَكر بـن وائـل   مقالَةَ مَـن يَلحى أخـاه ومن يُزْري
فلـو كنتـمُ حيّـاً صميمـاً نَفيْتـمُ   بخيلكُـم بالرَّغـم منـه وبالصُّغرِ[1]
ولكنّكم يـا آلَ بكـر بـنِ وائـلٍ   يسودُكُمُ مَـن كان في المـال ذا وَفْرِ
هـو المانـع الكلـبَ النُّباحَ وضَيْفُه   خَميصُ الحَشا يَرعى النجومَ التي تَسرِي

[هجاؤه لابن أخيه]

قال : وكان بين كعب وبين ابن أخيه هذا تباعد وعداوة ، وكانت أمّه سوداءَ فقال يهجوه : [من البسيط]

إنّ السواد الذي سُرْبلتَ تَعرفـه   ميراث جَـدِّك عن آبائـه النُّوبِ
أشبهتَ خالَكَ خالَ اللؤمِ مؤتَسِياً   بهَدْيِـه سالكـاً في شرّ أُسْلوبِ

[مقتله]

قال المَدائنيّ في خبره : وكان ابن أُخي كعب هـذا عدوّاً له يسعى عليه ، فلمّا سأل مَجزأةُ بنُ زياد بن المهلّب أباه في كعب فخلاّه ، دسّ إليه زيادُ بنُ المهلّب ابنَ أخيه الشاعر ، وجعل له مالاً على قتله ، فجاءه يوماً وهو نائم تحت شجرة ، فضرب رأسه بفاس فقتله ، وذلك في فتنة يزيدَ بن المهلّب وهو بعمان يومئذٍ . وكان لكعب أخ غيرُ أخيه الذي قتله ابنه ، فلمّا قُتِل يزيد بنُ المهلّب فرّق مسلمةُ بنُ عبد الملك أعمالَه على عمّالٍ شتّى فولّى البصرةَ وعُمانَ عبدَ الرحمن بن سليمان الكلبيّ ، فاستخلف عبدُ الرحمن على عُمانَ محمدَ بنَ جابر الراسِبيّ ، فأخذ أُخو كعبٍ الباقي ابنَ أُخيه الذي قَتَل كعباً ، فقدّمه إلى محمد بن جابر ، وطلب القَوَد منه بكعب ؛ فقيل له : قُتِل أخوك بالأمس ، وتَقتلَ قاتلَه وهو ابن أُخيك اليوم ؟ وقد مضى أخوك وانقضى ، فتَبقى فرداً كقَرْن الأعضب[2] ! فقال : نعم إنّ أُخي كعباً كان سيّدَنا وعظيمَنا ووَجْهَنا ، فقتله هـذا ، وليس فيـه خير ، ولا في بقائِه عزّ ، ولا هو خَلَفٌ من

---

1 الصغر : الصغار ، الذل .
2 الأعضب : الذي كسر أحد قرنيه .

كَعب فأنا أقتلُه به ، فلا خير في بقائه بعد كعب ، فقدّمه محمد بن جابر فضرب عنقَه والله أعلم .

[مدح قتيبة بن مسلم]

أخبرنا أبو بكر محمد بنُ خلف بن المَرزُبان قال : حدَّثنا أحمد بن الهيثم قال : حدَّثنا العُمَريّ ، عن الهيثم بنِ عديّ ولَقيط وغيرهما ، قالوا : حاصر يزيد بنُ المهلَّب مدينةَ خُوارَزمَ في أيّام ولايته ، فلم يَقدِر على فتحها ، واستصعَب عليه ، ثم عُزِل ووُلِّي قتيبةُ بنُ مسلم ، فزحف إليها ، فحاصرها ففتحها ، فقال كعب الأشقريّ يمدحه ويهجو يزيد بنَ المهلَّب بقوله : [من البسيط]

رمتكَ فِيلٌ بما فيها وما ظَلَمتْ ... من بعد ما رامها الفَجْفاجةُ الصَّلِفُ
صريح قيس وبعضُ الناس يجمعهمْ ... قُرًى وريفٌ ومنسوبٌ ومُقترِفُ[1]
منهم شُناسٌ ومَرداذاءُ نَعرفُه ... وفَسْخَراء ، قُبورٌ حَشْوُها القُلُفُ
لم يَركَبوا الخيلَ إلاّ بعدما هَرِموا ... فهمْ ثِقالٌ على أكتافها عُنُفُ

قال : الفيل الذي ذكره هو حصن خُوارَزم يقال له الكُهُنْدَر ، والكُهُنْدَر : الحصن العتيق ، والفَجْفاجة : الكثير الكلام . وشُناس : اسم أبي صُفرة ، فغيّره ، وتَسمَّى ظالماً ، ومَرْداذاء : أبو أبي صُفْرة ، وسمَّوْه بسراق لمّا تَعرَّبوا ، وفَسْخَراء : جدّه ، وهم قوم من الخُوز[2] من أهل عُمان ، نزلوا الأَزْد ، ثم ادّعَوا أنّهم صَلِيبةٌ صُرَحاءُ منهم .

صوت

[من الطويل]

لأسماءَ رسمٌ أصبح اليومَ دارسا ... وقفتُ به يوماً إلى الليلِ حابِسا
فجئنا بهيتٍ لا نَرى غيرَ منزِلٍ ... قليل به الآثـارُ إلاّ الروامِسا[3]
يدورون بي في ظلّ كلّ كنيسةٍ ... فينسُونني قومي وأهوى الكنائسا

البيت الأوّل من الشعر للعبّاس بن مِرْداس السُّلَميّ ، وبيت العبّاس مصراعه الثاني : [من الطويل]

---

1 قرفه : رماه بسوء .
2 الخوز : جيل من الناس ، فارسي معرب .
3 هيت : بلدة على الفرات . الروامس : الرياح التي تثير التراب .

توهّمتُ منــه رَحْرَحانَ فراكِسا

وغيّره يزيد بن معاوية فقال مكان هذا المصراع : [من الطويل]

وقفتُ بــه يوماً إلى الليل حابِسا

والبيت الثاني للعبّاس بن مِرْداس ، والثالث ليزيدَ بن معاوية ، ذكر بعضُ الرُّواة أنّه قاله على هذا الترتيب وأَمَر بُدَيحاً أن يغنّيَ فيه ، ففعل ؛ ولم يأتِ ذلك من جهة يوثَق بها ، والصحيح أنّ الغناء لمالك ، خفيف ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ ويحيى المكّيّ ، وهذا صوت زعموا أنّ مالِكاً صنعه على لحن سمعَه من الرُّهبان .

أَخبرني الحسن بنُ يحيى ، عن حمّاد بن إسحاق ، عن أَحمد بن المكّيّ ، عن أبيه ، عن سِياط ، أنّ مالِكاً دخل مع الوليد بن يزيد دَيْراً ، فسمع لَحْناً من بعض الرُّهبان فاستحسنه ، فصنع عليه .

ليس رَسمٌ على الدَّفِين ببــالي

فلمّا غنّاه الوليدَ قال له : الأوّل أَحسن فعد إليه . اللحن الثاني الذي لمالك ، ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ وعمرو ، وأوّله[1] : [من الخفيف]

دَرَّ دَرُّ الشّباب والشعرِ الأسـ ـوَدِ والضامراتِ تحت الرحالِ
والخناذيذ كالقداح مــن الشو حط يحملــنَ .شِكّــة الأبطالِ

1 البيتان لعبيد بن الأبرص في ديوانه (دار صادر) : 115 . وفيه «والراتكات» بدل «والضامرات» «والعناجيج» بدل «والخناذيذ» . والراتكات : التي تعدو في خطو متقارب . والعناجيج كالخناذيذ : الخيل الطويلة الصلبة . والشوحط : شجر تتّخذ منه القسي . والشكة : السلاح .

[273] ـ أخبار العباس بن مرداس ونسبه[1]

[نسبه]

العبّاس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس بن رفاعة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عَيْلان بنِ مضَر بن نزار ، ويكنى أبا الهيثم ، وإيّاه يعني أخوه سُراقة بقوله يرثيه : [من المتقارب]

أعَيْن ألا أبكـي أبـا الهَيْثَمَ وأُذرِي الدموعَ ولا تسأمي

وهي أبيات تُذكر في أخباره ، وأمّه الخَنساء الشاعرة بنت عمرو بن الشَّريد ، وكان العبّاس فارساً شاعراً شديد العارضة والبيان ، سيّداً في قومه من كلا طرفَيه ، وهو مخضرَم أدرك الجاهلية والإسلام ، ووفد إلى النبيّ ﷺ ، فلمّا أُعطى المؤلَّفةَ قلوبُهم فَضّل عليه عيينةَ بنَ حِصن والأقرعَ بنَ حابس ، فقام وأنشده شعراً قاله في ذلك ، فأمر بلالاً فأعطاه حتى رضي ، وخبره في ذلك يأتي بعد هذا الموضع .

[إسلامه]

أخبرني محمد بنُ جرير الطبريّ قال : حدَّثنا محمد بن حُميد قال : حدَّثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق عن منصور بن المعتمِر ، عن قَبيصة ، عن عمرو والخُزاعيّ عن العبّاس بن مِرداس بن أبي عامر أنّه قال : كان لأبي صنم اسمه ضِمار ، فلمّا حضره الموتُ أوصاني به وبعبادته والقيام عليه ، فعمَدتُ إلى ذلك الصنم فجعلته في بيت ، وجعلت آتيه في كلّ يوم وليلة مرّة ، فلمّا ظهر أمرُ رسول الله ﷺ سمعتُ صوتاً في جوف الليل راعَني ، نوثبتُ إلى ضِمار ، فإذا الصوت في جوفه يقول : [من الكامل]

قل للقبائل مـن سُليـمٍ كلِّهـا هَلَكَ الأَنيسُ وعاشَ أَهلُ المسجدِ
إن الذي وَرِث النبوّة والهدى بعد ابن مريمَ من قريشٍ مهتدي
أُودى الضِّمارُ وكان يُعبَدُ مَرّةً قبـل الكتابِ إلى النبـيّ محمدِ

قال : فكتمتُ الناسَ ذلك ، فلم أُحدِّث به أحداً حتى انقضت غَزوة الأحزاب ، فبينا أنا

---

1 للعبّاس بن مرداس ترجمتان في الشعر والشعراء : 218 ، 632 وفي الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة وكتب السيرة ومعجم المرزباني : 262 والسمط : 32 والطبري 3 : 172 والخزانة 1 : 152–153 وانظر مقدمة ديوانه ، جمع وتحقيق د . يحيى الجبوري .

في إبلي في طرف العَقيق وأنا نائم ، إذ سمعتُ صوتاً شديداً ، فرفعتُ رأسي فإذا أنا برجل على حِيالي بعمامة يقول : إنّ النور الذي وقع بين الاثنين وليلة الثلاثاء ، مع صاحب الناقة العضباء[1] ، في ديار بني أُخي العَنْقاء ، فأجابه طائف عن شماله لا أُبصِره فقال : بَشّر الجنَّ وأجناسَها ، أن وضعت المَطِيّ أحلاسَها ، وكفّت السماء أحراسَها ، وأن يُغِصَّ السَّوْقُ أنفاسَها ، قال : فوثبتُ مذعوراً وعرفتُ أنّ محمداً رسول الله ﷺ مصطفى ، فركبتُ فرسي وسرتُ حتى انتهيت إليه فبايعته وأسلَمْت ، وانصرفت إلى ضمار فأحرقتُه بالنار .

وقال أبو عبيدة : كانت تحت العبّاس بنِ مِرداس حبيبة بنتُ الضحّاك بن سُفيان السُّلَميّ أحد بني رِعْل بن مالك ، فخرج عبّاس حتى انتهى إلى إبله وهو يريد النبيّ ﷺ ، فبات بها ، فلمّا أصبح دعا براعيه فأوصاه بإبله ، وقال له : من سألك عنّي فحدِّثْه أنّي لحقتُ بيثربَ ، ولا أحسبني إن شاء الله تعالى إلاّ آتياً محمداً وكائناً معه ، فإنّي أرجو أن يكون رحمة من الله ونوراً ، فإن كان خيراً لم أُسبَق إليه ، وإن كان شرّاً نصرتُه لخئُولته ، على أنّي قد رأيت الفضلَ البيِّن وكرامةَ الدنيا والآخرة في طاعته ومؤازرته ، واتّباعه ومبايعته ، وإيثارِ أمرِه على جميع الأمور ، فإنّ مناهج سبيله واضحة ، وأعلامَ ما يجيء به من الحقّ نيرة ، ولا أرى أحداً من العرب يَنصِب[2] له إلاّ أُعطِيَ عليه الظفَر والعلوّ ، وأراني قد أُلقِيتْ عليَّ محبّةٌ له ، وأنا باذلٌ نفسي دون نفسه أريد بذلك رضا إله السماء والأرض ؛ قال : ثم سار نحو النبيّ ﷺ ، وانتهى الرّاعي نحو إبله ، فأتى امرأته فأخبرها بالذي كان من أمره ومسيره إلى النبيّ ﷺ ، فقامت فقوّضتْ بيتَها ، ولحقتْ بأهلها ، فذلك حيث يقول عبّاس بن مُرداس ، حين أحرق ضِماراً ولحق بالنبيّ ﷺ[3] : [من الطويل]

لَعَمري إنّي يـوم أجعَل جاهداً ... ضِماراً لـربّ العالمـين مُشارِكا

وتركي رسول الله والأوسُ حوله ... أولئك أنصار لـه ، مـا أولئكا ؟

كتارك سهلِ الأرضِ ، والحَزَن يبتغي ... ليَسلُك في غيب الأمور المسالكا

فآمنـتُ بـالله الذي أنـا عبـدُه ... وخالفتُ من أمسى يريد الممالكا

وَوَجّهتُ وجهي نحو مكّة قاصداً ... وتابعت بـين الأخشبين المبارِكا[4]

1 العضباء : اسم ناقة النبي ﷺ .

2 ينصب له : يعاديه .

3 ديوانه : 93–94 عن الأغاني .

4 الأخشبان : جبلان مطيفان بمكّة وهما أبو قبيس والأحمر .

نبيٌّ أتانا بعدَ عيسى بناطق ... من الحقّ فيه الفصل منه كذلكا
أميناً على الفرقان أوّل شافع ... وآخر مبعوث يجيب الملائكا
تَلافى عُرى الإسلام بعد انفصامها ... فأحكَمَها حتّى أقام المَناسِكا
رأيتك يا خير البريّة كلّها ... توسّطتَ في القربى من المجد مالِكا
سبقتَهمُ بالمجدِ والجُودِ والعُلا ... وبالغاية القصوى تَفوت السَّنابكا
فأنتَ المصفّى من قريش إذا سمتْ ... غَلاصِمُها تَبغي القُروم الفوارِكا[1]

قال : فقدِم عبّاس على رسول الله ﷺ المدينة حيث أراد المسير إلى مكّة عامَ الفَتْح ، فواعَدَ رسول الله ﷺ قُدَيدا[2] ، وقال : القَني أنت وقومك بقديد ، فلمّا نزل رسول الله ﷺ قُديداً وهو ذاهب ، لقيه عبّاس في ألف من بني سُليم ، ففي ذلك يقول عبّاس بنُ مرداس[3] : [من الطويل]

بلِّغْ عباد الله أنّ محمّداً ... رسولَ الإله راشدٌ أين يمّما
دعا قومَه واستنصر اللهَ ربَّه ... فأصبح قد وافى الإله وأنعما[4]
عشية واعدنا قُدَيداً محمّداً ... يؤمّ بنا أمراً من الله مُحكَما
حلفت يميناً بَرّةً لمحمّد ... فأوفيته ألفاً من الخيل مُعلَما
سرايا يراها الله وهو أميرُها ... يؤمّ بها في الدِّين من كان أظلَما[5]
على الخيل مشدوداً علينا دُروعُنا ... وخيلاً كدُفّاع الأتيِّ عرمرما[6]
أطعناك حتى أسلم الناس كلّهم ... وحتّى صبَحْنا الخيلَ أهل يَلَمْلَما

وهي قصيدة طويلة .

[موقف زوجته من إسلامه]

قال : ولمّا عرّف راعي العبّاس بن مرداس زوجتَه بنت الضحّاك بن سفيان خبره وإسلامَه

---

1 الغلاصم هنا : السادة . والقرم : السيد . والفوارك : جمع فارك وهو المبغض لزوجته أو المبغضة لزوجها . أي الذين لا تلهيهم النساء عن عظائم الأمور .
2 قديد : موضع قرب مكّة .
3 ديوانه : 101–103 وفيه اختلاف كبير في اللفظ والترتيب .
4 وافى الله حقّه : أدّاه . وأنعم : زاد .
5 أظلم : ظالم .
6 الدفاع : كثرة الماء وشدّة جريانة . والأتي : السيل . والجيش العرمرم : الكثير .

قوّضتْ بيتها ، وارتحلتْ إلى قومها ، وقالت تؤنّبه : [من الطويل]

ألم ينـــه عبّاس بن مِرْداسَ أنّني … رأيت الورى مخصوصةً بالفجائعِ
أتاهمْ مــن الأنصار كلُّ سَمَيْذعٍ … من القوم يَحمِي قومَه في الوقائعِ
بكلّ شديد الوَقْع عَضْب ، يقودُه … إلى الموت هامُ المُقربات البرائعِ[1]
لَعَمري لئن تابعـــت دينَ محمد … وفارقت إخـوانَ الصّفا والصنائعِ
لبدّلت تلـــك النفسَ ذلاً بعِـــزّة … غداةَ اختلاف المُرهَفات القواطعِ
وقوم هم الرأس المقدَّم في الوغى … وأهـــلُ الحِجا فينا وأهلُ الدَّسائعِ[2]
سيوفُهُم عـــزُّ الذَّليـــل وخيلُهـمْ … سِهام الأعادي في الأمور الفظائعِ[3]

[احتجاجه على قسمة الغنائم]

فأخبرني أحمد بن محمد بن الجعد قال : حدَّثنا محمد بن إسحاق المسيّبي قال : حدَّثنا محمد بن فُلَيح عن موسى بن عقبة ، عن ابن شِهاب ، وأخبرني عمر بن إسماعيل بن أبي غَيْلان الثّقفيّ قال : حدَّثنا داود بن عمرو الضَّبّيّ قال : حدَّثنا محمد بن راشد عن ابن إسحاق ، وحدَّثَنيه محمد بنُ جرير قال : حدَّثنا محمد بن حُمَيد قال : حدَّثنا سَلَمة عن ابن إسحاق ، وقد دخل حديثُ بعضهم في حديث بعض ، أنّ رسول الله ﷺ قسّم غنائمَ هَوازنَ ، فأكثر العطايا لأهل مكّة ، وأجزل القَسْم لهم ولغيرهم ممّن خرج إلى حُنين ، حتى إنّه كان يعطي الرجل الواحد مائة ناقة ، والآخر ألف شاة ، وزَوى كثيراً من القَسْم عن أصحابه ، فأعطى الأقرعَ بنَ حابس وعيينةَ بن حصن والعبّاسَ بنَ مرداس عطايا فضّل فيها عيينةَ والأقرعَ على العبّاس ، فجاءه العبّاس فأنشَدَه[4] : [من المتقارب]

وكانت نِهاباً تلافيتُهـــا … بِكَرِّي على المُهْر في الأجرَعِ
وإيقاظِيَ الحـــيَّ أن يرقُدوا … إذا هجع القـومُ لم أهجَعِ
فأصبحَ نَهبِـي ونَهبُ العُبيـ … ـدِ بين عُيينةَ والأقرعِ[5]

1 المقربات : جمع مقربة ، وهي الفرس التي تقرب وتكرم ، أو التي ضمرت للركوب . والبرائع : جمع بريعة ، وهي المرأة الجميلة العاقلة ، وقد جعلت هنا وصفاً للفرس .
2 الدسائع : جمع دسيعة وهي العطية الجزلة .
3 سهام في ل : سمام .
4 ديوانه : 83-85 .
5 العبيد : فرس العباس بن مرداس .

وقد كنتُ في الحرب ذا تُدْرإ فلـم أُعْطَ شيئـاً ولم أُمنَعِ[1]
وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداسَ في مجمعِ
وما كنت دون امرىء منهما ومن تصنع اليـومَ لا يُرفعِ

فبلغ قومه رسولَ الله ﷺ ، فدعاه فقال له : أنت القائل : «أَصْبَحَ نَهبِي ونهبُ العبيد بين الأقرع وعيينة ؟» فقال أبو بكر : بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله ، لم يقل كذلك ، ولا والله ما أنت بشاعر ، ولا ينبغي لك الشعرُ ، وما أنت براوية ، قال : فكيف قال ؟ فأنشده أبو بكر رضي الله عنه ، فقال : هما سواء ، لا يضرّك بأيّهما بدأت : بالأقرع أمّ بعيينة ، فقال رسول الله ﷺ : اقطعوا عنّي لسانَه ، وأمر بأن يُعطوه من الشّاء والنَّعَم ما يرضيه ليُمسِك ، فأُعطِيَ ، قال : فوجَدَتِ الأنصارُ في أنفسها ، وقالوا : نحن أصحاب مَوْطِن[2] وشدّة ، فآثر قومه علينا ، وقسم قَسْماً لم يقسمه لنا ، وما نراه فعل هذا إلاّ وهو يريد الإقامة بين أظهرهم ، فلمّا بلغ قولُهم رسولَ الله ﷺ أتاهم في منزلهم فجمعهم ، وقال : من كان هاهنا من غير الأنصار فليرجع إلى أهله ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا معشر الأنصار ، قد بلغتني مقالةٌ قلتموها ، وموجِدة وجَدْتموها في أنفسكم ، أَلَم آتكم ضُلاّلاً فهداكم الله ؟ قالوا : بلى . قال : أَلَـم آتكم قليلاً فكثركم الله ؟ قالوا : بلى . قال : أَلَم آتكم أعداءً فألّـف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى .

قال محمد بن إسحاق : وحدَّثني يعقوب بن عيينة أنّه قال : أَلَم آتكم وأنتم لا تركبون الخيل فركبتموها ؟ قالوا : بلى . قال : أفلا تجيبون يا معشر الأنصار ؟ قالوا : لله ولرسوله علينا المنّ والفضل ، جئتنا يا رسول الله ونحن في الظلمات ، فأخرَجَنا اللهُ بك إلى النور ، وجئتَنا يا رسول الله ونحن على شفا حُفْرة من النار ، فأنقذنا الله ، وجئتَنا يا رسول الله ونحن أذلّة قليلون فأعزّنا الله بك ، فرضينا بالله ربّاً ، وبالإسلام دِيناً ، وبمحمد رسولاً . فقال ﷺ : أما والله لو شئتم لأجبتموني بغير هذا ، فقلتم : جئتَنا طريداً فآويناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وعائلاً فأغْنيناك ، ومكذَّباً فصدّقناك ، وقبِلْنا منك ما ردّه عليك الناسُ ، لقد صدقتم . فقال الأنصار : لله ولرسوله علينا المنّ والفضل ، ثم بكوا حتى كثر بكاؤهم ، وبكى رسول الله ﷺ ، وقال : يا معشر الأنصار وَجَدْتم في أُنفسكم في الغنائم أن آثرتُ بها ناساً أتألّـفهم على الإسلام ليُسلِموا ، ووكَلْتكم إلى الإسلام ، أو لا ترضَون أن يذهب الناسُ بالشاء والإبل ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ والذي نفس محمد بيده

---

1 ذو تدرأ : ذو دفع من قومي .
2 موطن : مشهد في الحرب .

لو سلك الناسُ شِعْباً وسلك الأنصار شِعْباً لسلكتُ شِعب[1] الأنصار ، ولولا الهجرة لكنتُ امرءاً من الأنصار ، ثم بكى القوم ثانيةً حتى أخضَلوا لِحاهُم ، وقالوا : رضينا يا رسول الله بالله وبرسوله حَظّاً وقَسْماً ، وتفرّق القوم راضين ، وكانوا بما قال لهم رسولُ الله ﷺ أشدَّ اغتباطاً من المال .

وقال أبو عمرو الشيباني في هذا الخبر : أُعطي رسولُ الله ﷺ جماعةً من أشراف العرب عطايا يتألّف بها قلوبَهم وقومَهم على الإسلام ، فأعطى كلَّ رجلٍ من هؤلاء النّفر ، وهم : أبو سفيان بن حرب ، وابنه معاوية ، وحكيم بن حزام ، والحارث بن هشام ، وسُهَيل بن عمرو ، وحُوَيْطِب بن عبد العُزَّى ، وصفوان بن أميّة ، والعلاء بن حارثة الثَّقَفيّ حليفُ بن زُهرة ، وعيينة بن حِصْن ، والأقرع بن حابس ، مائةً من الإبل ، وأعطى كلَّ واحد من مَخْرَمة بن نوفل وعمير بن وهب أحد بني عامر بن لؤيّ وسعيد بن يربوع ، ورجلاً من بني سهم دون ذلك ما بين الخمسين وأكثر وأقلّ ، وأعطى العبّاس بنَ مرداس أباعر ، فتسخَّطَها وقال الأبيات المذكورة ، فأعطاه حتى رضي .

[بين عبد الملك وعبد الله بن الزُّبير]

حدَّثنا وكيع قال : حدَّثنا الكُرانيّ قال : حدَّثنا عطاء بنُ مصعب ، عن عاصم بن الحَدَثان قال : كتب عبد الملك بن مروانَ إلى عبد الله بن الزُّبير كتاباً يتوعّده فيه وكتب فيه : [من الطويل]

إنّي لَعِندَ الحرب تحمل شِكّتي ... إلى الرَّوْعِ جَرْداء السَّيالة ضامرُ

والشعر للعبّاس بن مرداس . فقال ابن الزُّبير : أبالشعر يقوى عليّ ؟ والله لا أجيبه إلاّ بشعر هذا الرجل ؛ فكتب إليه[2] : [من الوافر]

إذا فُـرِس العَـوالي لم يخالجْ ... هُمومي غير نصرٍ واقترابِ[3]
وإنّا والسَّوابـح يــومَ جُمْـعٍ ... وما يتلو الرسول من الكتابِ[4]
هزمْنا الجمعَ جمعَ بني قِسِيٍّ ... وحكّت بَرْكَهـا ببني رِئابِ[5]

هـذه الأبـيات مـن قصيـدة يفخـر بهـا العبّـاس برسول الله ﷺ ونصرِه لـه ، وفيهـا يقـول : [من الوافر]

1 ل : مسلك .
2 ديوانه : 33–34 وفيه اختلاف .
3 فُرس : دقّ وكسر .
4 جمع في ل : بدر .
5 البرك : كلكل البعير . ويقال في شدّة الحرب «حكت بركها بهم» .

يذي لَجَب رسولُ الله فيه كتيبتُه تعرَّضُ للضِّرابِ[1]
ولو أدركن صِرم بني هلالٍ لآمَ نساؤهمْ والنَّقْع كابي[2]
ركضن الخيل فيهم يوم لبنى : إلى الأرواد تنحط بالنهابِ

[مقتل أخيه هريم]

قال أبو عبيدة : وكان هُرَيم بنُ مرداس مجاوراً في خُزاعة في جوار رجل منهم يقال له عامر ، فقتله رجل من خُزاعة يقال له خُوَيْلد ، وبلغ ذلك أخاه العبّاس بن مرداس ، فقال يحضّ عامراً على الطلب بثأر جاره ، فقال : [من الطويل]

إذا كان باغٍ منك نالَ ظُلامةً فإنّ شفاء البغي سيفُك فافصِلِ
ونبّئت أن قد عوّضوك أباعراً وذلك للجيران غزل بمغزلِ
فخذها فليست للعزيز بنُصرةٍ وفيها متاعٌ لامرىء متذلِّلِ

وهذا البيت الأخير كتب به الوليد بن عقبة إلى معاوية لمّا دعاه عليّ عليه السلام إلى البيعة ، وتحدّث الناسُ أنّه وعده أن يولّيه الشام إذا بايعه .

قال : فلمّا بلغتْه هذه الأبيات آلى لا يصيب رأسه ولا جسده ماء بغُسل حتى يثأر بهُرَيم ، ثم إنّ أبا حُلَيْس النَّصْرِيَّ لقِي خويلداً قاتِلَ هُرَيم فقتَله ، فقال بنو نصر : بُؤْ بدم فلان النصريّ ، رجل كانت خزاعة قتلتْه ، فقال أبو الحليس : لا ، بل هو بُؤْ بدم هُرَيم بن مرداس ، وبلغ ذلك العبّاس ، فقال يمدحه بقوله[3] : [من الطويل]

أتاني من الأنباء أنّ ابنَ مالكٍ كفى ثائراً من قومه مَن تغيّبا
ويَلقاك ما بين الخَميس خُويلدٌ أرى عَجَباً بل قتله كان أعجبا
فِدًى لك أُمّي إذ ظَفِرتَ بقتلِهِ وأقسم أبغي عنك أمّا ولا أبا[4]
فمثلُكَ أدّى نُصرةَ القوم عَنوةً ومثلُك أعيا ذا السّلاح المجرّبا

[حرب بني نصر]

قال أبو عبيدة : أغارت بنو نصر بن معاوية على ناحية من أرض بني سُلَيم ، فبلغ ذلك العبّاس بنَ مرداس ، فخرج إليهم في جمع من قومه ، فقاتلهم حتى أكثَر فيهم القتل ، وظهرت عليهم بنو سُلَيم ، وأسروا ثلاثين رجلاً منهم ، وأخذتْ بنو نصر فرساً للعبّاس

---

1 الشطر الثاني في ل : كعارضة . . . للضراب .
2 كابي : مرتفع .
3 ديوانه : 113 عن الأغاني .
4 أقسم أبغي : أقسم لا أبغي .

عائرةً يقالِ لها زِرّة[1] ، فانطلق بها عطيّة[2] بنُ سُفْيان النَّصْرِيّ ، وهو يومئذٍ رئيس القوم ، فقال في ذلك العبّاس[3] : [من الطويل]

أَبى قومنا إلاّ الفرارَ ومــن تكن هــوازنُ مولاه مــن الناس يُظلمِ
أغــار علينــا جمعُهمْ بــين ظالمٍ وبين ابنِ عــمٍّ كاذبِ الودِّ أَيْهَمِ[4]
كلاب ومــا تفعل كلابٌ فإنّها وكعب سراة البيت مـا لم تهدَّمِ
فإن كان هــذا صُنعُكم فتجرَّدوا لألفــين منّــا حاسر ومُلأَّمِ[5]
وحربٍ إذا المرء السَّمين تمرّستْ بأعطافــه بــالسيف لم يترمرمِ[6]
ولم أحتَسِبْ سُفيانَ حتــى لقيتُه على مأقــط إذ بيننا عِطر مَنْشمِ[7]
فقلت وقد صاح النساء خلالَهم لخيليَ شُدّي إنّهم قــومُ لَهذَمِ[8]
فما كان تهليلٌ لُــدنْ أن رميتُهمْ بــزِرّةَ رَكْضاً حاسِراً غيرَ مُلجَمِ
إذا هي صدّت نحرَها عن رماحِهم أقدّمهــا حتــى تَنعَّـــل بالدمِ
وما زال منهم رائــغٌ عن سبيلها وآخَــرُ يَهــوِي لليدين وللفمِ
لَدُن غُدوةً حتى استُبيحوا عشيّةً وذَلّوا فكانــوا لحْمَـــة المتلحِّمِ[9]
فآبوا بهــا عُرْفاً وألقَيتُ كَلْكَلي على بَطَل شاكي السِّلاح مكلَّمِ[10]
ولــن يمنع الأقــوام إلاّ مُشايحٌ يُطارد في الأرض الفضاء ويرتمي[11]

قال : ثم إنّ العباس بن مرداس جمع الأسارى من بني نصر ، وكانوا ثلاثين رجلاً ،

---

1 ل : زورة .
2 ل : غبطة .
3 ديوانه : 145–146 عن الأغاني .
4 أيهم : لا عقل له ولا فهم .
5 حاسر : بلا درع أو بيضة . والملأم : اللابس عدّة الحرب .
6 السمين في ل : السليم . ترمرم : حرّك فاه بالكلام .
7 المثل : «أشام من عطر منشم» أو «دقوا بينهم عطر منشم» في معظم كتب الأمثال . والمأقط : الضيق الذي يتقاتلون فيه .
8 لخيلي شدي في ل : لقومي شدوا . اللهذم : القاطع من الأسنة .
9 المتلحّم : طالب اللحم .
10 عرفاً : معترفين بالهزيمة .
11 مشايح : مقاتل .

فأطلقهم ، وظنّ أنّهم سيثيبونه بفعله ، وأنّ سفيانَ سيردّ عليه فرسَه زِرّةَ ، فلم يفعلوا ، فقال في ذلك : [من الطويل]

أزِرّة خيرٌ أم ثلاثــون منكـمُ طليقـاً رددناه إليكُــمْ مسلّما

قال : وجعل العباسُ يهجو بني نصر ، فبلغه أنّ سفيانَ بن عبد يغوثَ يتوعّده في ذلك ، فلقِيَه عبّاس في المواسم ، فقال له ألا توفيني ما زعمت ؟ فقال له سفيان : والله لتنتهينّ أو لأصرمنّك ، فقال عباس : [من الطويل]

أتوعدني بالصَّرْم إن قلـت أوفني فاوفِ وزِدْ في الصَّرم لِهزِمَةَ النتنِ

وقال العباس أيضاً فيه[1] : [من الوافر]

ألا مَـن مُبلـغ سُفيانَ عنّـي وظنّـي أن سيبلغـه الرسولُ
ومــولاه عطيّــة أنّ قِيــلا خلا منّي وأن قد بات قِيلُ[2]
سئمتمْ ربّكــمْ وكفرتمـوه وذلكـــمُ بأرضكــمُ جميلُ
ألا تُــوفي كما أوفى شبيبٌ فحلّ لـه الولايــةُ والشُّمولُ
أبــوه كان خيــركمُ وفــاءً وخيــركمُ إذا حُمِـد الجميلُ
ألام على الهجـاء وكلّ يــوم تلاقيني مــن الجيران غولُ[3]
سأجعلها لأجمَعِكــم شِعـاراً وقــد يَمضي اللسان بما يقولُ

وهذه الأبيات من شعر العباس بن مرداس التي ذكرنا أخبارَه بذكرها ، وفيه الغناء المنسوب من قصيدة قالها في غَزاةٍ غزاها بني زُبيد باليمن .

[حربه مع بني زبيد]

قال أبو عمرو وأبو عُبيدة : جمع العبّاس بن مرداس بن أبي عامر ، وكان يقال للعبّاس : مقطِّع الأوتاد ، جمعاً من بني سُلَيم فيه من جميع بطونها ، ثم خرج بهم حتى صبّح بني زبيد بتثليثَ من أرض اليمن بعد تسع وعشرين ليلة ؛ فقتل فيها عدداً كثيراً ، وغنم حتّى ملأ يديه ، فقال في ذلك[4] : [من الطويل]

لأسماءَ رسمٌ أصبح اليـومَ دارسا وقفتُ بــه يوماً إلى الليل حابِسا

---

1 ديوانه : 125 عن الأغاني .

2 القيل : القول . خلا : مضى .

3 الغول : الداهية .

4 ديوانه : 68–71 وفيه اختلاف .

يقول فيها : [من الطويل]

فدع ذا ولكنْ هـل أتـاكَ مَقادنا … لأعدائنا نزجِي الثقالَ الكَوادِسا[1]
سموْنا لهـم تسعاً وعشرين ليلةً … نُجيزُ من الأعراض وَحشاً بَسابِسا[2]
فلم أرَ مِثلَ الحـيِّ حيّـاً مصبَّحا … ولا مِثلَنـا يـوم التقَينـا فوارِسا
إذا مـا شددْنا شَدَّةً نصبَوا لنا … صدورَ المَذاكي والرماحَ المَداعِسا[3]
وأحصَنَنا منهـمْ فمـا يبلغوننـا … فـوارسُ منّـا يحبسون المَحابسا
وجُرْدٌ كأنّ الأُسد فـوق مُتونها … من القـوم مرؤوساً كَمِيّا ورائسا
وكنتُ أمامَ القـوم أوّلَ ضاربٍ … وطاعنتُ إذ كان الطِّعان مُخالسا[4]
ولو مات منهمْ من جرحْنا لأصبحتْ … ضِباعٌ بأكنـاف الأُراكِ عرائسا

فأجابه عَمرو بنُ معديكَرِبَ عن هذه القصيدة بقصيدة أوّلها : [من الطويل]

لِمن طللٌ بالخَيْفِ أصبَحَ دارسا … تبـدَّل آرامـا وعِيناً كوانِسا

وهي طويلة ، لم يكن في ذكرها مع أخبار العباس فائدة ، وإنّما ذكرت هذه الأبيات من قصيدة العباس لأن الغناء المذكور في أوّلها !

[بكاؤه على جلاء بني النضير]

أخبرني الحِرْميّ بنُ أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثنا أبو غَزِيّة عن فُليح بن سليمان قال : قال العبّاس يذكر جَلاء بني النَّضير ويبكيهم بقوله[5] : [من الطويل]

لـو آن قَطِـينَ الدّار لم يتحمّلوا … وجدت خلال الدار مَلْهى ومَلعَبا
فإنّك عَمري هـل رأيـتَ ظعائنا … سَلَكن على رُكن الشطاة فمِيثَبا[6]
عليهـنّ عِـينٌ مـن ظِبـاءِ تَبالةٍ … أوانس يُصبـين الحليـمَ المجرّبا
إذا جاء باغـي الخيرِ قلن بشاشةً … لـه بوجـوهٍ كالدّنانير : مَرحَبا

---

1 الكوادس : المسرعة .
2 الأعراض : قرى بين الحجاز واليمن . البسابس : القفار .
3 المداعس : جمع مدعس وهو الرمح الغليظ الشديد .
4 مُخالسا في ل : تخالسا .
5 ديوانه : 38–39 وفيه اختلاف .
6 الشطاة وميثب : موضعان .

وأهــلاً فــلا ممنــوع خيرٍ طلبتَه ولا أنتَ تَخشى عندنـا أن تُؤنَّبا
فلا تَحسبَنّي كنتُ مولى ابن مِشْكمٍ سلامٍ ولا مـولى حُيَيِّ بن أخطبا[1]

فقال خوّات بنُ جُبير يجيب العبّاس : [من الطويل]

أتبكي على قتـلي يهودَ وقد تَرى من الشَّجْو لـو تَبكي أحقَّ وأَقرَبا
فهـلاَّ على قتـلى ببطـنِ أُوارةٍ بكيتَ وما تبكي من الشجو مغضبا
إذا السِّلم دارت في الصديق رددتَها وفي الدِّين صَدّادا وفي الحرب ثعلبا
وإنّـك لمـا أن كلِفت بِمدحـةٍ لِمـن كان مَيْنـا مدحُـه وتَكذُّبا
وجئـتَ بأمــر كنت أهلاً لمثله ولم تُلفِ فيهم قائـلاً لكَ مرحبا
فهـلاَّ إلى قـوم ملوكٍ مدحتَهمْ بَنوا مــن ذُرا المجد المقدَّم مَنصِبا
إلى معشر سادوا الملوكَ وكُرِّمـوا ولَم يُلَف فيهم طالبُ الحقِّ مُجدِبا
أولئك أُولى مـن يهـودَ بمِدحةٍ تراهمْ وفيهم عـزّةُ المجدِ تُرْتَبا[2]

فقال عبّاس بن مرداس يجيبه : [من الطويل]

هجوتَ صريحَ الكاهنَين وفيكمُ لهم نِعَم كانت من الدَّهـرِ تُرْتَبا[3]
أولئك أَحـرى إن بكيتَ عليهمُ وقومُك لو أدَّوا مــن الحقِّ موجَبا
من الشكرِ إنّ الشكر خيرُ مَغَبّةٍ وأَوفَقُ فِعـلاً للذي كان أصوَبا[4]
فصرتَ كمَن أمسى يقطِّع رأسَه ليبـلغَ عـزّاً كان فيــه مركَّبا
فبَكِّ بني هارونَ واذكـر فَعالَهمْ وقتلهمُ للجـوع إذ كُنْتَ مُسغبا

قال الزُّبير : فحدَّثني محمد بن الحسن عن مُحرِز بن جعفر قال : التقى عبّاس بنُ مرداس وخوّات بنُ جبير يوماً عند عمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه ، فقال خوّات : يا عبّاس أأنت الذي رثيتَ اليهود ، وقد كان منهم في عداوة رسول الله ﷺ ما كان ! فقال عباس : إنّهم كانوا أخلاّئي في الجاهلية ، وكانوا أقواماً أنزل بهم فيكرمونني ، ومثلي يشكر ما صُنِع إليه من الجميل ، وكان بينهما قول حتى تجاذبا . فقال له خوّات : أما والله لئن استقبلت غَرْب[5]

1 مشكم في ل : سالم . حيي بن أخطب : سيد بني النضير .
2 عزة المجد ترتبا في ل : طابع اللؤم يرتبا .
3 الترتب : المقيم الثابت .
4 فعلاً في ل : قدماً .
5 غرب الشباب : شدته .

شبابي ، وشَبا أنيابي ، وخَشِن جوابي ، لتكرهنّ عتابي . فقال عبّاس : والله يا خوّات ، لئن استقبلت عَنّي وفَنّي[1] وذكاءَ سِنّي ، لَتفِرّنّ منّي ، إيّاي تتوعّد يا خوّات ، يا عاني[2] السوآت ! والله لقد استقبلك اللؤمُ فرَدَعَك[3] ، واستدْبَرك فكسَعَك ، وعَلاك فوَضَعك ، فما أَنت بمهجوم عليك من ناحية إلاّ عن فضل لؤم ؛ إيّاي ، ثكِلتْك أُمُّك ، تروم ؟ وعليّ تقوم ؟ والله ما نُصِبتْ سُوقُك ، ولأَظهرنّ عليك بعدُ ؛ فقال عمر لهما : إمّا أن تسكتا وإمّا أن أوجِعَكما ضرباً ، فصَمَتا وكَفّا .

أَخبرني بذلك علي بن نصر قال : حدَّثني الحسن بن محمد بن جرير ، وحدَّثني الحِرْميّ بن أبي العلاء ، قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن الحسن عن أبيه مثل ذلك .

وللعبّاس مع خَوّات مناقضات أُخَرُ في هذا المعنى ، كرهتُ الإطالةَ بذكرها .

[رثاء أخيه له]

قال أَبو عبيدة : وكان العبّاس وسراقة وخَزن وعمرو بنو مِرْداس كلّهم من الخنساء بنت عمرو بن الشريد ، وكلّهم كان شاعراً ، وعبّاس أشعرهم ، وأشهرهم وأفرسهم وأسودهم ، ومات في الإسلام ، فقال أخوه سراقة يرثيه : [من المتقارب]

أعينِ ألا أبكي أبا الهيثم وأَذري الدموعَ ولا تسأَمِي
وأَثْني عليه بآلائه بقول امرىء موجَع مؤلَمِ
فما كنتُ بائعه بامرىء أراهُ ببَدْوٍ ولا مَوْسمِ
أشدّ على رجل ظالم وأَدهى لداهية مِيثَمِ[4]

وقالت أخته عمرة ترثيه : [من الطويل]

لِتَبكِ ابنَ مرداسٍ على ما عَراهُمُ عشيرتُه إذ حُمَّ أَمسِ زَوالُها
لدى الخصم إذ عند الأَمير كفاهُمُ فكان إليه فصلُها وجِدالُها
ومُعضِلة للحاملين كفيتها إذا أنهلت هُوج الرياح طِلالُها[5]

---

1 العن : الاعتراض . والفن : الأمر العجب . يقال رجل معن مفن .
2 ل : مآوي .
3 ردعه بالشيء : لطخه به . وكسعه : ضرب دبره .
4 الميثم : الشديد الوطء .
5 طلال : جمع طل ، وهو المطر الخفيف .

[دعاء النبيّ لأمّته يوم عرفة]

وقد روى العباسُ بنُ مرداس عن النبيّ ﷺ ، ونقل عنه الحديث .

حدَّثنا الحسين بن الطيّب الشجاعيّ البَلْخيّ بالكوفة قال : حدَّثنا أيّوب بن محمد الطّلحيّ قال : حدَّثنا عبد القاهر بن السريّ السُّلَميّ قال : حدَّثنا عبد الله بن كِنانة بن عباس بن مرداس السلميّ أن أباه حدّثه عن جدّه عبّاس بن مرداس أنّ النبيّ ﷺ دعا لأمّته عشيّةَ عَرَفة قال : فأجيبَ لهم بالمغفرة إلاّ ما كان من مظالم العباد بعضهم لبعض ، قال : فإنّي آخذ للمظلوم من الظالم ، قال : أيْ ربٍّ إن شئت أعطيتَ للمظلوم من الجنّة ، وغفرتَ للظالم ، فلم يجب في حينه ، فلمّا أصبح في المزدلفة أعاد الدعاء ، فأُجيب لهم بما سأل ؛ فضحك النبي ﷺ أو تبسّم ، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : بأبي أنت وأمّي ! إنّ هذه لساعة ما كنتَ تَضحك فيها أو تَبسَّم ، فقال : إنّ إبليس لمّا علِم أنّ الله غفر لأمّتي جعل يَحثُو الترابَ على رأسه ، ويدعو بالوَيْل والثُّبور ، فضحكتُ مِن جَزَعه . تمّت أخبارُ العبّاس .

صوت

[من البسيط]

أرجوكَ بعد أَبي العبّاس إذ بانا ... يا أَكرم الناسِ أعراقاً وعِيدانا
أرجوك من بعدِه إذ بان سيِّدنا ... عنّا ولولاك لاستسلمت إذ بانا
فأَنت أَكرمُ من يَمشي على قدم ... وأنضرُ الناس عند المَحَلْ أغصانا
لو مَجَّ عُودٌ على قومٍ عُصارَتَه ... لمجّ عودُك فينا المِسكَ والبانا

الشعر لحمّاد عَجْرد ، والغناء لحَكَم الواديّ ، ولحنه من القَدْر الأوسط من التقيل الأوّل بالبِنصر في مجراها .

[274] ـ أخبار حمّاد عَجْرد ونسبه[1]

[نسبه]

هو حمّاد بنُ يحيى بن عمر بن كُلَيب ، ويُكنى أَبا عُمَر ، مولى بني عامر بن صعصعة ، وذكر ابن النطّاح أنّه مولى بني سَراةَ ، وذكر سليمان بن أَبي شيخ عن صالح بن سليمان أنّه مولى بني عُقيل ، وأصلُه ومنشؤه بالكوفة ، وكان يَبري النَّبل ، وقيل : بل أَبوه كان نَبّالاً ، ولم يتكسّب هو بصناعة غير الشعر .

وقال صالح بن سليمان : كان عمٌّ لحمّاد عجرد يقال له مؤنس بن كليب ، وكانت له هيئة ، وابن عمّه عُمارة بن حمزةَ بن كليب ، انتقلوا عن الكوفة ونزلوا واسطاً ، فكانوا بها ، وحمّاد من مخضرَمي الدولتين الأمويّة والعباسيّة ، إلاّ انّه لم يشتهر في أيّام بني أميّة شهرتَه في أيّام بني العبّاس ، وكان خليعاً ماجِناً ، متَّهماً في دِينه ، مرمّياً بالزندَقة .

[هجاء بشّار له]

أَخبرني عمّي قال : حدَّثنا أَحمد بن أَبي طاهر قال : قال أَبو دعامة : حدَّثني عاصمُ بن أفلَحَ بن مالك بن أَسماء قال : كان يحيى أَبو حمّاد عجرد مولًى لهندٍ بنت أَسماءَ بن خارجة ، وكان وكيلاً لها في ضَيْعتها بالسَّواد ، فولدتْ هندٌ من بِشرِ بنِ مروان عبدَ الملك بن بِشر ، فجرّ عبد الملك ولاء مَوالي أمّه فصاروا مَواليه . قال : ولّما كان والدُ حمّاد عَجْرد بالسواد في ضَيْعتها نَبَّطه[2] بشّارٌ لّما هَجاه بقوله : [من البسيط]

واشدُدْ يديك بحمّاد أَبي عُمرٍ فإنّــه نَبَطِــيٌّ مِــن زَنابِيــرِ[3]

[تلقيبه عجرد]

قال : وإنّما لقّبه بعجرد عمرو بن سِنْدِيّ مولى ثقيف لقوله فيه : [من الخفيف]

---

1 لحماد عجرد ترجمة في الشعر والشعراء : 663–665 وطبقات ابن المعتزّ : 67–72 ومعجم الأدباء : 1196–1198 ووفيات الأعيان 2 : 210–214 وأنساب الأشراف 3 : 180 . وتاريخ بغداد 8 : 148 وسير الذهبي 7 : 159 وأمالي المرتضى 1 : 133 . والوافي 13 : 142 ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

2 نبّطه : نسبه إلى النبط .

3 زنابير : أرض باليمن ، وفي ل : دنانير .

سَبَحَتْ بغلــةٌ ركبتَ عليهــا عجبــاً منــك خَيبةً للمَسيرِ
زعمــتْ أنّهـــا تَـــراه كبيراً حَملَها عَجردَ الزِّنـــا والفُجورِ
إن دهراً ركبتَ فيـــه على بَغْـ ـــلٍ وأوقَفْتَـــه بباب الأَميرِ
لَجديرٌ ألاَّ نَـــرى فيـــه خيراً لصغيـــر منّــــا ولا لِكبيرِ
ما امرؤ ينْتَقيك يا عُقْدة الكَلْـ ـب لأسراره بجِـــدٌ بَصيرِ[1]
لا ولا مجلسٌ أجَنَّـــك للّـــ ـذّ ات يـا عَجْرَدَ الخَنا بسَتيرِ[2]

يعني بهذا القول محمد بنَ أَبي العبّاس السفّاح ، وكان عَجْرَد في نُدَمائه ، فبلغ هذا الشعرُ أَبا جعفر ، فقال لمحمد : ما لي ولعجرد يَدخُل عليك ؟ لا يَبلغُني أنّك أذنتَ له ، قال : وعَجرد مأخوذٌ من المعجرِد ، والعُريان في اللغة ، يقال : يتعجرد الرجلُ إذا تَعرَّى فهو يتعجرد تعجرداً : وعجردتُ الرجلَ أُعجردُه عَجردةً إذا عرّيته .

[الحمادون الثلاثة]

أُخبرني إسماعيل بن يونس قال : حدَّثنا عمرُ بنُ شبّة ، وأُخبرني إبراهيم بن أَيّوب عن ابن قتيبة ، ونسختُ من كتـاب عبد الله بن المعتزّ ، حدَّثني الثقفيُّ عن إبراهيم بن عمر العامريّ قال : كان بالكوفة ثلاثة نَفَر يقال لهم الحَمّادون : حمّاد عَجْرد وحَمّاد الراوية ، وحمّاد بن الزِّبرِقان ، يتنادمون على الشراب ، ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرةً جميلة ، وكانوا كأنّهم نفس واحدة ، يُرمون بالزندقة جميعاً وأشهرهم بها حمّادُ عَجرد .

أُخبرنا الفضل بن الحُباب الجُمَحيّ أَبو خليفة إجازةً عن التوّزيّ : أنّ حمّاداً لقِّب بعجرد لأنّ أعرابيّاً مرَّ به في يوم شديدِ البَرْد وهو عُريان يلعب مع الصِّبيان فقال له : تعجردتَ يا غلام ؛ فسمِّيَ عجرداً .

قال أَبو خليفة : المتعجرِد : المتعرِّي ؛ والعَجْرد أيضاً : الذهب .

[تهاجيه مع بشار]

أُخبرني أَحمد بن يحيى بن علي بن يحيى ، عن عليّ بن مهديّ ، عن عبد الله بن عطيّة ، عن عبّاد بن الممزّق ، وأُخبرني أَحمد بنُ عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمرُ بنُ شبّة قال : كان السبب في مهاجاة حمّاد عجردٍ بشّاراً أنّ حمّاداً كان نديماً لنافع بن عُقبة ، فسأله بشّار تنجُّز حاجة له مِن نافع ، فأبطأ عنها ، فقال بشّارٌ فيه : [من الطويل]

---

1 عقدة الكلب : قضيبه .
2 أجنّك : سترك . ستير : مستور .

مواعيدُ حمّادٍ سماءٌ مُخيلةٌ تَكشّفُ عن رعد ولكن ستبرُقُ[1]
إذا جئتَه يوماً أَحالَ على غدٍ كما وعد الكمّون ما ليس يَصدقُ[2]
وفي نافع عنّي جَفاءٌ ، وإنّني لأُطرق أحياناً ، وذو اللُّبّ يُطرِقُ
وللنَّقَرى قومٌ فلو كنتُ منهمُ دُعيتُ ولكن دونيَ البابُ مغلقُ[3]
أبا عُمَرٍ خَلّفْتَ خلفَك حاجتي وحاجةُ غيري بين عينيك تَبرُقُ
وما زلتُ أستأنيك حتى حسرتَني بوعدٍ كجاري الآلِ يَخفى ويخفقِ[4]

قال : فغضب حمّاد وأنشد نافعاً الشِّعرَ ، فمَنَعه من صلة بشّار ، فقال بشّار : [من الطويل]

أبا عُمرٍ ما في طِلابِيكَ حاجةٌ ولا في الذي منّيتنا ثمّ أصحرا
وعَدْتَ فلم تَصدُق وقلتَ غَداً غَداً كما وُعِدَ الكمّون شِرْباً مؤخّرا

قال : فكان ذلك السبب في التّهاجي بين بشّار وحمّاد .

[من كبار الزنادقة]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بنِ عمّار قال : حدّثني أبو إسحاق الطَّلْحيّ قال : حدّثني أبو سُهيل قال : حدّثني أبو نواس قال : كنت أتوهّم أنّ حمّاد عجرد إنّما رُمِيَ بالزندقة لمُجونه في شعره ، حتى حُبِستُ في حبس الزَّنادقة ، فإذا حمّاد عجرد إمامٌ من أئمّتهم ، وإذا له شعر مزاوج بيتين بيتين يقرؤون به في صلاتهم ، قال : وكان له صاحب يقال له حريث على مذهبه ، وله يقول بشّارٌ حين مات حمّادُ عجردٍ على سبيل التعزية له : [من البسيط]

بَكى حُريثٌ فوقّره بتعزيةٍ مات ابن نِهْيا وقد كانا شريكَيْنِ
تَفاوَضا حين شابا في نسائهما وحَلّلا كلَّ شيء بين رِجلَيْنِ[5]
أمسى حُريثٌ بما سَدَّى له غَيَراً كراكب اثنين يرجو قوّةَ اثنينِ
حتى إذا أخَذا في غير وجهِهما تفرَّقا وهوى بين الطّريقَينِ

يَعني أنّه كان يقول بقول الثَّنويَّة في عبادة اثنين ، فتفرَّقا وبقِيَ بينهما حائراً ، قال : وفي حمّاد يقول بشّار أيضاً وينسُبه إلى أنّه ابن نِهْيا : [من الخفيف]

---

1 السحابة المخيلة : التي يقدر فيها المطر ولا تمطر .
2 المثل «مواعيد الكمّون» في مجمع الميداني 1 : 254 والدرة الفاخرة 1 : 178 ويقال أيضاً «أخلف من شرب الكمون» .
3 يدعو النقرى : يدعو بعضاً دون بعض ، وخلافه الجفلى .
4 استأنى : تمهّل .
5 تفاوضا : تشاركا .

يا ابن نِهْيا رأسٌ عليّ ثقيلُ ... واحتمالُ الرؤوس خَطْبٌ جليلُ
ادْعُ غيري إلى عبادة الاثنَيْـ ... ـنِ فإنّي بواحدٍ مشغولُ
يابن نِهْيا برئتُ منك إلى اللـ ... ـه جهاراً ، وذاك منّي قليلُ

قال : فأشاعَ حمّاد هذه الأبيات لبشّار في الناس ، وجعل فيها مكان «فإنّي بواحد مشغول» : «فإنّي عن واحد مشغول» ليصحّح عليه الزندقة والكفرَ بالله تعالى ، فما زالت الأبيات تدور في أيدي الناس حتى انتهت إلى بشّار ، فاضطرب منها وتغيّر وجزع وقال : أشاطَ ابنُ الزانية بِدَمِي [1] ، والله ما قلت إلاّ «فإنّي بواحد مشغولُ» فغيّرها حتى شَهَرني في الناس بما يهلكني .

أخبرني محمد بنُ العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ قال : حدَّثني صالح بنُ سليمانَ الخَثْعَميّ قال : قيل لعبد الله بن ياسين : إنّ بشاراً المرعَّثَ [2] هجا حمّاداً فنبَّطه ، فقال عبد الله : قد رأيتُ جدّ حمّاد ، وكان يسمَّى كُليباً ، وكانت صناعتُه صناعة لا يكون فيها نَبَطِيّ ، كان يَبرِي النِّبالَ ويَريشُها ، وكان يقال له : كُلَيب النّبّال ، مولى بني عامر بن صعصعة .

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ المؤدّب ، قال : حدَّثنا الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزيُّ قال : حدَّثني أحمد بنُ خلاّد قال : كان بشّارٌ صديقاً لسُلَيْم بن سالمٍ مولى بني سعد ، وكان المنصورُ أيّامَ استتَر بالبَصرة نزل على سلَيْم بن سالم ، فولاّه أبو جعفر حين أفضى الأمر إليه السُّوسَ وجُنْدَيْسابور ، فانضَمَّ إليه حَمّاد عجرد ، فأفسده على بشّار ، وكان له صديقاً ، فقال بشّار يهجوهما : [من البسيط]

أمسى سُلَيم بأرض السُّوسِ مُرتَفِقاً ... في خزّها بعدَ غِرْبالٍ وأمدادِ [3]
ليس النعيم وإنْ كُنّا نُزَنّ به ... إلاّ نعيم سُلَيم ثمّ حمّادِ [4]
نِيكا وناكا ولَم يَشعُر بذا أحدٌ ... في غفلةٍ مِن نبيّ الرحمة الهادي

فنَشِبَ الشرُّ بين حمّاد وبشّار .

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا محمّد بنُ القاسم بن مَهْرُويَه ، عن عمرَ بنِ شبّة ، عن أبي أيّوب

---

1 أشاط بدمي : عمل على هلاكي .
2 لقّب بشار بالمرعث لرعثة كانت له وهو صغير في أذنه . والرعثة كل ما يعلق بالأذن من قرط ونحوه .
3 أمداد : جمع مُدّ .
4 يزن : يتّهم .

الزباليّ[1] ، قال : كان رجل من أهل البصرة يدخل بين حمّاد وبشّار على اتّفاق منهما ورِضاً بأن يَنقُلَ إلى كلّ واحدٍ منهما وعنه الشِّعر الذي مرَّ ، فدخل يوماً إلى بشّار فقال له : إيهٍ يا فلان ، ما قال ابن الزانية فيّ ؟ فأنشده : [من السريع]

إنْ تـاهَ بَشّارٌ عليكمْ فقد ... أمكنتُ بشّاراً مـن التِّيـهِ

فقال بشّار : بايّ شيء ويحك ؟ فقال :

وذاك إذ سَمّيْتُـه باسمـه ... ولم يكـن حُـرٌّ يسمّيـهِ

فقال : سَخِنتْ عينُه ، فبأيّ شيء كنت أُعرَف ؟ إيهٍ ، فقال :

فصار إنساناً بذكـري لـه ... ما يَبتغي مِن بعد ذكريه ؟

فقال : ما صنع شيئاً ، إيهٍ ويحك ؟ فقال :

لم أهـجُ بشّاراً ولكنّني ... هجـوتُ نفسي بِهجائِيـهِ

فقال : على هذا المعنى دارَ ، وحولَه حام ، إيهٍ أيضاً ، وأيّ شيء قال ؟ فأنشده : [من مجزوء الكامل]

أنتَ ابن بـرد مِثـلُ بُـرْ ... دٍ في النّذالـة والرَّذالـهْ

مـن كان مثـلَ أبيك يـا ... أعمى أبوه فـلا أبـا لَـهْ

فقال : جَوَّدَ ابنُ الزانية ، وتمام الأبيات الأُوَل : [من السريع]

لَم آتِ شيئاً قطُّ فيما مضى ... ولست فيما عشتُ آتيـهِ

أسوأ لي في الناسِ أحدوثةً ... مـن خطـإٍ أخطأتُه فيـهِ

فأصبح اليوم بِسبيٍّ لـه ... أعظمَ شأناً مـن مَوالِيهِ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : حدَّثنا عمر بنُ شبّة ، عن خلاّد الأرْقَط قال : أنشَدَ بشّاراً راويتُه قولَ عجرد فيه : [من الطويل]

دعيـتَ إلى بُـرْدٍ وأنـت لغيرهِ ... فَهبْكَ ابن بُرْدٍ نكتَ أُمَّك مَنْ بُرْدُ ؟

فقال بشار لراويته : هاهنا أحد ؟ قال : لا ، فقال : أحسن والله ما شاء ابن الزانية .

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريُّ قال : حدَّثنا الحسنُ بنُ عُليل العَنَزِيُّ قال : حدَّثني محمد بن يزيد المهلّبي قال : محمد بنُ عبد الله بنِ أبي عُيَينة قال : قال حمادُ عجرد لمّا أُنشِد قولَ بشّار فيه : [من الخفيف]

1 ل : الريادي .

يا ابنَ نِهيا رأسٌ عليّ ثقيل   واحتمالُ الرأسين أمرٌ جليلُ
فادعُ غيري إلى عبادة ربَّيْـ   ـنِ فإنّي بواحد مشغولُ

والله ما أُبالي بهذا من قوله ، وإنما يغيظني منه تجاهلُه بالزندقة ، يوهم الناس أنّه يظنّ أنّ الزنادقة تعبد رأساً ليظنّ الجهّال أنه لا يعرفها ، لأن هذا قولٌ تقوله العامّة لا حقيقة له ، وهو والله أعلمُ بالزَّندقَة من ماني .

أُخبرني أَحمد بن عبد العزيز وأَحمد بنُ عبيد الله بنِ عمّار وحبيب بن نصر المهلّبيّ ، قالوا : حدَّثنا عمرُ بنُ شبّة ، قال : حدَّثنا أبو أيوب الزبالي[1] قال : قال بشّار لراويةِ حمّاد : ما هجاني به اليومَ حمّاد ؟ فأنشَدَه : [من الهزج]

أَلا مَن مُبلغٌ عنّي الذ   ي والـدُه بُـــرْدُ

فقال : صدق ابن الفاعلة ، فما يكون ؟ فقال :

إذا مـا نُسب الناسُ   فـلا قَبْـلٌ ولا بَعْـدُ

فقال : كذب ابن الفاعلة ، وأين هذه العرصات من عُقَيل ؟ فما يكون ؟ فقال :

وأعمى قَلْطَبانٌ مـا   على قاذِفِـه حَـدّ[2]

فقال : كذب ابن الفاعلة ، بل عليه ثمانون جَلْدَةً ، هِيه ، فقال : [من الهزج]

وأعمى يشبه القِـرْدَ   إذا مـا عَمِـيَ القِرْدُ

فقـال : والله ما أخطأ ابن الزانية حين شبّهني بقِرد ، حسبُك حسبُك ، ثم صفّق بيديه ، وقال : ما حيلتي ؟ يراني فيشبِّهُني ولا أُراه فأشبِّهه .

وقال : أخبرني بهذا الخبر هاشم بنُ محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثنا أُبو غسّان دَماذ فذَكَر مثلَه ، وقال فيه : لمّا قال حمّاد عجردٍ في بشّار :

شبيهُ الوجـه بالقردِ   إذا ما عَمِـيَ القِردُ

بكى بشّار ، فقال له قائل : أتبكي من هجاء حمّاد ؟ فقال : والله ما أُبكي من هجائه ولكن أَبكي لأنّه يراني ولا أُراه ، فيصفُني ولا أصفُه ، قال : وتمامُ هذه الأبيات : [من الهزج]

ولـو يَنْكَـهُ في صَلْدٍ   صَفاً لانصدع الصَّلْدُ[3]

---

1 ل : الريالي .

2 القلطبان : القرطبان وهو الديوث أو القوّاد .

3 ينكه : يتنفس .

دنيٌّ لم يَـــرُح يومـاً إلى مجــدٍ ولم يَغْـدُ
ولم يحضرْ مـع الحُضّا رِ في خيرٍ ولَــم يَبْدُ
ولَــم يُخْشَ لــه ذمٌّ ولم يُــرجَ لــه حَمدُ
جَرى بالنَّحْسِ مذ كان ولَم يجــرِ لــه سعدُ
هــو الكلب إذا ما ما تَ لم يوجَد لــه فَقدُ

أخبرني . بن عبد العزيز قال : حدَّثنا عمرُ بنُ شبّة قال : حدَّثني خلاّد الأرْقَط قال : أشاعَ بشّار في الناس ان حمّاد عجردٍ كان يُنشِد شعراً ورَجُلٌ بإزائه يقرأ القرآن وقد اجتمع الناس عليه ، فقال حمّاد : عَلامَ اجتمعوا ؟ فوالله لَما أقولُ أحسنُ ممّا يقول .

قال : وكان بشّار يقول : لمّا سمعت هذا من حمّاد مَقَتُّه عليه .

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بنِ عمّار قال : أخبرني أبو إسحاق الطَّلْحيّ قال : حدَّثني أبو سُهَيل عبدُ الله بن ياسين أن بشّاراً قال في حمّاد عجرد وسهيلِ بنِ سالم ، وكان سهيلٌ من أشراف أهل البصرة ، وكان من عمّال المنصور ، ثم قتله بعد ذلك بالعذاب ، وكان حمّادٌ وسهيلٌ نديمَين : [من البسيط]

ليس النعيـــمُ وإن كنّا نُـزَنّ بـه إلاّ نعيـــم سُهَيْـــلٍ ثـــمّ حمّـادِ
ناكَـا ونيكا إلى أن لاح شَيْبُهما في غفلةٍ عن نبيّ الرحمـــة الهادي
فَهْدَيْن طـوراً وفَهّاديـــن آونـةً مـــا كان قبلَهمـــا فَهْـدٌ بفَهّادِ[1]
سبحانك اللهُ لو شئتَ امتَسَخْتَهُما قِردَيـــن فاعْتَلَجـــا في بيت قَرّادِ[2]

قال : يعني بقوله * ما كان قبلهما فهدٌ بفهّاد * أي لم يكن الفَهد فَهّادا ، كما تقول : لم يكن زيد بظريف ، ولم يكن زيدٌ ظريفاً ، قال ابن ياسين : وفيه يقول بشّار أيضاً : [من السريع]

مـــا لُمتُ حمّاداً على فِسقِه يلومـــه الجاهـل والمائقُ[3]
وما هَما من أَيْره واستِه ؟ مَلَّكـــــه إيّاهمـــا الخـالقُ
مـــا بـــات إلاّ فوقــه فاسقٌ يَنيكـــــهُ أو تحتَـــه فاسقُ

أخبرني أحمد بنُ عبيد الله بنِ عمّار قال : أنشدني ابنُ أبي سعد لحمّاد عجرد في بشّار .

---

1 الفهاد : صاحب الفهود الذي يعلمها الصيد .
2 اعتلجا : تصارعا .
3 المائق : الأحمق .

قال وهو من أغلظ ما هجاه به عليه : [من السريع]

نهـارُه أخبثُ مـن ليلِهِ ويومُـه أخبثُ مـن أمسِهِ
وليس بالمُقلِـعِ عـن غيِّـه حتى يُوارى في ثرى رَمْسِه

قال : وكان أغلَظَ على بشّار من ذلك كلّه وأوجعَه له قولُه فيه : [من السريع]

لـو طُليتْ جلدتُـه عنبراً لأفسدتْ جلدتُـه العنبر
أو طُليتْ مِسكاً ذكيّاً إذاً تحـوّلَ المسكُ عليـه خرا

قال ابن أبي سعد : وقد بالغ بشّارٌ في هجاء حمّاد ، ولكن حكم الناسُ عليه لحمّاد بهذه الأبيات .

[اتّصاله بالربيع]

أخبرني محمّد بن خلف وكيع قال : حدَّثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال : حدَّثني أحمد بن إسحاق قال : حدَّثني عثمان بن سُفيانَ العطّار قال : اتّصل حمّاد عجرد بالربيع يؤدِّب ولدَه ، فكتب إليه بشّارٌ رقعةً ، فأُوصِلَتْ إلى الربيع ، فطرده لمّا قرأها ، وفيها مكتوب : [من مجزوء الخفيف]

يا أبـا الفضل لا تَنَمْ وقـعَ الذئبُ في الغَنَمْ
إنّ حمّـادَ عَجْـردٍ إنْ رأى غفلـةً هَجَمْ
بـين فَخْذَيـه حَرْبـةٌ في غِلافٍ مـن الأَدَمْ[1]
إنْ خلا البيتُ ساعـةً مَجمَـجَ الميـمَ بالقَلَمْ

فلمّا قرأها الربيع قال : صيّرني حمّاد دريئةَ الشعراء ، أخرِجوا عنّي حمّاداً ، فأُخرِج .

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة ، عن علي بن مهدي ، عن عبد الله بن عطيّة ، عن عبّاد بن الممزّق أنّ حمّاد عجردٍ كان يؤدّب ولدَ العبّاس بن محمد الهاشميّ ، فكتب إليه بشّارٌ بهذه الأبيات المذكورة ، فقال العبّاس : ما لي ولبشّار ؟ أُخرجوا عنّي حمّاداً فأُخرِج .

[هجاؤه لبشّار]

أخبرني يحيى بن عليّ قال : حدَّثني محمد بنُ القاسم قال : حدَّثني عبد الله بن طاهر بن أبي أحمد الزُّبَيريّ قال : لما أخرج العبّاس بن محمد حمّاداً عن خدمته ، وانقطع عنه ما كان يصل إليه منه ، أُوجعه ذلك ، فقال يهجو بشّاراً : [من الطويل]

---

1 غلاف في ل : إهاب .

لقد صار بشّار بصيراً بدُبْـره ... وناظِـرُه بـين الأنـام ضَرِيرُ
لـه مُقلةٌ عمياءُ واستٌ بصيرةٌ ... إلى الأَيْرِ من تحت الثياب تشيرُ
على وُدِّه أن الحمير تَنِيكُـه ... وأنّ جميـعَ العالَمـين حَميرُ

قال أبو الفرج الأَصفهانيّ : وقد فعل مِثلَ هذا بعينه حمّاد عجردٍ بقُطْرُب .

[شعره في قطرب]

أَخبرني عمِّي عن عبد الله بن المعتزّ قال : حدَّثني أَبو حفص الأعمى المؤدِّب ، عن الزُّباليّ[1] قال : اتّخذ قطرب النحويُّ مؤدِّباً لبعض ولد المهديّ ، وكان حمّاد عجرد يطمع في أن يُجعَل هو مؤدِّبه ، فلم يتمّ له ذلك ، لتهتّكه وشهرته في الناس بما قاله فيه بشّار ؛ فلمّا تمكن قطرب في موضعه صار حمّاد عجرد كالمُلقى على الرَّضَف[2] ، فجعل يقوم ويقعد بقطرب في الناس ، ثم أخذ رقعةً فكتب فيها : [من البسيط]

قل للإمام جـزاكَ الله صالحـةً ... لا تَجمع الدَّهر بين السَّخْل والذيبِ
السَّخلُ غِـرٌّ وَهـمُّ الذئبِ فُرصَتُه ... والذئب يَعلَم ما فيَ السَّخْل من طِيبِ

فلمّا قرأ هذين البيتين قال : انظُروا لا يكون هذا المؤدِّب لُوطيّاً ؛ ثم قال : انفُوهُ عن الدار ، فأُخرِج عنها ، وجيء بمؤدِّب غيره ، ووُكِّل به تسعون خادماً يتناوبون ، يحفظون الصبيّ . فخرج قطرب هارباً ممّا شهِر به إلى عيسى بن إدريسَ العِجْليّ بن أَبي دُلَف فأقام معه بالكَرَج إلى أن مات .

أَخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أَحمد بن الحارث ، عن المدائنيّ قال : لمّا قال حمّادٍ عجردٍ في بشّار : [من الهزج]

ويا أَقبحَ مـن قِردٍ ... إذا مـا عَمِيَ القردُ

قال بشّار : لا إله إلاّ الله ، قد والله كنت أخاف أن يأتيَ به ، والله لقد وقع لي هذا البيت منذ أكثر من عشرين سنة ، فما نطقتُ به خوفاً من أن يُسمَع فأُهجى به ، حتى وقع عليه النَّبَطيُّ ابنُ الزانية .

[بينه وبين أبي حنيفة صديقه]

قال أَبو الفرج : نسخت من كتاب عبد الله بن المعتزّ ، حدَّثني العِجْليّ قال : حدَّثني أَبو دُهْمان قال : كان أَبو حنيفة الفقيه صديقاً لحمّاد عجرد ، فنَسَكَ أَبو حنيفة وطلبَ الفقه ،

1 ل : الريالي .
2 الرضف : الحجارة المحمّاة بالشمس أو النار .

فبَلَغ فيه ما بلغ ، ورَفَض حمّاداً وبَسَط لسانَه فيه ، فجعل حمّاد يلاطفه حتى يكفَّ عن ذِكره ، وأبو حنيفة يذكره ، فكتب إليه حمّادٌ بهذه الأبيات : [من مجزوء الكامل]

إن كان نسكُكَ لا يتـــ ـــمّ بغير شَتمي وانتقاصي
أو لم تكـــن إلاّ بـــه ترجـو النجاة من القصاصِ
فاقعـد وقم بي كيف شئـ ـتَ مع الأداني والأقاصي
فلطالمـــــا زكّيْتَنـــــي وأنــا المقيـم على المعاصي
أيّـــام تَـأخذهـــا وتُعــ ـطِي في أباريــقِ الرَّصاصِ

قال : فأمسك أبو حنيفة رحمه الله بعد ذلك عن ذكره خوفاً من لسانه .

[بينه وبين يحيى بن زياد]

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف وكيع قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن النّضر بن حديد قال : كان حمّاد عجرد صديقاً ليحيى بن زياد ، وكانا يتنادمان ويجتمعان على ما يَجتمع عليه مِثلُهما ، ثم إن يحيى بن زياد أظهر تورُّعاً وقراءةً ونزوعاً عمّا كان عليه ، وهجرَ حمّاداً وأشباهَه ، فكان إذا ذُكر عنده ثَلَبه وذكر تهتُّكه ومُجونَه ، فبلغ ذلك حمّاداً ، فكتب إليه : [من مجزوء الكامل]

هـل تذكرنْ دَلَجـي إليـ ـكَ على المضمَّرة القِلاصِ[1]
أيّـــامَ تعطينـــي وتـــأ خُذُ مـن أباريقِ الرَّصاصِ
إن كان نُسكُكَ لا يتـــ ـمّ بغير شَتْمِي وانتقاصي
أو كنـتَ لستَ بغيـر ذا كَ تنالُ منزلـةَ الخَلاصِ
فعليـــك فاشتـمْ آمِنـــاً كلَّ الأمان مـن القِصاصِ
واقعد وقمْ بـي مـا بـدا لـك في الأداني والأقاصي
فلَطالَمـــا زكّيتَنـــــي وأنـا المقيـمُ على المعاصي
أيّـــام أنـتَ إذا ذُكِـرْ تُ مناضِلٌ عنّـي مُناصي[2]
وأنـا وأنـت على ارتكا بِ المُوبِقات مـن الحِراصِ

1 الدلج : السير من أول الليل . القلاص : الإبل الشابة ، واحدتها قلوص .

2 مناصي : يجاذب بالنواصي .

وبِنَـــا مواطـــنُ مـــا يُنـــا   في البرِّ آهلـــةُ العِراصِ[1]

فاتّصل هذا الشعر بيحيى بن زياد ، فنسب حمّاداً إلى الزندقة ورماه بالخروج عن الإسلام ، فقال حمّاد فيه : [من السريع]

لا مؤمـنٌ يُعرَف إيمانُـه   وليس يَحيى بالفتى الكافِرِ
منافـقٌ ظاهـرُه نـاسِكٌ   مُخالِـف الباطن للظاهرِ

[صديق انقطع عن مجلسه]

أُخبرني محمّد بن خلف وكيع قال : حدَّثنا ابن أَبي سعد ، عن النضر بن عمرو قال : كان لحمّادِ عجردٍ إخوانٌ ينادمونه ، فانقطع عنه الشراب ، فقطعوه ، فقال لبعضهم : [من السريع]

لستَ بغَضْبان ولكنّنـي   أعرِف ما شأنك يا صاحِ
أأن فَقدتُ الرّاحَ جانبتَني   ما كان حبِّيك على الراحِ
قد كنتَ من قبل وأنت الذي   يعنيكَ إمسائي وإصباحي
وما أرى فِعلَك إلاّ وقد   أفسدني من بعد إصلاحي
أنتَ مِن الناس وإن عبتَهم   دُونَكَهـا منّـي بإفصاحِ

[ينادم الوليد بن يزيد]

أُخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدَّثني ميمون بن هارون عن أَبي محلّم أن الوليد بنَ يزيد أمرَ شُراعةَ بن الزَّنْدَبُوذ أن يسمِّي له جماعةً ينادمهم من ظرفاء أَهل الكوفة ، فسَمَّى له مطيعَ بنَ إيّاس وحمّادَ عجردٍ والمُطيعيَّ المغنّي ، فكتب في إشخاصهم إليه ، فأُشخصوا ، فلم يزالوا في ندمائه إلى أن قُتِل ، ثم عادوا إلى أوطانهم .

[زواجه]

أُخبرني عيسى بنُ الحسين قال : حدَّثني حماد عن أَبيه عن محمد بن الفضل السَّكونيّ قال : تزوّج حمّادُ عجردٍ امرأة ، فدخلنا إليه صبيحةَ بِنائه بها نهنّئه ونسأله عن خبره ، فقال لنا : كنت البارحةَ جالساً مع أصحابي أشرب ، وأنا منتظرٌ لامرأتي أن يؤتى بها ، حتى قيل لي : قد دخلتْ ، فقمتُ إليها فوالله ما لبّثتُها حتى افتضضتُها ، وكتبت من وقتي إلى أصحابي : [من المديد]

قد فتحتُ الحِصنَ بعد امتناعِ   بمُشيحٍ فاتـحٍ للقِـلاعِ

---

1 العراص : جمع عرصة وهي البقعة الواسعة الخالية من البناء .

ظَفِرتْ كفِّي بتفريقِ شَملٍ جاءنا تفريقُه باجتماعِ
فإذا شَعبي وشَعْب حَبِيبي إنّما يَلتامُ بعدَ انصداعِ

[مع وجوه البصرة]

أُخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ عن أَبيه ، وأُخبرني الحسن بن عليّ عن القاسم بن محمد الأنباريّ ، قال : حدَّثنا الحسن بن عبد الرحمن عن أَحمد بن الأسود بن الهيثم ، عن إبراهيمَ بنِ محمّد بن عبد الحميد ، قال : اجتَمع عمِّي سهم بنُ عبد الحميد وجماعةٌ من وجوه أَهلُ البَصرة عند يحيى بن حُميد الطويل ، ومعهم حمّاد عجرد ، وهو يومئذٍ هاربٌ من محمد بن سليمان ، ونازلٌ على عُقبةَ بنِ سَلْم وقد أُمِن ، وحضر الغَداء ، فقيل له : سهمُ بنُ عبد الحميد يصلّي الضحى ، فانتظر ، وأُطالَ سَهمٌ الصلاةَ ، فقال حمّاد : [من الطويل]

أَلا أيُّهذا القانِتُ المتهجِّدُ صلاتُك للرّحمن أَم ليَ تَسجُدُ ؟
أَما والذي نادى من الطُّور عبدَه لِمَنْ غيرِ ما بِرٍّ تقوم وتَقعدُ
فهلاّ اتّقيتَ اللّهَ إذ كنتَ والياً بصنعاء تَبْرِي من وَلِيتَ وتَجردُ
ويَشهد لي أنّي بذلك صادقٌ حُرَيثٌ ويَحيى لي بذلك يَشهدُ
وعند أَبي صَفوانَ فيك شهادةٌ وبكْرٍ ، وبكرٌ مُسلِمٌ متهجِّدُ
فإن قلتَ زِدْني في الشهودِ فإنّه سيشهد لي أيضاً بذاك محمّدُ

قال : فلمّا سمعها قطع الصلاة وجاء مبادراً ، فقال له : قبّحك الله يا زِنديق ، فعلتَ بي هذا كلّه لشرَهك في تقديم أكلٍ وتأخيرِه ! هاتوا طعامَكم فأطعِموه لا أُطعَمَه الله تعالى ، فقدِّمت المائدة .

[اعتذار ابن السكوني]

أُخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى ، عن أَبيه ، عن إسحاق الموصليّ ، عن محمد بن الفضل السَّكونيّ قال : لقيت حمّادَ عجردٍ بواسط وهو يمشي وأنا راكب ، فقلت له : انطلِق بنا إلى المنزل ، فإنّي الساعةَ فارغ لنتحدّث ، وحبستُ عليه الدّابة ، فقطعني شُغْلٌ عَرَض لي لم أَقدرْ على تَركه ، فمضيتُ وأُنسيتُه ، فلمّا بلغتُ المنزلَ خفتُ شرَّه ، فكتبت إليه : [من الطويل]

أَبا عُمرٍ اغْفِرْ هُديتَ فإنّني قد آذنبتُ ذنباً مخطئاً غيرَ عامدِ
فلا تَجِدْن فيه عليَّ فإنّني أُقِرُّ بإجرامي ولستُ بعائدِ
وهبْه لنا تفديك نفسي فإنّني أُرى نعمةً إن كنتَ لستَ بواجِدِ

وعُدْ منك بالفضل الذي أنتَ أهلُه   فإنّــكَ ذو فضل طريــفٍ وتالدِ

فكتب إليّ مع رسولي : [من الطويل]

محمدُ يــا ابن الفَضْل ياذا المَحامدِ   ويا بهجةَ النادي وزينَ المَشاهدِ
وحقِّكَ ما أذنبت منــذ عرفتَني   على خطأ يومــاً ولا عَمْد عامِدِ
ولــو كان ، مــا أُلفيتَني متسرِّعاً   إليــكَ بــه يومــاً تسرُّعَ واجِدِ

أي لو كان لكَ ذنب ما صادَفْتَني مسرِعاً إليك بالمكافأة : [من الطويل]

ولــو كان ذُو فضل يسمَّى لفضلِهِ   بغير اسمــه سُميــت أُمَّ القــلائدِ

قال : فبينا رقعتُه في يدي وأنا أقرؤها إذ جاءَني رسولُه برقعة فيها : [من مجزوء الرمل]

قد غَفرْنا الذنب يا ابن الـ   ـفضلِ والذنــبُ عظيمُ
ومسيءٌ أنتَ يا ابنَ الـ   ـفضــل في ذاك مُليــمُ
حــينَ تخشاني على الذنـ   ــبِ كما يُخشى اللّئيــمُ
ليس لي إن كان ما خِفـ   ــتَ مــن الأمـر حريـمُ
أنــا والله ، ولا أفــ   ــخَرُ ، للغيـــظِ كَظومُ
ولأصحابــــــي وَلاءٌ   ربُّــه بَــرٌّ رحيـــمُ
وبما يُرضيهمُ عنّي ويُرضيني عليمُ

[يوم بفَساء]

أُخبرني يحيى بن عليّ ، عن أبيه عن إسحاق قال : خرج حمّادُ عجردٍ مع بعض الأمراء إلى فارسَ ، وبها جِلّةٌ من أبناء الملوك ، فعاشر قوماً من رؤسائها ، فأحمد معاشرتَهم ، وسُرّ بمعرفتهم ، فقال فيهم : [من مجزوء الرمل]

ربّ يـــــوم بفَساءٍ   ليس عنــدي بذميــمِ[1]
قــد قرعتُ العيشَ فيــه   مَــعَ نَدْمــانٍ كريــمِ
مِن بنــي صَيْهون في البيـ   ــت المعلّـــى والصَّميمِ
في جنــانٍ بــين أنْهـا   رٍ وتعــريشِ كُــرومِ
نَتعاطــى قهــوةً تُشـ   ـخِص يَقظــانَ الهُمومِ

---

1 فسا : مدينة بفارس .

بنتَ عشرٍ تترك المُكْـ ـثِرَ منهـا كالأَمِيـمِ[1]
فيهـا دَأْبـاً أُحيِّـي ويحيِّيـني نديمـي
في إنـاءٍ كِسْرَوِيٍّ مستخِـفٌ للحليـمِ
شَرْبَـةٌ تَعـدِل منـه شربتـي أمّ حَكيـمِ
عندنـا دِهقانـةٌ حُسـ ـانـةٌ ذاتُ هَميـمِ[2]
جَمعتْ ما شئتَ من حُسـ ـنٍ ومـن دَلٍّ رَخيـمِ
في اعتدال مـن قَـوامٍ وصفـاءٍ مِـن أَديـمِ
وَبَنـانٍ كالمَـداري وثَنايـا كالنجـومِ[3]
لم أَنَلْ منهـا سوى غَمْـ ـزَةِ كـفٍّ أو شَمِيمِ
غيـرَ أنْ أَقْرُصَ منهـا عُكْنَـةَ الكَشْحِ الهَضيمِ
وبَـلى أَلْطِـم منهـا خدَّهـا لطـمَ رَحيـمِ
وبنفسي ذاكَ يـا أَسْـ ـوَدُ مـن خـدٍّ لَطِيمِ

يعني الأسود بنَ خلف كاتب عيسى بن موسى .

[يعيب حريثاً بالبخل]

أخبرني محمد بن مَزْيَد بنِ أبي الأزهر قال : حدَّثنا حمّاد بنُ إسحاق ، عن أبيه عن أبي النضر قال : كان حريث بن أبي الصلت الحنفيُّ صديقاً لحمّاد عجرد ، وكان يعابِثه بالشِّعر ، ويَعيبُه بالبخل ، وفيه يقول : [من المتقارب]

حُريثٌ أبو الفضل ذو خِبْرةٍ بمـا يُصلِح المِعَد الفاسدهْ
تخـوَّف تُخْمـةَ أضيافه فعوَّدَهـم أكلـةً واحـدهْ

أخبرني هاشم بنُ محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثنا عيسى بنُ إسماعيل تينَة ، عن ابن عائشة قال : ضَرَط رجل في مَجلس فيه حمّاد عجرد ومطيع بنُ إيّاس ، فتجلّد ، ثم ضرط أخرى متعمّداً ، ثم ثَلّث ، ليظنّوا أن ذلك كلّه تعمُّد ، فقال له حمّاد : حَسبُك يا أخي فلو ضرطت ألفاً لعُلم بأنّ المُخلِف[4] الأوّل مُفلِت .

---

1 يقال رجل أميم ، أي يهذي من أم رأسه .
2 الهميم : الدبيب .
3 المداري : جمع مدرى ، وهو المشط .
4 المخلف : الكريه الرائحة .

[قوله في قريش]

حدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال : حدَّثني مُعاذ بنُ عيسى مولى بني تميم قال : كان سليمانُ بنُ الفُرات على كَسْكَر ، ولاّه أبو جعفر المنصور ، وكان قُرَيْشٌ مولى صاحبِ المصلَّى بواسِط في ضِياعِ صالح ، وهو سِنْدِيّ ، فحدّثني مُعاذ بنُ عيسى قال : كنّا في دار قريشٍ ، فحضرت الصلاةُ ، فتقدَّم قريشٌ فصلَّى بنا وحمّاد عجرد إلى جَنْبي ، فقال لي حَمّاد حين سلّم : اسمَع ما قلتُ ، وأنشَدَني : [من مجزوء الرمل]

قد لقيتُ العامَ جَهْداً مِن هَناتٍ وهَناتِ
مِن همومٍ تعتريني وبلايا مطبِقاتِ
وجَوًى شيّب رأسي وحَنى منّي قَناتي
وغُدُوِّي ورَواحي نحوَ سَلْم بن الفراتِ
وائتمامِي بالقَماريّ قريشٍ في صَلاتي[1]

[الغلام الأمرد]

أخبرني محمد بنُ خلف وَكيع قال : حدَّثنا أبو أيّوبَ المدينيُّ عن مصعبٍ الزّبيريّ قال : حدَّثني أبو يعقوبَ الخرَيميّ قال : كنت في مجلس فيه حمّاد عجرد ، ومعنا غلام أمرَد ، فوضع حمّاد عَيْنَه عليه وعلى الموضع الذي ينام فيه ، فلمّا كان الليلُ اختلفتْ مواضعُ نومِنا ، فقمتُ فنِمتُ في موضع الغلام ، قال : ودَبَّ حمّاد إليّ يظنّني الغلامَ ، فلمّا أحسستُ به أخذتُ يدهُ فوضعتُها على عيني العَوْراء ، لأعلمه أنّي أبو يعقوب ، قال : فنتر يَده ومضى في شأنه وهو يقول : ﴿وفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ .

[جوهر]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني مصعب قال : كان حمّاد عجردٍ ومُطيعُ بن إيّاس يختلفان إلى جوهر جاريةِ أبي عَوْن نافع بنِ عَوْن بن المُقْعَد ، وكان حمّاد يحبّها ويُجَنّ بها ، وفيها يقول : [من مجزوء الكامل]

إنّي لأَهوى جوهراً ويُحِبّ قلبي قلبَها
وأُحِبُّ من حبّي لها مَن وَدَّها وأَحَبَّها
وأُحبُّ جاريةً لها تُخفي وتكتمُ ذنبَها
وأُحبُّ جيراناً لها وابنَ الخبيثة ربَّها

1 القماري : نسبة إلى قمار ، موضع ببلاد الهند ينسب إليها العود .

[رثاء الأسود بن خلف]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني محمد بنُ سعد الكُرانيّ قال : حدَّثني أبيَضُ بن عمرو قال : كان حمّاد عجردٍ يعاشر الأسوَدَ بن خلَف ولا يكادان يفترقان ، فمات الأسود قبله ، فقال يرثيه . وفي هذا الشعر غناء : [من مخلّع البسيط]

صوت

قلتُ لحنّانةٍ دَلوحٍ تَسُحُّ من وابلٍ سَفوحِ[1]
جادَت علينا لها رَبابٌ بواكفٍ هاطلٍ نَضوحِ[2]
أُمِّي الضَّريحَ الذي أسمّي ثم استهلّي على الضَّريحِ[3]
على صَدى أسودَ المُوارَى في اللّحد والتُّرب والصَّفيحِ
فاسقِيه رِيّاً وأُوطِنِيهِ ثم اغتدي نحوَه ورُوحي
اغدِي بسُقيايَ فاصبِحيه ثم اغبِقيه مع الصَّبوحِ
ليس من العدل أن تَشِحّي على امرىء ليس بالشحيحِ

الغناء ليونسَ الكاتب ذكره في كتابه ولم يجنِّسْه .

[هجاء أبي عون]

أخبرني عمّي قال : أنشَدَنا الكُرانيّ قال : أُنشَد مصعبٌ لحمّاد عجردٍ يهجو أبا عَوْن مولَى جَوْهر ، وكان يُقيِّنُ عليها ، وكان حمّاد عجردٍ يميل إليها ، فإذا جاءَهم ثقل ، ولم يمكّنْ أحداً من أصدقائها أن يخلو بها ، فيضرّ ذلك بأبي عون ، فجاءه يوماً وعنده أصدقاء لجاريته ، فحجبها عنه ، فقال فيه : [من السريع]

إنّ أبا عون ولن يرعَوِي ما رقَّصتْ رَمْضاؤها جُنْدُبا
ليس يَرى كَسْباً إذا لم يكن من كسبِ شُفْرَيْ جوهرٍ طيّبا
فسلّط الله على ما حَوى مئزرُها الأفعى أو العقربا
يُنْسَب بالكَشْخ ولا يَشتَهي بغير ذاكَ الإسمِ أن يُنْسَبا

---

1 سحابة حنانة : أي لها صوت يشبه حنين الإبل . ودلوح : كثيرة الماء .

2 الرباب : السحب المتراكبة .

3 أمي : اقصدي . استهلي : ارفعي الصوت بالبكاء .

وقال فيه أيضاً : [من المديد]

إن تكــن أغلقتَ دونيَ بابــاً فلقـد فتّحـتَ للكَشْخِ بــابا

وقال فيه أيضاً :

قــد تخرطمــتَ علينـا لأنّا لم نكن نأتيك نبغـي الصّوابا
إنّمـا تُكــرِمَ مَـن كان منّا لسنانِ الحَقْــو منهـا قِرابا[1]

وقال فيه أيضاً : [من مجزوء الرجز]

يا نافعُ ابــنَ الفاجـرَهْ يــا سيِّــدَ المؤاجِـرَهْ
يا حِلْــفَ كلِّ داعِــرٍ وزوجَ كلِّ عاهـــــرَهْ
مــا أمَـــةٌ تملِكهـا أو حُــرَّة بطاهــرَهْ
تجــارةٌ أحدثْتَهـــا في الكشخِ غيرُ بـائرَهْ
لـــو دخلــتْ عفيفةٌ بيتَك صارت فاجرَهْ
حتّى متى تَرتَع في الـ ـخُسْران يا ابن الخاسرَهْ
تَجمَع في بيتــك بيـ ــن العِـرْس والبَرابِرهْ

وقال يهجوه : [من مجزوء الرمل]

أنــتَ إنسانٌ تُسمَّـى دارُه دارَ الـــــزّواني
قـد جرى ذلك بالكَرْ خ عـــلى كلّ لسـانِ
لك في دارٍ حِــرٌ يَــزْ نِــي وفي دارٍ حِـرانِ

وقال فيه : [من السريع]

تفرحُ إن نيكَتْ ، وإنْ لم تُنَكْ بــتَّ حزيـنَ القلب مستعبرا
أسكَـرَكَ القـــومُ فساهَلْتَهمْ وكنتَ سهلا قبل أن تَسكَرا

وقال فيه : [من الكامل]

قــل للشقيّ الجَدِّ غير الأسعَدِ أتحِبُّ أنّكَ فقْحةُ ابنِ المُقْعَدِ ؟
لو لَم يجِدِ شيئاً يسكِّنها بـه يوماً لسكَّنها بــزُبِّ المَسجدِ

---

1 الحقو : الخصر .

وقال فيه : [من الهزج]

أبــا عــون لقد صَفَّـ ـــرَ زُوّارُك أُذْنَيْكــا ؟
وعينــاكَ تَـــرى ذاكَ فأعمـــى اللهُ عينيكــا

[بيت في بشار]

أخبرني حبيب بنُ نصر المهلّبيّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : لمّا قال حمّاد عجردٍ في بشّار : [من الطويل]

نُسِبْتَ إلى بُـــرْدٍ وأنــتَ لغَيْره وَهَبْكَ لبُردٍ نِكْتَ أُمَّك مَن بُرْدُ ؟

قال بشّار : تهيّأ له عليّ في هذا البيت خمسةُ معان من الهجاء ، قوله «نسِبتَ إلى بُرد» معنًى ؛ ثم قوله : «وأنت لغيره» معنًى آخر ، ثم قوله : «فهبك لبرد» معنًى ثالث ، وقوله : «نكت أُمَّك» شتمٌ مفرَد ، واستخفافٌ مجدَّد ، وهو معنًى رابع ، ثم ختمها بقوله : «مَنْ بُـرْدُ ؟» ولقد طَلَب جرير في هجائه للفرزدق تكثيرَ المعاني ، ونحا هذا النحوَ ، فما تهيّأ له أكثر من ثلاثة معانٍ في بيت ، وهو قوله : [من الكامل]

لَمّا وَضعتُ على الفــرزدقِ مِيسَمِي وضَغا البَعيثُ جَدَعتُ أنفَ الأخطلِ

فلم يُدرِك أكثر من هذا .

أخبرني حبيب بنُ نصر قال : حدَّثنا عمر بنُ شبّة قال : قال أبو عبيدة : ما زال بشّارٌ يهجو حمّاداً ولا يَرْفِثُ في هجائه إيّاه حتى قال حمّاد : [من مجزوء الكامل]

مَـــن كان مِثلَ أبيك يا أعمى أبـوه فـلا أبا لَهْ
أنت ابنُ بُــرْد مَثلُ بُــرْ دِ في النَّذالـــة والرذالَهْ
زَحَرَتْك مِن جُحْر استِها في الحُشِّ خارئـةً غَزالَهْ[1]
من حيث يَخرج جَعْرُ مُنْ ــتِنــة مدنَّسة مُــذالَهْ[2]
أعمى كستْ عينيه مِـــن وَذَح استِها وكَسَت قَذالَهْ
خِنزيــرةٌ بَظْـــراءُ منــ ــتنةُ البُداهَـــة والعُلالَهْ
رَسْحاء خضراءُ المَغــا بِـــنِ ريحُهـــا ريحُ الإهالَهْ
عَــذْراءُ حُبـلى يــا لَقَوْ مـــي لِلمَجانة والضَّلالَهْ

---

1 زحرتك : ولدتك .

2 الجعر : ما يبس من العذرة في الدبر . مذالة : أمة .

مَرَقَتْ فصارت قَحبةً ... بجعالةٍ وبلا جعالَهْ[1]
ولقد أقلتُك يا ابنَ بُرْ ... دٍ فاجترأتَ فلا إقالَهْ

فلمّا بلغتْ هذه الأبياتُ بشّاراً أطرق طويلاً ، ثم قال : جزى الله ابنَ نِهْيا خيراً ، فقيل له : علامَ تَجزِيه الخيرَ ؟ أعلى ما تَسمع ؟ فقال : نعم ، والله لقد كنت أردّ على شيطاني أشياءَ من هجائه إبقاءً على المودّة ، ولقد أُطلَق من لساني ما كان مقيَّداً عنه ، وأهدَفَني عورةً ممكِنةً منه ، فلم يزل بعد ذلك يذكرُ أُمَّ حمّاد في هجائه إيّاه ، ويذكُرُ أباه أقبحَ ذِكر ، حتى ماتت أُمُّ حمّاد ، فقال فيها يخاطب جاراً لحمّاد : [من الطويل]

أبا حامدٍ إن كنتَ تَزني فأَسْعِدِ ... وبَكِّ حِراً ولَّتْ به أُمُّ عَجرَدِ
حِراً كان للعُزّاب سَهْلاً ولم يكن ... أبِيّاً على ذي الزوجة المتودِّدِ
أُصيب زُناةُ القومِ لَمّا توجّهتْ ... به أُمُّ حمّادٍ إلى المضجَع الرَّدي
لقد كان للأدنى وللجارِ والعِدا ... وللقاعد المعترِّ والمتزيِّدِ[2]

أخبرنا محمد بنُ الحسن بنِ دُرَيد قال : حدَّثنا أبو حاتم قال : قال يحيى بن الجَوْن العبدِيّ راويةُ بشّار : أنشدتُ بشّاراً يوماً قولَ حمّاد : [من الطويل]

ألا قل لعبد الله إنّك واحدُ ... ومِثلُك في هذا الزمان كثيرُ[3]
قَطعتَ إخائي ظالماً وهجرتَني ... وليس أخي مَن في الإخاء يَجورُ
أُدِيمُ لأهل الوُدِّ ودِّي ، وإنّني ... لَمَن رام هجري ظالِماً لَهَجورُ
ولو أنّ بَعضي رابَني لقطعْته ... وإنّي بقطع الرائبين جديرُ
فلا تحسبنْ مَنْحِي لك الودَّ خالصاً ... لعِزٍّ ولا أنّي إليك فقيرُ
ودونَك حظّي منكَ لستُ أريدُه ... طَوالَ الليالي ما أقامَ ثَبيرُ

فقال لي بشّار : ما قال حمّادٌ شعراً قطُّ هو أشدّ عليّ من هذا ، قلتُ : كيف ذاك ولم يَهْجُك فيه ؟ وقد هجاك في شعر كثير فلم تجزع . قال : لأنّ هذا شعر جيّد ومِثلُه يُروى ، وأنا أنفَس عليه أن يقول شعراً جيّداً .

[الخرس أستر من شعره]

أُخبرني عليّ بنُ سليمان الأخفشُ قال : حدَّثني هارون بن عليّ بن يحيى المنجِّم قال :

---

1 أي بأجر أو دون أجر .
2 المتزيد في ل : والمتردد .
3 الزمان في ل : الأنام .

حدَّثني عليّ بن مهديّ قال : حدَّثني محمد بن النطّاح قال : كنت شديدَ الحبّ لشعر حمّاد عجرد ، فأنشدتُ يوماً أخي بكرَ بنَ النطّاح قولَه في بشّار : [من السريع]

أسأتُ في رَدّي على ابن استِها ... إساءةً لَم تُبقِ إحسانا
فصار إنساناً بذكري له ... ولم يكن من قبلُ إنسانا
قرَعْتُ سِنّي ندماً سادِماً ... لو كان يغني ندمي الآنا[1]
يا ضيعةَ الشعر ويا سَوْءتا ... لي ولأزمانيَ أزمانا
من بعد شتمي القِردَ لا والذي ... أُنزلَ توراةً وقرآنا
ما أَحدٌ مِن بعد شَتْمي له ... أَنذَلُ مِنّي ، كانَ مَن كانا

قال : فقال لي : لِمَن هذا الشعر ؟ فقلت : لحمّاد عجردٍ في بشّار ، فأنشأ يتمثّل بقول الشاعر : [من الرمل]

ما يَضُرّ البحرَ أمسى زاخراً ... أَنْ رَمى فيه غلامٌ بحَجَرْ

ثم قال : يا أُخي ، إنْسَ[2] هذا الشعر فنسيانه أزيَن بك ، والخَرَسُ كان أسترَ على قائله .

[تفوّق بشار عليه في الهجاء]

أخبرني عليّ بنُ سليمان قال : حدَّثني هارون بن يحيى قال : حدَّثني عليّ بن مهديّ قال : أجمَعَ العلماءُ بالبصرة أنّه ليس في هجاء حمّاد عجردٍ لبشّارٍ شيءٌ جيّد إلاّ أربعين بيتاً معدودةً ، ولبشّار فيه من الهجاء أكثرُ من ألف بيت جيّد ، قال : وكلّ واحد منهما هو الذي هَتَك صاحبَه بالزَّندَقة وأظهَرَها عليه ، وكانا يجتمعان عليها ، فسقط حمّاد عجردٍ وتهتّك بفضل بلاغةِ بشّار وجَوْدة معانيه ، وبقِيَ بشّارٌ على حاله لم يَسقط ، وعُرِف مذهبُه في الزندقة فقُتِل به .

[مجاشع بن مسعدة يهجو حماداً ليرتفع]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال : حدَّثني عمّي الفضلُ عن إسحاق الموصليّ أنّ مُجاشِعَ بنَ مَسعدة أخا عَمرِو بنِ مَسعدة هجا حمّاد عجردٍ وهو صبيّ حينئذٍ ليرتفع بهجائه حمّاداً ، فتركه حمّاد وشَبَّب بأمّه ، فقال : [من مجزوء الكامل]

راعتْكَ أُمُّ مُجاشع ... بالصدِّ بعد وِصالِها
واستَبدَلتْ بِكَ والبلا ... ءُ عليكَ في استبدالها

---

1 ندماً في ل : نادماً . السادم : المهموم النادم .
2 ل : أيش .

جِنّيّـةٌ مِـن بَربَـرٍ   مشهـورةٌ بجَمـالها
فحرامُها أشهـى لنـا   ولَهـا مـن استحلالها

فبلغ الشعرُ عَمرو بنَ مَسعدة ، فبعث إلى حمّاد بصلة ، وسأله الصفحَ عن أخيه ، ونال أخاه بكلّ مكروه ، وقال له : ثكلتْك أُمُّك ، أتتعرّض لحمّاد وهو يُناقِف بشّاراً ويقاومُه ، والله لو قاومتَه لما كان لك في ذلك فخر ، ولئن تعرّضت له ليهتِكَنّك وسائر أهلك ، وليَفضَحَنّا فضيحةً لا نغسلها أبداً عنّا .

[الجارية العابثة]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا محمد بنُ سعد الكُرانيّ قال : حدَّثني أبو عليّ بنُ عمّار قال : كان حمّاد عجردٍ عند أبي عمرو بن العلاء ، وكانت لأبي عَمرو جاريةٌ يقال لها مَنِيعة ، وكانت رسحاءَ[1] عظيمةَ البَطْن ، وكانت تَسخر[2] بحمّاد ، فقال حمّاد لأبي عمرو : أغن عنّي[3] جاريتَك فإنّها حَمْقاء ، وقد استغلقتْ لي ، فنهاها أبو عمرو فلم تنته فقال لها حمّاد عجرد : [من الخفيف]

لـو تأتّى لـك التحوُّلُ حتّى   تجعلي خَلفَـكِ اللطيفَ أماما
ويكونُ القُدَّامُ ذو الخِلْقة الجَزْ   لَـة خَلْقـاً مؤثَّـلا مستكاما
لإذاً كنتِ يـا مَنيعةُ خيرَ النّا   سِ خَلْفـاً وخيرَهـم قُـدّاما

[حرص محمد بن طلحة على الضيف]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني الكرانيّ قال : حدَّثني الحسن بن عُمارة قال : نزل حمّاد عجرد على محمد بنِ طلحة ، فأبطأ عليه بالطعام ، فاشتد جوعه ، فقال فيه حمّاد : [من السريع]

زرتُ امـرءاً في بيته مرّةً   لـه حَيـاءٌ ولـه خِيرٌ[4]
يَكـرَه أن يُتخِم أضيافَه   إنّ أذى التُّخْمـة محذورُ
ويَشتهي أن يؤجَرُوا عندَه   بالصَّـوْم والصالحُ مأجورُ

قال : فلمّا سمعها محمد قال له : عليك لعنة الله ، أي شيء حملك على هجائي ، وإنّما انتظرتُ أن يُفرَغ لك من الطعام ؟ قال : الجوعُ وحياتِك حملَني عليه ، وإن زدتَ في الإبطاء زدتُ في القول ، فمضى مبادراً حتى جاء بالمائدة .

1 رسحاء . ضئيلة العجز والفخذين .
2 ل : تعبث .
3 أغنها عني : كفّها .
4 خير : كرم وشرف .

[وجه مبني على اللحن]

أخبرني الحسين بن يحيى وعيسى بن الحسين ووكيع وابن أبي الأزهر قالوا : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان حفص بن أبي وزّة صديقاً لحمّاد عجرد ، وكان حفص مرمياً بالزَّندقة ، وكان أعمشَ أفطسَ أغضفَ[1] مقبَّح الوجه ، فاجتمعوا يوماً على شراب ، وجعلوا يتحدّثون ويتناشدون ، فأخذ حفص بن أبي وَزّةَ يطعن على مرقِّش ويعيب شعرَه ويلحِّنُه ، فقال له حمّاد : [من الطويل]

لقد كان في عينيك يا حفصُ شاغلٌ وأنفٌ كَثِيلِ العَوْدِ عمّا تَتَبَّعُ[2]
تَتَبَّعُ لَحْناً في كلامِ مرقِّشٍ ووجهُك مبنيٌّ على اللَّحنِ أجمعُ
فأُذْناك إقواءٌ وأنفُك مُكْفَأٌ وعيناك إيطاءٌ فأنت المرقعُ

[عاشق جبة أحد الكتاب]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : ذكر أبو دِعامَةَ عن عاصم بن الحارث بن أفلح ، قال : رأى حمّاد عجردٍ على بعض الكتّاب جُبّة خزٍّ دَكْناء فكتب إليه : [من الخفيف]

إنّني عاشق لجبّتك الدكـ ـناء عشقاً قد هاج لي أطرابي
فبحقّ الأميرِ إلاّ أتتني في سَراحٍ مقرونةً بالجَوابِ
ولك اللهُ والأمانةُ أن أجـ ـعَلها أشهُراً أميرَ ثيابي

فوجّه إليه بها ، وقال للرسول : قل له وأيّ شيء لي من المنفعة في أن تجعَلها أمير ثيابك ؟ وأيّ شيء عليّ من الضرر في غير ذلك مِن فِعْلِك ، لو جعلتَ مكانَ هذا مدحاً لكان أحسن ، ولكنّك رَذَّلْت لنا شعرك فاحتملناك .

[عتبه على مطيع بن إياس]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ والحسن بن عليّ الخَفّاف ، قالا : حدَّثنا الحسن بن عليل العَنَزيّ عن عليّ بن منصور قال : مرِض حمّاد عجردٍ فلم يَعُدْه مُطيع بن إيّاس ، فكتب إليه : [من الوافر]

كفاكَ عيادتي من كان يرجو ثوابَ الله في صلةِ المريضِ

---

1 الأغضف : المتدلي الأذنين .

2 ثيل العود : قضيب الجمل المسن .

فإنْ تُحدثْ لك الأيّام سُقْماً | يَحولُ جَريضُه دونَ القَريضِ[1]
يكنْ طُول التأوُّه منكَ عندي | بمنزلة الطَّنينِ مِن البَعوضِ

[قضاء حاجة والبة]

أُخبرني عمّي قال : حدَّثنا ابن أَبي سعد قال : زعم أَبو دِعامَة أنّ التَّيحان بن أَبي التّيحان قال : كنت عند حمّاد عجردٍ فأتاه والِبة بن الحباب ، فقال له : ما صنعت في حاجتي ؟ فقال : ما صنعت شيئاً ، فدعا والبة بدواة وقرطاس وأملى عليّ : [من مجزوء الكامل]

عثمانُ ما كانت عِدا | تُكَ بالعِداتِ الكاذبَهْ
فعَلامَ يا ذا المَكرُما | تِ وذا الغُيوثِ الصائبَهْ[2]
أَخَّرْتَ وهيَ يسيرةٌ | في الرُّزْء حاجةَ والبَهْ ؟
فأَبُو أُسامةَ حَقُّه | أَحدُ الحقوق الواجبَهْ
فاستحِي مِن تَرْدادِه | في حاجةٍ متقارِبَهْ
ليست بكاذبةٍ ، ولو | والله كانت كاذبَهْ
فقضَيتَها أَحْمَدْتَ غِـ | ـبَّ قضائها في العاقبَهْ
إنّي وما رأيي بعا | دمِ عاتبٍ أَو عاتِبَهْ
لأَرى لِمثلك كلّما | نابت عليه نائبَهْ
ألاّ يَرُدّ يَدَ امرىءٍ | بُسطت إليه خائبَهْ

قال : فلقيتُ والبةَ بعد ذلك فقلت له : ما صنعتَ ؟ فقال : قَضى حاجتي وزاد .

[المفضّل بن بلال يقدم بشاراً]

أُخبرني عمّي قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه عن الزبالي قال : بلغ حمّاد عجردٍ أنّ المفضّل بنَ بلالٍ أعانَ بشّاراً عليه وقدَّمه وقرَّظه ، فقال فيه : [من الخفيف]

عَجباً للمفضَّل بنِ بلالِ | ما له يا أَبا الزُبَيرِ وما لي
عربيٌّ لا شكّ فيه ولا مِرْ | يةَ بالُه وبالُ الموالي

قال : وأَبو الزُّبير هذا الذي خاطبه هو قبيس بنُ الزُّبير ، وكان قُبَيْس ويونُس بنُ أَبي فَروة

1 المثل «حال الجريض دون القريض» في مجمع الميداني 1 : 191 وجمهرة العسكري 1 : 359 ومستقصى الزمخشري 2 : 55 وفصل المقال : 44 ومعناه أن الغصة حالت دون قول الشعر .

2 الصائبة : المنصبة .

كاتبُ عيسى بن موسى صديقَين له ، وكانوا جميعاً زنادقة ، وفي يونس يقول حمّاد عجردٍ وقد قَدِم من غيبة كان غابها : [من مجزوء الرمل]

كيف بَعدِي كنتَ يا يو ... نُسُ لا زلتَ بخيـرِ
وبغيـرِ الخيـرِ لا زا ... لَ قُبيسُ بـنُ الزُّبَيرِ
أنتَ مطبوعٌ على مـا ... شئتَ مـن خَيْرٍ ومَيْرِ[1]
وهـو إنسانٌ شبيـةٌ ... بكُسَيْـرٍ وعُوَيـرِ[2]
رَغْمُه أهوَنُ عند النـ ... ـاس مِـن ضَرْطةِ عيرِ

[بينه وبين مطيع وسعاد الجارية]

أخبرني عليّ بنُ سليمانَ الأخفش ووَكيع قالا : حدَّثنا الفضلُ بنُ محمد اليزيديّ قال : حدَّثني إسحاق المَوْصِليّ عن السَّكونيّ قال : ذَكر محمدُ بنُ سنان أنّ حمّادَ عجردٍ حضر جاريةً مغنّية يقال لها سُعاد ، وكان مولاها ظريفاً ، ومعه مطيع بنُ إياس ، فقال مطيع : [من الخفيف]

قبِّلينـي سعادُ بـالله قُبلَـهْ ... واسأليني لهـا فديتكِ نِحلهْ[3]
فوربِّ السماء لو قلتِ لي صَـ ... ـلِّ لوجهي جعلتُهُ الدهرَ قِبلهْ

فقالت لحمّاد : اكفِنِيهِ يا عمّ ، فقال حمّاد : [من الخفيف]

إنّ لي صاحبـاً سواكَ وَفِيّـاً ... لا مَلـولاً لنـا كما أنتَ مَلّهْ[4]
لا يُباع التقبيل بَيْعاً ولا يُشـ ... ـرى فـلا تَجعل التعشُّقَ عِلّهْ

فقال مطيع : يا حمّاد ، هذا هجاء : وقد تعدّيتَ وتعرّضتَ ، ولَم تأمرْك بهذا ؛ فقالت الجارية ـ وكانت بارِعة ظريفة ـ أجَل ؛ ما أردنا هذا كلَّه ، فقال حمّاد : [من الخفيف]

أنـا واللهِ أشتهـي مِثلَها منـ ... ـكِ بنُحْل ، والنُّحْل في ذاكَ حِلّهْ[5]
فأجيبي وأنعمـي وخُذي البَذ ... لَ وأطفِـي بقُبلـةٍ منكِ غُلّـهْ

فرضيَ مطيع ، وخجلتْ الجارية ، وقالت : اكفِياني شرَّكما اليوم ، وخُذا فيما جئتُما له .

---

1 المير : جلب الميرة ، أي الطعام .
2 المثل «كسير وعوير وكل غير خير» في مجمع الميداني 2 : 147 ومستقصى الزمخشري 2 : 172 ويضرب في الشيء يكره ويذم من وجهين لا خير فيه .
3 نحلة : عطية .
4 مله : سريع الملل لإخوانه .
5 النحل : الهبة . وحلة : حلال .

[غلام مطيع]

أُخبرني محمد بنُ خلف وَكيع قال : حدَّثنا أبو أُيّوب المَدينيّ ، عن مصعب الزُّبَيريّ عن أَبي يعقوب الخُرَيميّ قال : أُهدى مطيعُ بنُ إيّاس إلى حمّاد عجرد غلاماً وكتب إليه : قد بعثتُ إليك بغلامٍ تتعلّم عليه كَظْمَ الغيظ .

[بنت الدهقان]

أُخبرني وكيع قال : حدَّثنا أبو أيّوب المدينيّ قال : ذكر محمدُ بنِ سِنانٍ أنّ مطيع بنَ إيّاس خرج هو وحمّاد عجردٍ ويحيى بن زياد في سفر ، فلمّا نزلوا في بعض القرى عُرِفوا ، ففرِّغ لهم منزل ، وأُتوا بطعامٍ وشراب وغناء ، فبينا هم على حالهم يشربون في صحن الدار ، إذ أشرفتْ بنتُ دِهْقان من سطح لها بوجه مشرِق رائق ، فقال مطيع لحمّاد : ما عِندَك ؟ فقال حمّاد : «خذ فيما شئت[1]» فقال مطيع : [من الهزج]

ألا يــا بأبــي الناظــ ـــر مــن بينهــمُ نحوِي

فقال حمّاد عجردٍ : [من الهزج]

ألا يا ليتَ فوقَ الحَقْـ ـــوِ منها لاصِقاً حَقْوِي

فقال مطيع : [من الهزج]

وأنّ البُضْعَ يــا حمّـــا دُ منها شَوْبُك المُرْوِي[2]

فقال يحيى بن زياد : [من الهزج]

ويــا سَقْياً لسَطْح أشـ ـرقتْ من بينهمْ حَذْوِي[3]

أُخبرني عيسى بنِ الحسين الورّاق قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاقَ عن أبيه : أنّ حمّادَ عجردٍ قال في جوهر جارية أبي عَوْن : قال : وفيه غناء : [من مجزوء الكامل]

صوت

إنّــي أُحبُّـك فاعلمي إن لم تكـوني تعلمينا
حبّــاً أقــلُّ قليلــهِ كجَميعِ حُبِّ العالَمينا

---

1 ل : شبب بها .
2 الشوب : العسل ، واللبن .
3 حذوي : إزائي أو مقابلي .

[وداع أبي خالد الأحول]

أخبرني عيسى بنُ الحسين الورّاق قال : حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان حمّاد عَجْرَدٍ صديقاً لأبي خالد الأحولَ أبي أحمد بن أبي خالد ، فأراد الخروج إلى واسِط ، وأرادَ وَداعَ أبي خالد ، فلمّا جاءه لذلك حَجَبه الغلام وقال له : هو مشغول في هذا الوقت ، فكتب إليه يقول : [من المتقارب]

عليكَ السلامُ أبا خالدٍ وما لِلوَداعِ ذكرتُ السّلاما
ولكنْ تحيّة مستطربٍ يُحِبُّك حبَّ الغَوِيِّ المداما
أردت الشُّخُوصَ إلى واسطٍ ولستُ أطيل هناك المُقاما
فإن كنتَ مكتفياً بالكِتا ب دون اللِّمام تركتُ اللِّماما[1]
وإلاّ فأوصِ هَداك المَليـ ـكُ بوّابَكم بي وأوصِ الغلاما
فإن جئتُ أُدخلت في الداخلِيـ ـن إمّا قعوداً وإمّا قياما
فإنْ لم أكن منكَ أهلاً لذاكَ فلا لومَ لستُ أُحِبُّ المَلاما
لأنّي أذمّ إليك الأنا مَ أخزاهمُ اللهُ طرّاً أناما
فإنّي وجدتُهمُ كلَّهمُ يُميتون حمداً ويُحيُون ذاما[2]
سوى عُصبةٍ لستُ أعنِيهمُ كرامٍ فإنّي أُحبّ الكراما
وأَقلِلْ عَديدَهم إنْ عددتَ فما أكثَرَ الأرذَلين اللِّئاما

[ممازحة شاعرين ابن إياس]

أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدّثني أبو أيّوب المَدينيّ قال : قال ابن عبد الأعلى الشيبانيّ : حضر حمّاد عجردٍ ومطيعُ بنُ إيّاس مجلسَ محمد بن خالد وهو أمير الكوفة لأبي العبّاس ، فتمازَحا ، فقال حمّاد : [من مجزوء الرمل]

يا مُطيعٌ يا مُطيعُ أنتَ إنسانٌ رَقيعُ
وعن الخير بطيءٌ وإلى الشرّ سريعُ

فقال مطيع : [من مجزوء الرمل]

إنّ حمّاداً لئيمُ سِفْلةُ الأصل عديمُ

---

1 اللمام : الزيارات القليلة .

2 الذام : العيب .

لا تَـراه الدهـرَ إلاّ بِهَـنِ العَيْرِ يَهيـمُ

فقـال لـه حمّـاد : ويلـك ، أترمينـي بدائـك ، والله لـولا كراهتـي لِتَمـادي الشرّ ولجـاجَ الهجاء لقلتُ لـك قولاً يَبقى ، ولكنّـي لا أُفسد مودّتـك ، ولا أُكافئك إلاّ بالمديح ، ثم قال : [من مجزوء الرمل]

كلّ شيء لي فـداءٌ لمطيـعِ بـنِ إيـاسِ
رجـلٌ مستملَحٌ في كلّ لـينٍ وشِماسِ[1]
عِدْلُ رُوحي بين جَنْـ ـبَيّ وعينـيّ بـراسي
غَـرس اللهُ لـه في كبِـدي أحـلى غِراسِ
لستُ دهري لمطيع بـ ـنِ إيـاسٍ ذا تناسِ
ذاكَ إنسانٌ لـه فضـ ـلٌ عـلى كلّ أُناسِ
فإذا مـا الكأس دارتْ واحتساها مَن أُحاسي[2]
كان ذِكرانـا مُطيعاً عندهـا رَيْحان كاسي

[هجائه عيسى بن عمرو]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ ومحمد بن عمرانَ الصَّيْرَفيّ قالا : حدَّثنا الحسن بنُ عُلَيل العَنزيّ قال : حدَّثنا التّوزِيّ قال : كان عيسى بنُ عمرو بن يزيدَ صديقاً لحمّاد عَجْرد ، وكان يواصله أيّامَ خدمته للربيع ، فلمّا طرده الربيع واختلّت حالُه جفاه عيسى ، وإنّما كان يصله لحوائجَ يسأل له الرَّبيع فيها ، فقال حمّاد عجرد فيه : [من الرمل]

أوصلُ النـاس إذا كانـت لـه حاجةٌ عيسى وأقضاهمْ لِحَقْ
ولِعيسى إنْ أتى في حاجـة مَلَـقٌ يُنسى بـه كلَّ مَلَـقْ
فـإن استغنـى فمـا يَعدِلُه نخوةً كِسرى على بَعْضِ السُّوَقْ
إن تكن كنتَ بعيسى واثقـاً فبهذا الخُلْق مـن عيسى فثِقْ

قال العَنَزيّ : وأنشدني بعضُ أصحابنا لحمّاد في عيسى بنِ عمر أيضاً : [من الكامل]

كم من أخٍ لك لستَ تنكِرُهُ مـا دمـتَ من دنياكَ في يُسْرِ

---

1 الشماس : النفور والاباء .

2 أحاسي : أساقي .

متصنّعٌ لــك في مودّتِــه ... يلقــاك بالتّرحيــب والبِشرِ
يُطري الوفاءَ وذا الوفاء ويَلـ ... ـحى الغدرَ مجتهداً وذا الغَدْرِ
فإذا عَـدا والدَّهــرُ ذو غِيَرٍ ... دهرٌ عليـك عَـدا مع الدَّهرِ
فارفض بإجمـالٍ مـودّة مَـن ... يَقلي المُقِـلَّ ويَعشَق المُثري
وعليك مـن حـالاه واحـدةٌ ... في العُسْر إمّـا كنتَ واليسرِ
لا تخلطنّهــــم بغيرهـــــمُ ... من يَخلط العِقْيـان بالصُّفْرِ[1]

[حشيش الكوفي]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال: حدَّثني ابن أبي فَنَن قال: حدَّثني العتّابيّ، وأخبرني عمّي عن أحمدَ بن أبي طاهر قال: قال العتابيّ: وحديث ابن أبي طاهر أتمّ، قال: كان رجل من أهل الكوفة من الأشاعِثة يقال له حُشَيش وكانت أُمّه حارثيّة، فمدحه حمّاد عجردٍ فلم يُثِبه، وتهاوَنَ به، فقال يهجوه: [من مجزوء الرمل]

يـا لَقومــي للبــلاء ... ومَعاريـضِ الشَّقــاء
قسَمَــتْ ألوِيــةٌ بيــ ... ــنَ رجــالٍ ونساء
ظفرتْ أخْت بني الحا ... رث منهــا بِلِــواء
حادثٌ في الأَرض يرتا ... عُ لــه أَهــلُ السماء

قال: فعُرضتْ أُسماء العمّال على المنصور فكان فيها اسم حُشيش، فقال: أُهو الذي يقول فيه الشاعر: [من مجزوء الرمل]

يـا لَقومــي للبــلاء ... ومَعاريـضِ الشقاء؟

قالوا: نعم يا أُمير المؤمنين؛ فقال: لو كان في هذا خير ما تعرّض لهذا الشاعر، ولم يستعمله، قال: وقال حمّاد فيه أيضاً يخاطب سعيدَ بنَ الأسود ويعاتبه على صحبة حُشَيش وعِشرتِه: [من مجزوء الرمل]

صرتَ بعدي يا سعيد ... مِـن أخِـلاّء حُشَيْشِ
أتلوّطْــتَ أم استخـ ... ـلِفتَ بعدي أم لأَيشِ
حَلَقِـــيٌّ استُـــه أَو ... سعُ مـن استِ بُحَيْشِ

---

1 العقيان: الذهب.

ثــم بَغّــاءٌ عــلى ذا أُبلَــغُ النــاسِ لفَيْشِ
يا بَني الأَشْعَث ما عَيْـ ـشُكُمُ عنـدي بعَيْشِ
حـين لا يُوجد منكمْ غَيرَه قائــــدُ جَيْشِ

قال : وكان بُحَيْش هذا رجلاً من أهلِ البَصْرة لم يكن بينه وبين حمّاد شيء ، فلمّا بلغه هذا الشعرُ وَفَد من البَصرة إلى حمّاد قاصداً ، وقال له : يا هذا ، ما لي ولك ، وما ذنبي إليك ؟ قال : ومَن أنت ؟ قال : أنا بُحَيْش ، أما وجدتَ أحداً أوسعَ دُبُراً منّي يُتمثَّل به ؟ فضحك ثم قال : هذه بليّة صبّتها عليك القافية ، وأنت ظريف وليس يجري بعد هذا مثله فودعه وانصرف وقال : الله بيني وبينك فقد أبقيت عليَّ سبة لا أعرف لها سبباً .

[هجاء أبي عون]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : حدَّثني محمد بنُ الحسن بن الحَرون . قال : كان حمّاد عجرد يعاشر أبا عَوْن جدّ ابن أَبي عون العابد ، وكان ينزل الكرخ ، وكان عجرد إذا قدِم بغداد زاره ، فبلغ أبا عون أنّه يحدِّث الناسَ أنّه يهوى جاريةً له يقال لها جوهر ، فحجبه وجفاه واطَّرحه ، فقال يهجو أَبا عون : [من الهزج]

أَبــا عَــوْنٍ لَحاكَ اللّـ ـهُ ، يا عُرّةُ ، إنسانا[1]
فقد أُصبحتَ في الناس إذا سُمِّيت كَشْخانا[2]
بَنَيْت اليومَ في الكَشْخِ لأَهــل الكَـرْخ بنيانا[3]
وشرَّفتَ لهــم في ذا كَ أَبوابــــاً وحِيطانا
وألفَيْــــتَ عــلى ذاكَ مــــن الفُسّاقِ أَعوانا
ومُجّانــا ولَــنْ تَعــدَ مَ مَــنْ يَمْجُن مُجّانا
فأَخزى الله مــن كنتَ أَخــاه كان مَــن كانا
ولا زلــت ولا زال بأَخلاقــك خَــزْيانا
وعُرْيانـــا كما أصبحـ ـتَ من دِينك عُرْيانا

وقال فيه أيضاً : [من مجزوء الرجز]

إنّ أَبــا عَــوْن ولا أَقــولُ فيــه كَذبــا

1 العرة : الجرب .
2 كشخان : ديوث .
3 بنياناً في ل : ميدانا .

غـاوٍ أتـى مدينـةً فسَنَّ فيهـا عَجَبـا
إخوانُـه قـد جَعلوا أُمَّ بَنِيـه مَركَبـا
واتَّخَـذوا جوهـرةً مِبْولَـةً ومَلْعَبـا
إن نِكتَهـا أرضيتَـه أو لم تَنِكْها غضبـا
أحبهـمْ إليـه مَـن أدخَـلَ فيهـا ذَنَبـا
ومَن إذا مـا لَمْ يَنِك جَـرَّ إليهـا جَلَبـا

[غيلان جمع الدمامة والخيانة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا الغَلاّبيّ عن مهديّ بن سابق قال : استعمل محمد بنُ أبي العبّاس وهو يَلي البَصرة غَيلانَ جدَّ عبد الصَّمد بنِ المعَذَّل على بعض أعشار البصرة ، وظهرَ منه على خيانة ، فعزَله ، وأخَذ ما خانه فيه ، فقال حمّاد عجردٍ يهجوه : [من الكامل]

ظَهَـرَ الأميرُ عليـكَ يا غَيْلانُ إذ خُنتَـه إنّ الأميرَ مُعـانُ
أمَع الدمامة قد جَمعتَ خِيانةً ! قبحَ الدَّميمُ الفاجِـرُ الخَوّانُ

[شعره في أبي بشر]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني أحمد بن أبي طاهر عن أبي دِعامة قال : أُنشد بشّارٌ قولَ حمّاد عجرد في غلام كان يهواه يقال له أبو بِشر : [من الطويل]

صوت

أخي كُفَّ عن لومي فإنّك لا تدري بمـا فعـل الحبُّ المبرِّح في صدري
أخي أنـتَ تَلحـاني وقلبُـك فارغٌ وقلبـيَ مشغـولُ الجـوانح بالفِكرِ
أخي إنّ دائـي ليس عنـدي دواؤه ولكن دوائـي عنـد قلبِ أبي بشرِ
دوائي ودائي عنـد مَـن لـو رأيتَه يقلِّب عينيه لأقصرتَ عـن زَجري
فأُقسم لو أُصبحت في لوعـة الهوى لأقصرتَ عن لومي وأطنبتَ في عذري
ولكن بلائـي منـك أنّـك ناصحٌ وأنّك لا تـدري بأنّـك لا تدري

فطرب بشّار ثم قال : وَيْلَكم ، أحسنَ والله ؛ مَن هذا ؟ قالوا : حمّاد عجرد ؛ قال : أوَّه ، وكَلْتُموني والله بقيّةَ يومي بهَمٍّ طويل ، والله لا أُطعَم بقيّةَ يومي طعاماً ولأصوم غمّاً بما يقول النَّبَطيّ ابنُ الزانية مِثل هذا .

في الأوّل والثاني من هذه الأبيات لحن من الثقيل الأوّل ذَكر الهشاميُّ أنّه لعَطرّد .

أنشَدَني جَحظة ، عن حمّاد بن إسحاق ، عن أبيه لحمّاد عجردٍ : [من مجزوء الوافر]

خليـلي لا يَفِـي أبَداً ... يمنّيني غـداً فغَـدا
وبعدَ غـدٍ وبعدَ غدٍ ... كذا لا ينقضي أبـدا
له جَمْرٌ على كَبِدي ... إذا حَرّكتَـه اتّقـدا

[مدحه يحيى بن زياد]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال : حدَّثنا عمرُ بنُ شبّة قال : حدَّثنا الزّباليّ قال : كان المهديّ سأل أباه أن يولّي يحيى بن زياد عملاً ، فلم يجبه ، وقال : هو خليعٌ متخرِّق في النفقة ماجِن ، فقال : إنّه قد تاب وأناب ، وتَضَمَّنَ عنه ما يُحبّ ، فولاّه بعض أعمال الأهواز ، فقَصَدَه حماد عجردٍ إليها ، وقال فيه : [من المتقارب]

فمَـن كان يسأل أينَ الفَعالُ ... فعنـدي شفاءٌ لِـذا الباحثِ
مَحَـلُّ النّدى وفَعـالُ النُّهى ... وبيتُ العُلا في بنـي الحارثِ
حَلَلْـن بيَحيـى فحالفْنَـه ... حَيـاءٌ مـن الباعث الوارثِ
فـلا تعدِلـنّ إلى غيـره ... لعاجِـلِ أمـرٍ ولا رائِـثِ[1]
فـإنّ لديـه بـلا مِنّـةٍ ... عطـاءَ المرحِّـلِ والماكِثِ

قال : وقال فيه أيضاً : [من السريع]

يحيـى امـرؤٌ زيّنَـه ربُّـه ... بفعلـه الأقـدَمِ والأحـدَثِ
إن قال لم يَكذِب ، وإن وَدَّ لم ... يَقطَع ، وإن عاهَـد لم يَنكُثِ
أصبحَ في أخلاقـه كلِّهـا ... موكَّـلاً بالأسهـل الأدمَثِ
طبيعـةٌ منـه عليهـا جَرى ... في خُلُـقٍ ليس بمستحدَثِ
ورَّثَـه ذاكَ أبـوه فيـا ... طِيبَ نَثـا الوارث والمُورِثِ[2]

فوصله يحيى بصلة سنيّة وحَمَلَه وكساه ، وأقام عنده مدّةً ثم انصرف .

[تحريضه عيسى بن عمرو على بشار]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني الكُرانيّ عن النضر بن عمرو قال : وليَ عيسى بنُ عَمرو إمارةَ البصرة مِن قِبَل محمد بن أبي العبّاس السفّاح لمّا خرج عنها عليلاً ، فقال له حمّاد

1 الرائث : البطيء .
2 النثا : الذكر .

عجرد : [من الخفيف]

قُل لعيسى الأمير عيسى بنِ عَمرٍو ذي المساعي العِظام في قَحْطانِ
والبناءِ العالي الذي طال حتّى قَصُرَتْ دونَه يَدا كلِّ بانِ
يابن عمرٍو عمرِو المكارم والتقـ ـوى وعَمرو النَّدى وعمرو الطِّعانِ
لك جارٌ بالمِصر لَم يجعل اللـ ـه له منكَ حُرمَةَ الجيرانِ
لا يصلّي ولا يصومُ ولا يَقْـ ـرأ حرفاً من مُحكَم القرآنِ
إنّما مَعدِنُ الزُّناة من السِّفـ ـلةِ في بَيتِه ومأوى الزَّواني
وهو خِدنُ الصِّبيانِ وهو ابن سبعيـ ـنَ ، فماذا يهوى من الصِّبيانِ ؟
طَهِّرِ المصر منه يا أيّها المـو لى المسمَّى بالعدلِ والإحسانِ
وتقرَّبْ بذاك فيه إلى اللـ ـه تَفُزْ منه فوزَ أهلِ الجِنانِ
يا ابن بُرْد إخسأْ إليكَ فمِثلُ الـ ـكلبِ في الناسِ أنتَ لا الإنسانِ
ولَعمري لأنت شرٌّ من الكَلْـ ـب وأَولى منه بكلِّ هَوانِ

[هجاء يقطين]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمد بن موسى بن حمّاد قال : حدَّثني محمد بنُ صالح الجُبُّليّ قال : كان حمّاد عجردٍ قد مدح يَقْطِيناً فلم يُثبه ، فقال يهجوه : [من السريع]

متى أَرى فيما أَرى دولةً يَعِزّ فيها ناصرُ الدِّينِ
ميمونةً مجدّها ربُّها بصادق النيّة ميمونِ[1]
ترُدُّ يقطيناً وأشياعه منها إلى أبزار يقطينِ

قال : وكان يقطين قبل ظهور الدولة العباسية بخُراسانَ حائكاً .

قال : ومرَّ يوماً بيونسَ بن فَروةَ الذي كان الرَّبيع يزعم أنّه ابنُه ، فلَم يَهَشَّ له كما عوّده ، فقال يَهجوه : [من الكامل]

أَما ابنُ فروةَ يونسٌ فكأنّه من كِبْره أيرُ الإمام القائمِ

وقال فيه : [من الكامل]

ولقد رضيتَ بعُصبة آخيتَهمْ وإخاؤهم لكَ بالمعَرّة لازمُ

---

1 مجّدها في ل : أيدها .

فعلمتُ حين جعلتَهم لك دِخْلةً ... إنّـي لِعرضي في إخائك ظالِمُ

[شعره في ولد بشّار]

أُخبرني عمّي قال : حدَّثني المغيرة بنُ محمد المهلّبيّ قال : حدَّثني أُبو مُعاذ النُّميريُّ أنّ بشّاراً وُلد له ابنٌ ، فلمّا وُلد قال فيه حمّاد عجرد : [من مجزوء الرمل]

سائـلْ أُمامـة يـا ابن بُر ... دٍ من أُبو هـذا الغلامِ ؟
أُمِـن الحـلالِ أتتْ بـه ... أم مِـن مقارَفَـة الحـرامِ
فلتُخبِرنّـــك أنّــه ... بـينَ العراقـي والشآمِي
والآخَــرِ الرومـيِّ والنَّـ ... ـبطيِّ أيضاً وابـن حامِ
أَجَعلـتَ عِرسَكَ شِقْوةً ... غرضاً لأسْهُـمِ كلِّ رامِ

أُخبرني أَحمد بنُ العبّاس العسكريُّ قال : حدَّثنا الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزّيّ قال : حدَّثني مسعود بنُ بشر قال : مرّ حمّاد عجردٍ بقصرِ شِيرينَ ، فاستظَلّ من الحرّ بين سِدْرَتَين كانتا بإزاء القصر ، وسمع إنساناً يغنّي في شعر مطيع بنِ إياس : [من الخفيف]

أسعِـداني يا نَخْلتيْ ، حُلْوانِ ... وارثيا لي مِن رَيْب هذا الزمانِ
أسعِـداني وأيقِنـا أنّ نَحساً ... سوف يلقـاكما فتفتـرقانِ

فقال حمّاد عجرد :

جعل الله سِدرتيْ قصرِ شِيريـ ... ـنَ فـداءً لنخلتـيْ حُلوانِ
جئتُ مستسعِداً فلم يُسعداني ... ومطيعٌ بكـت لـه النَّخْلتانِ

[استنجاز وعد محمد بن أبي العباس]

أُخبرني يحيى بن عليّ إجازةً عن أُبيه ، عن إسحاق ، عن محمد بن الفضل السَّكونيّ ، قال : كان محمد بن أُبي العبّاس قد وعد حمّاد عجردٍ أن يحمله على بغل ، ثم تشاغل عنه ، فكتب إليه حمّاد : [من الهزج]

طلبـتُ البَـذْلَ ممّـن خُـ ... ـلقـتْ كفّـاه للبـذلِ
ومَن يَنفي عـن المُمحِـ ... ـلِ بالجُودِ أُذى المَحْلِ
أَلا يـا ابـن أُبـي العبّا ... س يـا ذا النائـل الجَزلِ
أمـا تَذكـر يـا مـولا ... يَ ميعادَك في البغـلِ ؟
وذاك الرِّجْس في الـدار ... جليسٌ لأَبـي سَهْـلِ

يريكَ الحزمَ في الإخلا ... ف للميعادِ والمَطْلِ

[شعره في عثمان بن شيبة]

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال : حدَّثنا هارون بن محمّد بن عبد الملك قال : حدَّثنا سليمانُ المَدِينيّ قال : كان عثمان بنُ شيبة مبخَّلا ، وكان حمّاد عجردٍ يهجوه ، فجاء رجل كان يقول الشعرَ إلى حمّاد فقال له : [من الوافر]

أَعِنّي مِنْ غِناكَ ببيتِ شِعْرٍ ... على فقري لعثمانَ بنِ شَيْبَهْ

فقال له حمّاد : [من الوافر]

فإنّك إنْ رَضِيتَ بهِ خليلاً ... ملأتَ يديكَ من فقرٍ وخَيبهْ

فقال له الرجل : جزاك الله خيراً ، فقد عرّفتني من أخلاقه ما قطعني عن مدحه ، فصنتُ وجهي عنه .

[هجاؤه مطيع بعد الصداقة]

أخبرني عيسى بنُ الحسين الورّاق قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاقَ عن أبيه قال : كان حمّاد عجردٍ يهوى غلاماً من أهل البَصْرة من موالي العَتِيك يقال له : أبو بشر الحلو بن الحلال ، أحسبه من موالي المهلَّب ، وكان موصوفاً بالجمال ، فاندسّ له مطيع بنُ إيّاس ، ولم يزل يحتالُ عليه حتى وطِئَه ، فغضب حمّاد عجرد من ذلك ، ونَشِب بينهما بسببه هجاء ، فقال فيه حمّاد : [من مجزوء الرمل]

يا مطيعُ النَّذْلُ أنتَ الـ ... ـيومَ مخذولٌ جَهولُ
لا يغرَّنْك غَرورٌ ... ذو أفانينَ مَلُولُ
ليس يحلو الفعلُ منه ... وهو يحلو ما يقولُ
مَلْذانيٌّ مع الرِّيـ ... ـحِ إذا مالت يميلُ[1]
وجَوادٌ بالمواعيـ ... ـدِ وبالبَذْلِ بخيلُ
ليس يُرضِيه من الجُعْـ ... ـلِ كثيرٌ أو قليلُ
ذاكَ ما اخترت خليلاً ... بئس واللهِ الخليلُ
إنّما يكفِيك أن يأ ... تيك في السرِّ رسولُ
ساحراً منكَ يمنِّيـ ... ـك أمانيَّ تطولُ

---

1 ملذاني : كذوب .

وقال في مطيع أيضاً وقد لَجَّ الهجاء بينهما : [من البسيط]

عجبتُ للمدَّعي في الناس منزلةً وليس يَصلح للدّنيا وللدِّينِ
لو أبصَروا فيك وجهَ الرأي ما تركوا حتى يَشُدُّوكَ كَرْهاً شَدَّ مجنونِ
ما نالَ قطُّ مطيعٌ فضلَ مَنزلةٍ إلاّ بأن صرتُ أُهجوه ويهجوني
ولو تركتُ مطيعاً لا أُجاوبُهُ لكان ما فيه م الآفات يكفيني
يختار قربَ الفُحول المُرْد معتمِداً جَهْلاً ويترُك قُربَ الخرَّدِ العِينِ

[يمدح ويعزّي داود بن إسماعيل]

أَخبرني يحيى بنُ عليّ بن يحيى إجازةً عن أَبيه عن إسحاق قال : قال حمّاد عجرد في داود بنِ إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس يمدحه ويعزّيه عن ابن مات له ويستجيزه : [من الخفيف]

إنّ أَرجى الأَنامِ عندي وأَوْلا هُمْ بمَدْحِي ونصرتي داودُ
إن يعشْ لي أَبو سليمان لا أَحْـ ـفِلُ ما كادَني به من يكيدُ
هدّ رُكني فَقدِي أباكَ فقد شـ ـدّ بك اليومَ ركنيَ المهدودُ
قائلٌ فاعلٌ أَبيٌّ وفيٌّ مُتلِفٌ مخلِفٌ مُفيدٌ مُبِيدُ
وَفَتى السِّنِّ في كَمالِ ابنِ خمسيـ ـنَ دَهاءً وإِرْبَةً بل يزيدُ[1]
مِخلَطٌ مِزْيَلٌ أَريبٌ أَديبٌ راتقٌ فاتقٌ قريبٌ بعيدُ[2]
وهو الذائد المدافِع عنّي وعزيزٌ ممنَّعٌ مَن يَذودُ

[ولاية محمد بن أبي العبّاس على البصرة]

أَخبرني أَحمد بنُ عبد العزيز الجوهريُّ قال : حدَّثنا عمرُ بن شبّة قال : حدَّثني عبد الملك بنُ شيبان قال : ولّى أبو جعفر المنصورُ محمدَ بنَ أبي العبّاس السفّاح البَصرة ، فقدِمها ومعه جماعة[3] من الشعراء والمغنّين منهم حمّاد عجرد ، وحَكَم الوادي ودَحْمان ، فكانوا ينادمونه ولا يفارقونه ، وشَرِب الشرابَ وعاث ، فبلغ ذلك أبا جعفر فعزله ، قال : وكان ابن أبي العبّاس كثيرَ الطيِّب ، يملأ لحيتَه بالغالية حتى تسيلَ على ثيابه فتسودّ ، فلقَّبوه أبا الدِّبس ، وقال فيه بعض شعراء أهلِ البَصرة : [من السريع]

---

1 الأربة : العقل .
2 مزيل : كيّس لطيف .
3 ل : عدة .

صِرْنا مِنَ الرِّبح إلى الوَكْس إذْ وَلِي المصرَ أبو الدِّبسِ[1]
ما شئتَ مِن لُؤمٍ على نفسِهِ وجنسُه من أكرم الجنسِ

أخبرني أحمد بنُ عبيد الله بنِ عمّار قال : حدَّثنا عليّ بنُ محمد النَّوْفليّ قال : حدَّثني أبي قال : كان أبو جعفر المنصور يُبغِضُ محمدَ بنَ أبي العبّاس ويُحبّ عيبَه ، فولاّه البصرة بعقِب مَقتَل إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، فقدِمَها ، وأصحبَه المنصورُ قوماً يعاب بصُحبتهم مُجّاناً زنادِقة : منهم حمّاد عجرد ، وحمّاد بن يُحيى ، ونُظَراء لهم ، ليَغُضّ منه ويرتفع ابنُه المهديّ عند الناس ، وكان محمد بنُ أبي العبّاس محمَّقاً ، فكان يغلِّف لحيتَه إذا ركِب بأواقٍ من الغالية ، فتسيل على ثيابه فيصير شُهرة ، فلقّبه أهلُ البَصرة أبا الدِّبس ؛ قال ولمّا أقام بالبصرة مدّة قال لأصحابه : قد عزمتُ على أن أعترض أهلَ البصرة بالسيف في يوم الجمعة ، فأقتلَ كلّ مَن وجدتُ ، لأنّهم خرجوا مع إبراهيم بنِ عبد الله بن حسن . فقالوا له : نعم ، نحن نفعل ذلك ، لما يعرفونه منه ، ثم جاءوا إلى أمّه سَلمَة بنت أيّوب بنِ سلمةَ المخزوميّة فأعلَموها بذلك ، وقالوا : والله لئن هَمّ بها ليُقْتلنّ ولنُقْتلنّ معه ، فإنّما نحن في أهل البصرة أكلةُ رأس ، فخرجتْ إليه وكشفتْ عن ثدييها وأقسمتْ عليه بحقّها حتى كفّ عمّا كان عزم عليه .

[غزل بزينب بنت سليمان بن علي]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال : حدَّثني أبي عن إسحاق الموصليّ قال : كان حمّاد عجرد في ناحية محمد بن أبي العبّاس السفّاح ، وهو الذي أدّبه . وكان محمد يَهوى زينبَ بنتَ سليمان بن علي ، وكان قد قدِم البصرة أميراً عليها مِن قِبَل عمّه أبي جعفر ، فخطبها ، فلم يزوِّجوه لشيء كان في عَقْله ، وكان حمّاد وحَكَم الوادي ينادمانه ، فقال محمد لحمّاد : قل فيها شعراً ، فقال حمّاد فيها على لسان محمد بن أبي العبّاس ، وغنّى فيه حَكَم الوادي : [من السريع]

صوت

زينبُ ما ذنبي وماذا الذي غضِبتمُ منه ولَم تُغضَبوا[2]
واللهِ ما أُعرِف لي عندكُمْ ذنباً ففيمَ الهجرُ يا زينبُ ؟
إن كنتُ قد أغضبتكُمْ ضَلّةً فاستعتِبوني إنّني أُعتبُ[3]
عُودُوا على جَهلي بأحلامكم إنّي ، وإن لم أُذنِب ، المذنبُ

---

1 الوكس : النقص .
2 لم تغضبوا : على البناء للمجهول ، أي لم آت ما يغضبكم .
3 استعتب : طلب العتبي أي الرضا .

الغناء لحَكَم ، في هذه الأبيات خفيف ثقيل ، الأوّل بالوسطى عن عمرو والهشاميّ وفيه هَزَج يقال : إنّه لخليد بن عبيد الواديّ ، ويقال لعَريب .

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدَّثنا الحسين بن يحيى أبو الجمان الكاتب قال : حدَّثني عمرو بن بانة قال : كان لمحمّد بن أبي العبّاس السّفّاح شعر في زينبَ ، وغنّى فيه حَكَم الوادي : [من مجزوء الكامل]

صوت

قُولا لزينبَ لو رأيـ ـتِ تشوُّقي لكِ واشترافي
وتلفُّتي كيما أرا كِ وكان شخصُك غيرَ خافِ
وشَممْتُ رِيحَكِ ساطعاً كالبيت جُمِّر للطَّوافِ
فتركتِني وكأنّما قلبي يغرَّز بالأشافي[1]

أخبرني محمد بن يحيى أيضاً قال : حدَّثني الحارث بن أبي أسامة عن المدائنيّ قال : خطب محمد بنُ أبي العبّاس زينبَ بنتَ سليمان ، ثم ذكر مثل هذا الحديث سواء ، إلاّ أنّه قال فيه : فقال محمد بن أبي العبّاس فيها ، وذكر الأبيات كلّها ونسبها إلى محمد ولم يذكر حمّاداً .

قال أبو الفرج مؤلّف هذا الكتاب : هذا فيما أراه غَلطٌ مِن رواته ، لمّا سمعوا ذكر زينبَ ولحنَ حَكَم ، نسبوه إلى محمد بن أبي العبّاس ، وقد ذَكَرَ هذا الشعرَ بعينه إسحاقُ المَوْصليّ في كتابه ، ونسبه إلى ابن رُهَيْمة وهو من زَيانب يونسَ الكاتب المشهورة ، معروفٌ ومنها فيه يقول : [من مجزوء الكامل]

فذكَرتُ ذاكَ ليونسٍ فذكرتُه لأخٍ مُصافِ

وذكر إسحاقُ أنّ لحن يونسَ فيه خفيف رمل بالبنصر في مجرى الخِنصر ، وأنّ لحن حَكَم من الثقيل الأوّل بالبنصر ، قال محمد بن يحيى : ولمحمد بن أبي العبّاس في زينبَ أشعارٌ كثيرة ممّا غنّى فيها المغنّون ، منها : [من السريع]

صوت

زينبُ ما لي عنكِ من صبرِ وليس لي منكِ سوى الهجرِ
وجهُكِ والله وإن شَفَّني أحسنُ من شمسٍ ومِن بدرِ

---

1 الأشافي : جمع إشفى ، وهو المثقب .

لو أَبصَرَ العاذلُ منك الذي أبصرتُـه أَسرع بـالعذرِ

الغناء في هذه الأبيات لحَكَم خفيف رمل بالوسطى .

وأَخبرني محمد بن يحيى قال : حدَّثنا الغَلاَّبيّ قال : حدَّثني عبد الله بنُ الضّحّاك عن هشام بن محمد قال : دخل دَحْمانُ المغنِّي مولى بني مخزوم ، وهو المعروف بدَحمانَ الأشقر ، على محمد بن أبي العبّاس وعنده حَكَم الوادي ، فأَحضر محمدٌ عشرةَ آلاف دِرهم وقال : من سَبَق منكما إلى صوت يُطربني فهذه له ؛ فابتدأ دَحمانُ يغنِّي في شعر قيس بن الخَطيم : [من المنسرح]

حَـوْراءُ ممكـورةٌ منعَّمـةٌ كأنّما شَفَّ وجهَها نَزَفُ

فلم يهشّ له ، فغنّى حَكَم في شعر محمّدٍ في زينب : [من السريع]

زينبُ ما لي عنـكِ من صبرِ وليس لي منكِ سوى الهجرِ

قال : فطرِب وضرب برِجله وقال له : خُذْها ، وأَمَر لدَحمانَ بخمسة آلاف درهم ، قال : ومن شعره فيها الذي غنَّى فيه حَكَم أيضاً : [من مجزوء الكامل]

صوت

أحببتُ مـن لا يُنصفُ ورجوتُ من لا يُسعِفُ
نسبٌ تليـدٌ بيننـا ووِدادُنـا مستطرَفُ
بـالله أحلِـفُ جاهداً ومصدَّقٌ مَـن يَحلِفُ
إنّـي لأكتـمُ حبَّهـا جَهْـدِي لِما أتخوّفُ
والحبّ يَنطِق إن سَكـ ـتُّ بما أُجِنّ ويُعرَفُ

الغناء في هذه الأبيات لحَكَم الواديّ ، ولحنه ثقيل أوّل . قال : ومن شعر محمد فيها الذي غنَّى فيه حَكَم .

صوت

[من مجزوء الخفيف]

أسعِد الصبَّ يا حَكَمْ وأعِنْـهُ عـلى الألَمْ
وأدِرْ في غنائِـــهِ نَغَمـا تشبـه النِّعَمْ
أجميـلٌ بـأن يُرى نائمـاً وهـو لم يَنَمْ
لائمي في هوايَ زيـ ـنَبَ أنصِفْ ولا تَلُمْ

لَبِس الجسمُ حُلّـــةً في هواهـا من السَّقَمْ

غنّاه حَكَم ، ولحنُه هَزَج .

[سكر حمّاد مع حكم الوادي عند محمد بن أبي العبّاس فناموا دونه]

وقد أُخبرني الحسن بنُ عليّ قال : حدَّثنا أبو أيّوبَ المَدِينيّ قال : قال بُرَيْه الهاشميّ حدَّثني من حضر محمد بن أبي العبّاس وبين يديه حمّاد وحَكَمٌ الواديُّ يَغنّيه ، وندماؤه حضور ، وهم يشربون حتى سَكِرَ وسَكِروا ، فكان محمّد أوّل مَن أفاق منهم ، فقام إلى جماعتهم ينبِّههم رجلاً رجلاً ، فلم يجد فيهم فَضْلاً سوى حمّاد عجرد وحَكَم الواديّ ، فانتبَها ، وابتدؤوا يشربون ، فقالَ عجردٌ على لسانه ، وغَنَّى فيه حَكَم : [من مجزوء الخفيف]

أسعِد الصبَّ يا حَكَم وأَعِنْـــه عـلى الألَمْ

أجميلٌ بـأن يُـرى نائمـاً وهـوَ لم يَنَـمْ

هكذا ذَكر هذا الخبرَ الحسن ، ولم يزد على هذين البيتين شيئاً .

أُخبرني محمد بن يحيى قال : أنشدني أبو خليفة وأبو ذَكْوانَ والغلاّبيّ لمحمّد بن أبي العبّاس في زينب بنتِ سليمان بن عليّ : [من السريع]

يا قمرَ المِرْبَد قد هِجتِ لي شوقـاً فمـا أنفَكّ بالمِرْبَدِ

أُراقبُ الفرقَد مـن حبِّكمْ كأنّنـــي وُكِّلـــتُ بالفَرْقَدِ

أُهيم ليـلي ونهـارِي بكمْ كأنّني منكمْ على مَوعدِ

عُلِّقتُها رَيّـا الشَّوى طَفْلةٌ قريبةَ المولِدِ مـــن مَولِدِي

جَدِّي إذا مـا نُسبتْ جدّها في الحَسَبِ الثاقبِ والمحتَدِ

والله مـا أنساكِ في خَلوتي يا نـورَ عينيّ ولا مَشهَدِي

[شدّة محمد]

أُخبرني محمد بن يحيى قال : حدَّثني الحارث بن أبي أُسامة قال : حدَّثني المدائنيّ قال : كان محمدُ بنُ أبي العبّاس نهايةً في الشدّة ، فعاتَبه يوماً المهديُّ ، فغَمَزَ محمدٌ ركابَه حتى انضغطتْ رِجلُ المهديّ في الركاب ، ثم لم تخرج حتى ردّ محمّد الركابَ بيَده ، فأخرَجَها المهديّ حينئذٍ .

[حمّاد يمدح محمّد بن أبي العبّاس]

أُخبرني محمد قال : حدَّثنا أبو ذَكْوان قال : حدَّثنا العُتْبيّ قال : كان محمد بن أبي العبّاس شديداً قويّاً جَواداً ممدَّحاً ، وكان يلوي العمودَ ثم يلقيه إلى أخته رَيْطَة فتردّه ، وفيه

يقول حمّاد عجرد : [من البسيط]

أرجوك بعدَ أبي العبّاس إذ بانا ... يـا أكرم الناس أعراقاً وعِيدانا
فأنت أكرمُ من يمشِي على قَدَمٍ ... وأنضرُ الناس عنـد المَحْل أغصانا
لو مَجَّ عُودٌ على قـوم عُصارتَه ... لَمَجَّ عُـودُك فينا المِسْكَ والبانا

[عزل محمد بن أبي العبّاس]

أخبرني محمد بن يحيى قال : حدَّثنا الغلابيّ قال : حدَّثني محمد بن عبد الرحمن قال : لما أراد محمد بن أبي العبّاس الخروجَ عن البَصرة لمّا عزله المنصورُ عنها قال : [من المتقارب]

أيـا وقفـةَ البينِ ماذا شَبَبْتِ ... مـن النّـار في كَبِـدِ المُغرمِ !
رَميتِ جوانحَـه إذ رَميـتِ ... بقـوسٍ مُسدَّدةِ الأسهُـمِ
وقفنا لزينبَ يـومَ الـوَداعِ ... على مِثـلِ جَمر الغَضى المُضرَمِ
فمِنْ صَرْف دمع جرى للفراقِ ... لممتـزِجٍ بعـدَه بـالدّمِ

أخبرني محمد قال : حدَّثنا الفضل بنُ الحُباب قال : حدَّثنا أبو عثمانَ المازنيّ قال : قال حمّاد عجردٍ يشبِّب بزينبَ بنتِ سليمان على لسان محمد بن أبي العبّاس : [من الطويل]

ألا مَـن لقلبٍ مستهامٍ معذَّبِ ... بحـبٍّ غزالٍ في الحِجالِ مُربَّبِ
يـراه فـلا يسطيع رَدّاً لطَرْفِه ... إليـه حِـذارَ الكاشحِ المترقِّبِ
ولولا مليكٌ نافـذٌ فيـه حُكمُه ... لأدْنى وصالاً ذاهباً كلَّ مَذهبِ
تَغَبّرتُ خِلْفَ اللّهو بعـد صِراوةٍ ... فبحتُ بما ألقاه من حبِّ زينبِ[1]

قال : فبلغ الشعرُ محمدَ بن سليمان ، فنذَرَ دمَه ، ولم يقدر عليه لمكانه من محمّد .

[رثاء محمد بن أبي العبّاس]

أخبرني محمد بن يحيى قال : حدَّثني الغلاّبيّ عن محمد بن عبد الرحمن قال : مات محمّد بن أبي العبّاس في أوّل سنة خمسين ومائة ، فقال حمّاد يرثيه بقوله : [من الخفيف]

صرتُ للدَّهر خاشعاً مستكيناً ... بعد ما كنت قد قهرتُ الدّهورا
حين أودى الأمير ذاك الذي كنـ ... ـتُ به حيث كنتُ أُدعى أميرا
كنتُ إذ كان لي أجير به الدَّهـ ... ـر فقد صرتُ بعدَه مستجيرا

1 تغبر الناقة : احتلب غبرها ، وهو بقية اللبن في الضرع . والصراوة : الانقطاع والاحتباس .

يا سميّ النبيّ يا ابن أَبي العبـ ـاس حقّقتَ عنديَ المحذورا
سلبتْني الهمومُ إذ سلبتنيـ ـك سروري فلست أَرجو سرورا
ليتني متّ حين موتك لا بل ليتني كنت قبلَك المقبورا
أنتَ ظلّلتني الغمامَ بنعما ك ووطّأتَ لي وِطاءً وَثيرا
لَم تَدَعْ إذ مضيتَ فينا نظيراً مِثل ما لَم يدَع أَبوكَ نظيرا

حدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا أحمد بن زهير قال : حدَّثنا محمد بن سلاّم الجُمَحيّ قال : كان خَصيب الطبيب نصرانيّاً نبيلاً ، فسقى محمد بن أبي العبّاس شربةَ دَواءٍ وهو على البصرة ، فمرِض منها ، وحُمِل إلى بغداد فمات بها ، واتُّهم خصيب . فحُبس حتى مات . وسُئِل عمّا به فنظر في علّته إلى مائه فقال : قال جالينوس : إنّ مثل هذا لا يعيش صاحبه ؛ فقيل : له إنّ جالينوس ربّما أخطأ ؛ فقال : ما كنت قطّ إلى خطئه أحوَج منّي اليوم ، وفي خصيب يقول ابن قنبر : [من مجزوء الرمل]

ولقد قلتُ لأَهلِي إذ أَتونِي بخَصِيبِ
ليس واللهِ خصيبٌ لِلّذي بِي بطبيبِ
إنّما يَعرِف ما بِي مَن به مِثلُ الذي بِي

[استجار بقبر سليمان بن علي]

أُخبرني حبيبُ بن نصر وأَحمدُ بنُ عبد العزيز وإسماعيل بنُ يونسَ ، قالوا : حدَّثنا عمر بنُ شبّة قال : حدَّثني عبد الله بن شيبان وابن داحة ، وأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة قال : حدَّثني أبي عن إسحاق قال : لمّا مات محمد بن أبي العبّاس طلب محمد بنُ سليمانَ حمّاد عجردٍ لما كان يقوله في أخته زينبَ من الشعر ، فعلِم أنّه لا مُقام له معه بالبصرة ، فمضى فاستجار بقبر أَبيه سليمانَ بن عليّ ، وقال فيه : [من الخفيف]

مِن مقرّ بالذنب لم يوجب اللـ ـه عليه بسيِّىء إقرارا
ليس إلاّ بفضل حِلمِك يَعتـ ـدّ بلاءً ، وما يُعدّ اعتذارا
يا ابن بنت النّبيّ أحمدَ لا أَجـ ـعَلُ إلاّ إليكَ منك الفرارا
غير أنّي جعلتُ قبرَ أَبي أيّو بَ لي من حوادث الدَّهرِ جارا
وحَرِيٌّ مَن استجار بذاكَ الـ ـقبرِ أن يأمَنَ الردى والعِثارا
لم أَجِد لي من العباد مجيراً فاستجرتُ الترابَ والأَحجارا

لستُ أعتاضُ منك في بغيةِ العِـ ـزّةِ قحطـانَ كلّهـا ونزارا
فأنا اليـوم جارُ من ليس في الأر ضِ مجيرٌ أعـزُّ منه جِـوارا
يا ابن بيتِ النبيّ يا خَير من حَطّـ ـت إليـه الغَـواربُ الأكوارا[1]
إن أكن مُذنِباً فأنتَ ابنُ مَن كا نَ لمَـن كان مُذنبـاً غفّـارا
فاعفُ عنّي فقد قَدرتَ وخيرُ الـ ـعفوِ مـا قلتَ كن فكان اقتدارا
لـو يطيـل الأعمارَ جـارٌ لِعِزٍّ كان جـاري يطـوّل الأعمارا

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريُّ ومحمّد بنُ عمرانَ الصَّيْرَفيّ قالا : حدَّثنا الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزيّ قال : حدَّثني عليّ بنُ الصبّاح قال : كان محمد بن سليمانَ قد طلب حمّاد عجرِدٍ بسبب نَسبه بأخته زينب ، ولم يكن يَقدِر عليه لمكانه من محمد بن أبي العبّاس ، فلمّا هلك محمّد جَدَّ ابنُ سليمانَ في طلبه ، وخافَه حمّاد خوفاً شديداً ، فكتب إليه : [من الخفيف]

يـا ابن عـمِّ النبيِّ وابـنِ النبيِّ لعـليٍّ إذا انتَمـى وعـليٍّ
أنتَ بـدرُ الدّجى المُضيءِ إذا أظـ ـلَمَ واسودّ كلُّ بـدرٍ مُضِيٍّ
وحَيا النـاسِ في المُحول إذا لم يُجْـدِ غيـثُ الربيـعِ والوَسْمِيِّ
إنّ مولاكَ قـد أساءَ ومـن أعـ ـتب مـن ذنبـه فغيـر مُسيٍّ
ثـم قـد جاء تائباً فاقبـل التو بـة منـه يـا ابنَ الوَصيِّ الرضيِّ

قال : ومضى إلى قبر أبيه سليمانَ بن عليّ فاستجار به ، فبلغه ذلك ، فقال : والله لأبلّنّ قبرَ أبي من دمه ، فهرب حمّاد إلى بغداد ، فعاذ بجعفر بن المنصور ، فأجاره ، فقال : لا أرْضى أو تهجوَ محمد بنَ سليمان ، فقال يهجوه : [من الخفيف]

قل لوجه الخَصيِّ ذي العار إنّي سوف أُهـدِي لزينـبَ الأشعارا
قد لعمري فررتُ مِن شدّة الخو ف وأنكـرتُ صاحبـيَّ نهـارا
وظننـتُ القبـورَ تَمنَـع جـاراً فاستجـرت التـرابَ والأحجارا
كنتُ عنـد استجارتي بأبي أيّـ ـوبَ أبغِـي ضلالـةً وخَسارا
لم يُجِـرني ولم أجِد فيـه حظّاً أضـرم اللهُ ذلـك القبرَ نـارا

قال : وقال فيه : [من الطويل]

---

1 الغوارب : جمع غارب ، وهو أعلى الظهر . والأكوار : الرحال .

لـه حَزْمُ بُرغوثٍ وحِلمُ مُكاتبٍ وغُلْمَـةُ سِنَّورٍ بلَيْـلٍ تُوَلـوِلُ

وقال فيه يهجوه : [من المنسرح]

يا ابـنَ سليمانَ يـا محمّدُ يا من يشتري المكرُمات بالسِّمَنِ
إنْ فخرتْ هاشمٌ بمَكرُمـةٍ فخَرتَ بالشَّحمِ منكَ والعُكَنِ
لُؤْمـكَ بـادٍ لَمن يراك إذا أَقبلتَ في العارِضَيـنِ والذَّقَنِ
ليتَك إذ كنـتَ ضيِّقاً نكِراً لم تُدْعَ مـن هاشمٍ ولم تكُنِ
جَدَّاك جَدّان لَم تُعَب بهما لكنّما العيبُ منك في البدنِ

قال : فبلغ هجاؤه محمدَ بنَ سليمان فقال : والله لا يُفلِتني أبداً ، وإنّما يزداد حتْفاً بلسانه ، ولا والله لا أَعفو عنه ولا أتغافلُ أبداً .

وقد اختلِف في وفاة حمّاد .

[مقتله]

فأخبرني أحمد بنُ عبد العزيز قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال : حدَّثني أبو داحة وعبد الملك بنُ شيبان أن حمّاداً هرب من محمد بن سليمان فأقام بالأهواز مستتِراً ، وبلغ محمداً خبرُه ، فأرسل مولًى له إلى الأهواز ، فلم يزل يَطلبُه حتى ظفر به فقتله غِيلة .

وأخبرني أحمد بن العبّاس وأحمد بن يحيى ومحمد بن عِمران قالوا : حدَّثنا الحسن بن عُليل العَنَزيّ عن أحمد بن خَلاّد أنّ حمّاداً نزل بالأهواز على سُلَيم بن سالم فأقام عنده مدّة مستتراً من محمد بن سليمان ، ثم خرج من عنده يريد البَصرة ، فمرّ بشِيْرزاذانَ في طريقه ، فمَرِض بها ، فاضطرّ إلى الُمقام بها بسبب علّته ، فاشتدّ مرضُه ، فمات هناك ودُفِن على تَلْعة ، وكان بشّار بلغه أنّ حمّاداً عليل لِما به ، ثم نُعِي إليه قبل موته ، فقال بشّار : [من السريع]

لـو عـاش حمّاد لهونـا بـه لكنّـه صـار إلى النـارِ

[شعر له وهو يحتضر]

فبلغ هذا البيتُ حمّاداً قبل أن يموت وهو في السِّياق[1] ، فقال يردّ عليه : [من السريع]

نُبِّئـتُ بشّاراً نَعـاني وللـ ـموت بَراني الخالـقُ الباري
يـا ليتني مِـتّ ولم أهْجُه نعـمْ ولـو صرتُ إلى النارِ
وأيُّ خِزيٍ هو أخزى مِن انْ يقـالَ لي يـا سِبَّ بَشّارِ

1 السياق : نزع الروح .

قال : فلمّا قَتل المهديُّ بشّاراً بالبَطيحة اتّفق أن حُمل إلى منزله ميتاً ، فدُفن مع حمّاد على تلك التّلعة ، فمرّ بهما أبو هشام الباهليُّ الشاعر البَصْريّ الذي كان يُهاجِي بشّاراً ، فوقف على قبريهما وقال : [من السريع]

قـد تَبِـع الأعمى قَفا عَجردٍ فأصبَحـا جارَيـــن في دارِ
قالت بِقاع الأرض لا مَرْحَبا بقُـــرب حمّــاد وبَشّارِ
تجــاوَرا بعـــد تَنائِيهمـا مـا أبغَضَ الجـارَ إلى الجارِ
صارا جميعاً في يديْ مالِكٍ في النّار والكافـرُ في النارِ

صوت

[من البسيط]

هل قلبُكَ اليومَ عن شَنْباء منصرِفُ وأنتَ ما عشتَ مجنونٌ بها كَلِفُ
ما تُذْكَرُ الدَّهرَ إلاّ صدّعت كبِداً حَرَّى عليكَ وأذْرت دمعةٌ تَكِفُ

ذَكر أبو عمرو الشيباني أنّ الشِّعر لحُرَيث بن عتّاب الطائيّ ، وذكر عمرُو بنُ بانة أنّه لإسماعيل بن يسار النّساء ، والصحيح أنّه لحُرَيث ، والغناء لغَريض ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، وذَكَر الهشاميُّ انّه لمالِك .

[275] ـ أخبار حُرَيث ونسبه[1]

[نسبه]

حُرَيث بنُ عَنّابُ (بالنون) ابن مطر بن سلسلة بن كعب بن عوف بن عُنَين بن نائل بن أُسوَدان ، وهو نبهان بنُ عمرو بنِ الغَوْث بن طيِّء ، شاعر إسلاميّ من شعراء الدولة الأموية ، وليس بمذكور من الشعراء ، لأنّه كان بدويّاً مُقِلاًّ غيرَ متصدٍّ بالشعر للناس في مدح ولا هجاء ، ولا يَعْدو شعره أمَر ما يخصّه .

أخبرني بنسبه وما أذكره من أخباره عمّي عن الحَزَنْبُل عن عمرو بن أبي عمرو الشَّيبانيّ ، عن أبيه ، وتمام الأبيات التي فيها الغناء بعد البيتين الأوّلين قوله : [من البسيط]

يــدومُ وُدِّي لِمَن دامــت مودَّتُه وأصرف النفسَ أحياناً فتنصرفُ
يا وَيْــح كلّ محبٍّ كيــف أرحمُه لأنّني عارف صدقَ الذي يصفُ
لا تأمننْ بعــد حُبِّـي خلّـة أبداً على الخيانة إنَّ الخائــن الطَّرِفُ
كأنّهـــا رِيشةٌ في أرض بَلقَعــة من حيثما واجهتْها الريحُ تنصرفُ
يُنسي الخليلين طُولُ النأي بينهما وتَلتقي طُـــرُقٌ شَتّــى فتأتلِفُ

قال أبو عمرو ، قال حريث هذه القصيدة في امرأة يقال لها حُبَّى بنت الأسود من بني بُحْتُر بن عَتُود ، وكان يهواها ويتحدّث إليها ، ثم خطبها ، فوعَدَه أهلُها أن يزوِّجوه ووعدتْه ألاّ تجيب إلى تزويج إلاّ به . فخطبها رجلٌ من بني ثُعَل وكان موسراً فمالت إليه وتركت حُرَيثاً ، وقد خُيِّرت بينهما فاختارت الثُّعَلي ، فتزوّجها ، فطَفِق حريث يهجو قومَها وقوم المتزوّج بها من بني بُحْتُر وبني ثُعَل ، فقال يهجو بني ثُعَل : [من الطويل]

بني ثُعَلٍ أهلَ الخنا ما حديثُكمْ لكم منطق غــاوٍ وللنّاس مَنطِقُ
كأنّكُم مِعــزىً قَواصعُ جِرّةٍ من العِيّ أو طيرٌ بخفّانَ يَنعِقُ
ديافيّــة قُلْــفٌ كأنّ خطيبَهم سَراةَ الضُّحى في سَلْحه يتمطّقُ

قال أبو عمرو : ولم يزل حريثٌ يهجو بني بُحْتُر وبني ثُعَلٍ من أجل حُبَّى ؛ فبينا هو ذات

1 لحريث بن عناب ترجمة في خزانة البغدادي 11 : 449 وسمط اللآلي : 83 .

يوم بخيبَر وقد نزل على رجل من قريش وهو جالس بفِنائه ينشِد الشعر الذي قاله يهجو به بني ثُعَل وبني بُحْتر ابنَي عَتود ، وبخيبرَ يومئذٍ رجل من بني جُشَم بن أبي حارثة بن جُدَيّ بن تَدُولَ بن بُحْتُر يقال له أوْفى بنُ حُجْر بن أسيد بن حُيَيّ بن ثُرْمُلة بن ثرغل بن خثيم بن أبي حارثة عند بني أخت له من قريش ، فمرّ أوفى هذا بحريث بن عَنّاب وهو يُنشِد شعراً هجا به بني بحتر ، فسمعه أوفى وهو ينشد قولَه : [من الطويل]

وإنَّ أحـقَّ الناسِ طُـرّاً إهانةً عَتودٌ يُباريهِ فَريــرٌ وثَعلبُ[1]

العَتود : التيس الهَرِم . والفَرير : ولد الظبية . ويباريه : يفعل فعلَه . فدنا منه أوفى وقال : إنّي رجل أصمٌّ لا أكاد أسمع ، فتقرّب إليّ ، فقال له : ومن أنت ؟ فقال : أنا رجل من قيس ، وأنا أهاجِي هذا الحَيّ من بني ثُعَلٍ وبني بُحتُر ، وأحبّ أن أرويَ ما قيل فيهم من الهجاء ، فأدنَوْه منه ، وكانت معه هِراوة قد اشتمل عليها ، فلمّا تمكّن من ابن عَنّابٍ جمع يديه بالهراوة ثم ضرب بها أنفَه فحطَمه ، وسقّط على وجهه ووثب القرشيّ على أوفى فأخذه ، فوَثَبَ بنو أخته فانتَزعوه من القرشيّ ، وكاد أن يقع بينهم شرّ ، وأفلتَ أوفى ودُورِي ابنُ عنّاب حتى صَلَح واستوى أنفُه ، فقال أوفى في ذلك : [من الكامل]

لاقى ابنُ عَنّاب بخيبرَ ماجداً يَــزَعُ اللئــامَ وينصرُ الأحسابا
فضربتــهُ بهِراوتــي فتركتــهُ كالحِلْس منعفرَ الجبـينِ مصابا

قال : ثم لحِق أوفى بقومه . فلمّا كان بعد ذلك بمدّة اتّهمه رجلٌ من قريش بأنّه سرق عبداً له وباعه بخيبر ، فلم يزل القرشيُّ يطلبُه حتى أخذه وأقام عليه البيّنة ، فحُبس في سجن المدينة ، وجُعلتْ للقرشيّ يدُه فبعَث ابنُ عنّاب إلى عشيرته بني نَبْهان ، فأبوا أن يعاونوه . وأقبلَ عُرفاء بني بُحْتُر إلى المدينة يريدون أن يؤدّوا صدقاتِ قومِهم فيهم حصنٍ وسلامة ابنا معرِّض ، وسعدُ بنُ عمرو بن لأم ، ومنصور بنُ الوليد بن حارثة ، وجَبّار بن أُنَيف ، فَلقُوا القرشيَّ وانتَسبوا له ، وقالوا : نحن نعطيك العِوَض مِن عَبْدِك ونرضيك ، ولم يزالوا به حتى قَبِل وخلّى سبيلَه . فقال حُرَيثٌ يمدحُهم ويهجو قومَه الأدنَيْن مِن بني نَبْهان : [من الطويل]

لما رأيتُ العبدَ نَبْهـانَ تارِكِي بلمّاعةٍ فيها الحوادثُ تَخطُرُ[2]
نُصِرتُ بمنصورٍ وبابنيْ معرِّضٍ وسعدٍ وجَبّارٍ بـل اللهُ يَنصرُ

---

1 طُرّاً إهانةً في ل : ألا أهابه .

2 اللماعة : الفلاة يلمع فيها السراب .

وذو العرش أعطاني المودّة منهمُ   وثبَّتَ ساقي بعدما كدتُ أعثُرُ
إذا رَكب الناسُ الطريقَ رأيتَهم   لهم خابِطٌ أعمى وآخَر مُبصرُ
لكلّ بني عمرو بن غَوْثٍ رِباعةٌ   وخيرُهمُ في الشرّ والخيرِ بُحْتُرُ[1]

وقال أبو عمرو : مرّ ابن عنّاب بعدما أسنّ بنسوةٍ من بني قُلَيع وهو يتوكّأ على عَصاً فضحكن منه ، فوقف عليهنّ وأنشأ يقول : [من الكامل]

هزئتْ نساءُ بني قُلَيع أن رأتْ   خَلَقَ القميصِ على العصا يترَكَّعُ
وجعلْنني هُزُؤاً ولو يعرفْنني   لعلمن أنّي عند ضَيْمي أرْوَعُ

[إغارته على بني أسد]

قال أبو عمرو : وكان حريثُ بنُ عنّاب أغار على قوم من بني أسد فاستاق إبلاً لهم ، فطَلَبه السلطان ، فهرب من نواحي المدينة وخيبَرَ إلى جَبَلين في بلاد طيىء يقال لهما : مُرَّى والشَّمُوس حتى غَرِمَ عنه قومُه ما طلب ، ثم عاوَدَ وقال في ذلك : [من الطويل]

إذا الدِّين أودى بالفساد فقل له   يدَعْنا ورُكْناً من مَعَدٍّ نصادمُهْ
ببيضٍ خِفافٍ مرهَفلتٍ قواطع   لداودَ فيها أثْرُه وخَواتِمُهْ[2]
وزُرْقٍ كستْها ريشَها مَضْرَحيّةٌ   أثيثٌ خَوافِي رِيشها وقوادِمُهْ[3]
إذا ما خرجْنا خرّت الأُكْم سُجَّداً   لعزٍّ عَلا حَيْزُومُه وعَلاجِمُهْ[4]
إذا نحن سِرْنا بين شرقٍ ومَغرب   تحرَّكَ يقظانُ التّراب ونائمُهْ
وتفزَع منّا الإنْسُ والجِنُّ كلُّها   ويُشرب مهجورُ المِياه وعائمُهْ
ستَمنَع مُرَّى والشَّمُوس أخاهما   إذا حكم السلطان حُكْماً يُضاجِمُهْ

يميل فيه . ويروى : يصاحمه ، وقال أبو عمرو : يصاحمه : يزاحمه . والأصحم منه مأخوذ .

* * * *

1 رباعة : سيادة .
2 أثر السيف : جوهره ووشيه .
3 الزرق : النصال . والمضرحي : النسر أو السيد . والأثيث : الكثير .
4 الحيزوم هنا : الغليظ أو المرتفع من الأرض . العلاجم : جمع علجم ، وهو الطويل من الإبل .

الفهرس